الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

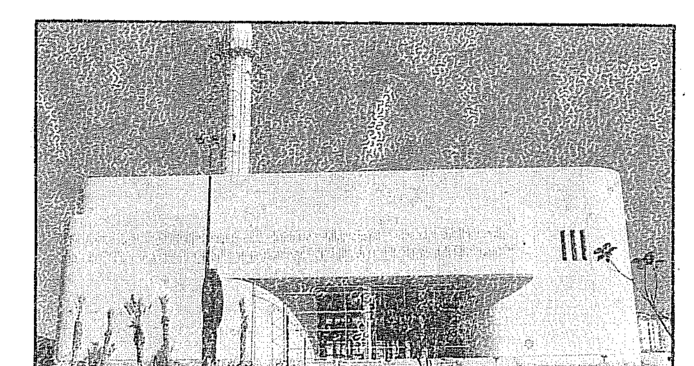
العدد ٢٧٨ ـ صفر ١٤٠٨ هـ

اكتوبر (تشرين أول) ١٩٨٧ م

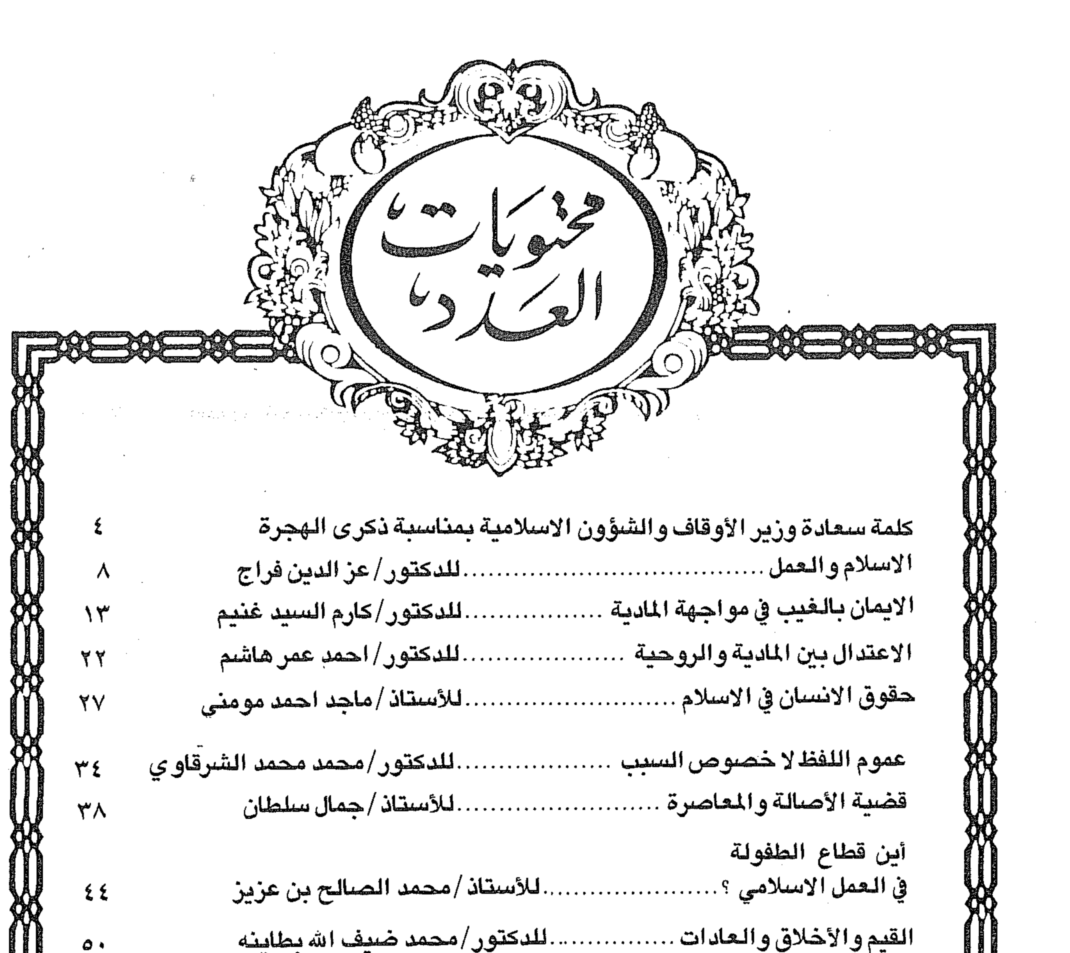
بيت القرآن

استطلاع مصور

ص ٧٥



هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان


محتويات العدد



العدد ٢٧٨ ـ صفر ١٤٠٨ هـ ـ اكتوبر (تشرين أول) ١٩٨٧ م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت

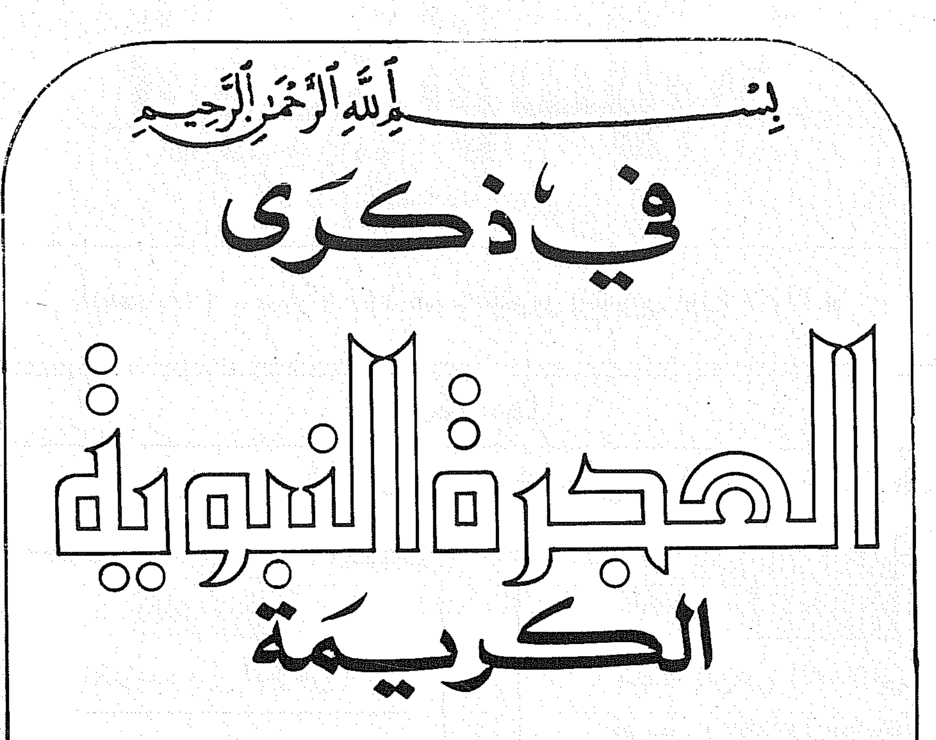
الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

الثمن

الكويت	٢٠٠ فلسا
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما
السودان	١٥٠ مليما
السعودية	ريالان
دولة الامارات العربية	٣ دراهم
البحرين	٢٠٠ فلس
العراق	١٥٠ فلسا
الاردن	٢٠٠ فلس
سوريا	ليرتان
لبنان	ليرتان
تونس	٢٥٠ مليم
الجزائر	ديناران
اليمن الشمالي	ريالان
قطر	٣ ريالات
سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا



أقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية احتفالها السنوي المعتاد بذكرى الهجرة النبوية بمسجد الدولة الكبير .

والوعي الاسلامي تغتنم هذه الذكرى العظيمة فتهنىء المسلمين جميعا بها ، راجية أن يعيدها الله على الأمة العربية والاسلامية وقد توحدت صفوفها ، واجتمعت كلمتها تحت مظلة الاسلام .

هذا ويطيب لنا أن نسجل هذه الكلمة القيمة التي ألقاها وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الأستاذ/ خالد أحمد الجسار/ في الحفل المبارك .

الحمدلله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ، ومن اتبع هداه باحسان .

وبعد ،،

فان فواتح السنين محطات تأمل يدرك بها الانسان تقضى الأعوام وتلاشى الأوقات بأسلوب خفي ينسى معه المرء عظيم قيمة الزمن ، وخطورة شأنه ، مع ان الزمن الفارغ عن المشاغل والعوائق نعمة كبرى من نعم الله ، وهو مع الصحة والعافية محل حسرة وخسارة لمن لا يقدرهما حق قدرهما ، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :



(نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ) .

وإذا كان الزمن عمر الافراد وحياة الأمم فلا أقل من وقفة متأنية للحساب والمراجعة بين عامين : عام فيه رصيد الماضي القريب الذي أصبحت أحداثه جزءا من هذا التاريخ بما اشتمل عليه من خطأ وصواب ، وعام جديد فيه المستقبل المنشود الذي علينا ان نتصرف في حاضرنا لبنائه على الوجه الملائم للنتائج المرجوة ، تاركين الامر لله تعالى في حكيم قضائه ومكنون قدره :

على المرء أن يسعى الى الخير جهده
وليس عليه أن تتم النتائج

وإن أول ما نتحسسه من الآم أمتنا تلك الفرقة والتنابذ بين بلد وآخر من بلادنا الاسلامية ، مع أنها ينبغي أن تمثل حجرات في البيت الواحد . ولم يتوقف هذا الخلاف بين بعض الشقيقات عند حد القطيعة . بل لا زال يأخذ الصورة المفزعة ، ويستغرق المدة القياسية في الاقتتال الدامي الذي ينشأ عنه نقص في الأموال والانفس والثمرات .



ومن عجائب الأمور أن الغرباء عن أمتنا ودينا يرثون لحالنا ويبذلون مافي وسعهم لوضع حد لهذه الفتنة الجامحة دون ان يحرك هذا الغيرة الايمانية عند الطرف الذي يأبى الفيئة الى أمر الله ويصر على استمرار الحرب مهما ازهقت من الأرواح البريئة وأتلفت من الأموال ومقدرات البلاد وكان أجدر به أن يستجيب لقول الله تبارك وتعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » وأن يوجهوا الطاقات موحدة لتحقيق آمال المسلمين في التحرير والبناء ، وكل مافيه عزة الاسلام وقوة كيانه .

ولقد آلم المسلمين في كل مكان تلك الفتنة الهوجاء التي وقعت في أعظم الظروف حرمة ، فقد كان ظرفها الزماني شهر ذي الحجة (أحد الاشهر الحرم التي هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب) ، وكان ظرفها المكاني حرم الله أقدس الأراضي وأشرف البقاع ، وكان ضحاياها عددا لا يستهان به من المسلمين الابرياء الذين اخلصوا نفوسهم لاعمار بيت الله بالمناسك وأنواع القربات ، وقد حرم الله ورسوله سفك الدماء واتلاف المال ، وغلظ هذه الحرمة في تلك البقاع والأزمنة ، فقد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيها يوما مشهودا قال فيه بعد أن سأل عن بلد الله وشهر الله : «فان دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا».

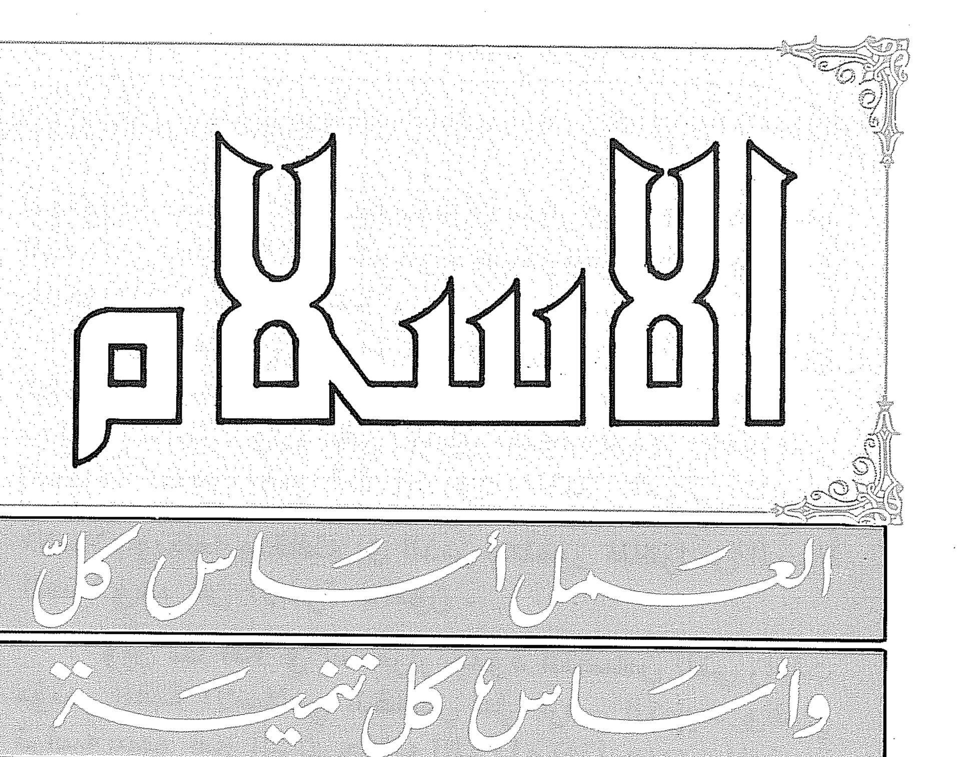
ان علينا ان نستمد من وحي ذكرى الهجرة روح الوحدة والبناء والتكامل والنهضة الشاملة فكريا وماديا ، محليا وعالميا ، وأن نعي الدور المنوط بهذه الأمة التي اختيرت لتكون خير أمة أخرجت للناس تحمل مبادىء الاسلام ونظمه وثقافته إلى الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون .

وإن لنا أملا في استمرار جذوة التضامن التي رافقت مؤتمر القمة الاسلامي الخامس على أرض الكويت والذي ترأسه سمو أمير البلاد ـ حفظه الله ـ ولم تفتأ جهوده المبرورة في رأب الصدع وتقريب الوجهات المتباعدة واصلاح ذات البين باذلا في سبيل ذلك منتهى الجهد وغاية الوفاء والاخلاص لأمته ودينه فجزاه الله خير ما جزى به عباده المخلصين وكلل مساعيه بالنجاح والتوفيق إلى ما فيه خير الأمة الاسلامية .

وننتهز هذه الفرصة لنقدم إلى صاحب السمو أمير البلاد وسمو ولي العهد حفظهما الله وإلى المسلمين في مشارق الارض ومغاربها أطيب التهاني بالعام الجديد ، سائلين المولي عز وجل ان يجعله عام الفيئة إلى أمر الله والأمن والرخاء .

وكل عام وأنتم بخير ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،



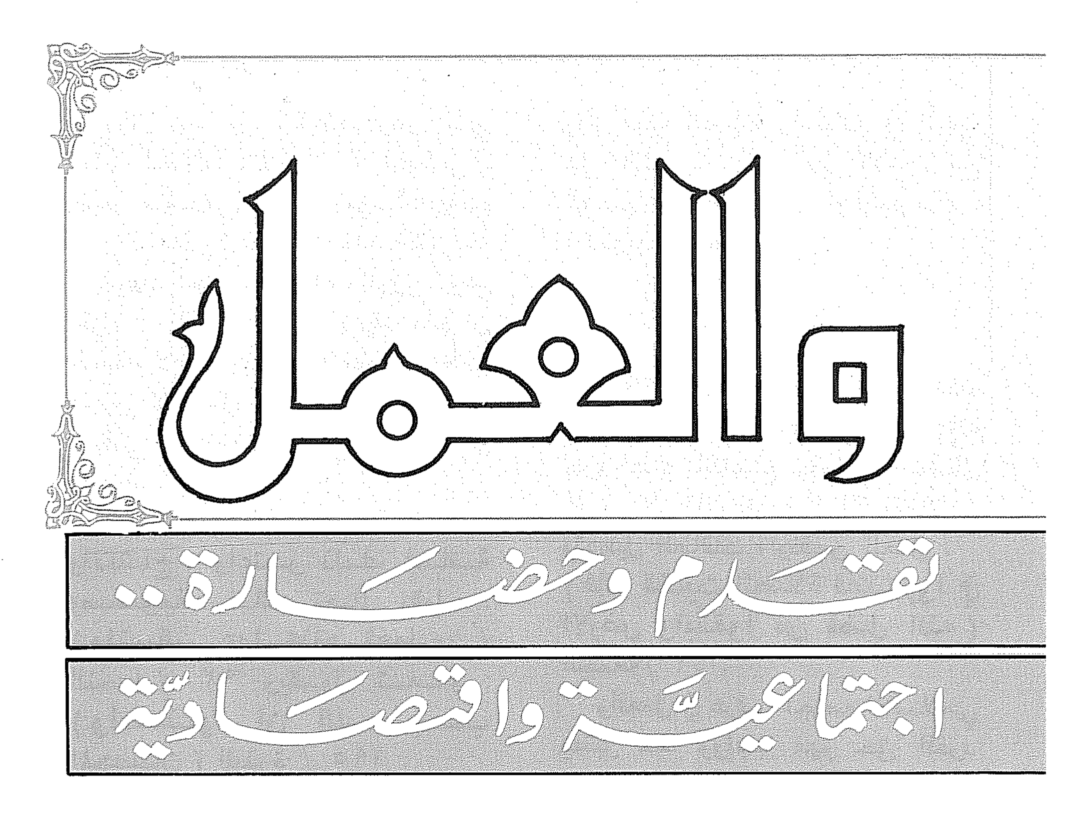
للدكتور/ عز الدين فراج

لا يمكن أن تقوم حياة بلا عمل ، كما لا يمكن أن تنتظم الحياة إلا بعمل منظم متقن . وقد خلق الله الانسان يُعمر هذه الارض ويستغل خيراتها وكنوزها ومواردها . ولهذا قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : **(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزلة/ ٧ و ٨ .

بالعمل قامت مدنيات ، وارتقت شعوب ، وسعدت أمم ، واستقر الانسان وهدأ واطمأن . رأينا دولا ارتقت إلى سماء المجد والرفعة ، ثم اخلد شبابها إلى اللعب واللهو والنعيم ، فسرى إليها الضعف بعد قوة ، وخبا نجمها ، وتعثر سيرها ، وتخلف عن مكان القيادة والسيادة .

ورأينا دولا خرجت من الحرب محطمة مهزومة ، ولكنها عادت تستجمع قواها وتعمل بلا يأس ، ومن غير انقطاع ، حتى خرجت من بين الانقاض ، وحطام المعارك ، وأكوام الهزائم ، رافعة رأسها ، ناشرة أعلامها . من هذا نرى أن العمل قوام الحياة ، وسر الوجود ، وأساس القوة والتطور والرقي ... وهذا ما دعا إليه الاسلام في أربعة عشر قرنا من الزمان ، ولولا العمل ما قامت الحضارة الاسلامية التي نبعت منها الحضارة الاوربية .

والأنبياء مع عظم مكانتهم كانوا



يعملون ، وكانوا يأكلون من عمل أيديهم ، فكان « **نوح** » يصنع السفن ، « **وداود** » يصنع الدروع ، وكان محمد عليه الصلاة والسلام يرعى الغنم في صغره ، ويشتغل بالتجارة في شبابه .

قال تعالى : (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**) التوبة/ ١٠٥ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب فيبيع فيأكل . خير له من أن يسأل الناس اعطوه أو منعوه » وقال عمر بن الخطاب : أرى الرجل فيعجبني فأقول هل له حرفة فإذا قيل لا سقط من عيني .

وهل هناك ماهو أعظم في تمجيد العمل وبيان قيمته من قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا قامت الساعة ، وفي يد أحدكم غرسة فليغرسها »..

وكان عليه الصلاة والسلام يعمل مع أصحابه ، حمل الحجارة عند بناء مسجد المدينة وضرب بمعوله في حفر الخندق حولها ، وحمل التراب فوق كتفه ، وكان يقول « أشد الناس عذابا يوم القيمة المكفى الفارغ » .

لا عيب في العمل ، فقد كان الإمام أبو حنيفة ـ وهو من أعلام الفقه والدين ـ خزازا ، وكان الحسن بن الهيثم واضع علم الضوء يتكسب من نسخ الكتب في رحاب الأزهر الشريف بالقاهرة .

وقال عمر بن الخطاب وهو الذي انشأ الخلافة الاسلامية العظمى . وليس هناك من يدعي اليوم أنه يفهم أمر الاسلام في هذا الصدد اكثر منه « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق . وهو يقول : اللهم ارزقني . وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة فطلب الرزق لا ينافي قول المؤمن : اللهم ارزقني وانما هو جمع بين الايمان والعمل .

لقد أوجب الاسلام اتقان العمل والانتاج ، واعتبر ذلك أمانة ومسئولية ، فالله تعالى يقول : **(ولتسألن عما كنتم تعملون)** النحل/ ٩٣ ويقول تعالى : **(وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)** البقرة / ١٩٥ .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » رواه البيهقي « واتقان العمل والانتاج يستوجب اتباع أدق وأحدث الأساليب العلمية في الانتاج وصدق الله العظيم إذ يقول : **(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** الزمر/ ٩ . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « قليل العمل مع العلم كثير ، وكثيره مع الجهل قليل » .

وقد مجد الاسلام مختلف انواع النشاط الاجتماعي والاقتصادي فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول في الحث على الزراعة . « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير او انسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » اخرجه البخاري ومسلم .

وقال عليه الصلاة والسلام في الحث على التجارة : « التاجر الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » (اخرجه البخاري) .

قيمة العمل :

والانسان المستخلف يثبت بعمله حقيقة وجوده وانسانيته ، ولذلك فإنه حرم عليه التمتع بثمرات اعمال غيره ، لأن ذلك يؤدي إلى الاستغلال ، وتعطيل الطاقات ، ونقص العمل : **(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله)** الجمعة/ ١٠ .

والعمل في عرف المجتمع الاسلامي يعتبر حقا وواجبا فهو حق الفرد وواجب عليه ايضا قبل المجتمع .

وينبني على ذلك التزام المجتمع بتوفير العمل لكل قادر .

والتزام كل قادر بتقديم العمل إلى المجتمع ، فلا مكان في المجتمع المسلم للعاطل اختيارا .

ـ عن انس رضي الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله . فقال : أما في بيتك شيء ؟ فقال : بلى . حلس (اي كساء غليظ ممتهن يلبس بعضه ويبسط بعضه) وقعب نشرب فيه الماء . قال : آتنى بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال : من يشترى هذين ؟ قال رجل : أنا أخذهما بدرهمين . فأعطاه إياهما وأخذ الدرهمين . فأعطاهما الانصاري وقال : اشتر بأحدهما

طعاما فانبذه إلى أهلك . واشتر بالآخر قدوما فأتني به . فأتاه به . فشد فيه رسول الله عودا بيده . ثم قال : اذهب فاحتطب وبع . ولا أرينك خمسة عشر يوما . ففعل . فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا خير لك من ان تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة » .

سخر الله تعالى الكون للانسان ليعمل فيه ، وقد أمر القرآن الكريم بذلك فقال تعالى : (**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه**) الملك/ ١٥ .

فالسعي في طلب الرزق بالعمل الحلال أمر مطلوب . ولقد قرر النبي صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ما لا يكفره إلا السعي في طلب الرزق ، فالعمل مطلوب وليست فائدته على العامل وحده ، وانما فائدته على الجماعة كلها ، فهذا العامل الذي يفلح في الأرض لتثمر الثمر وتنبت الزرع إنما يقدم للمجتمع خيرا عظيما .. وهذا العامل الذي يبني الدور إنما ينشيء بيديه القويتين مسكنا لأخيه الانسان ، وهذا العامل الذي ينسج الثوب يقف على الآلة إنما يقدم للمجتمع كساءه .

ومن أحب ما يقرب العبد الى ربه العمل المتقن الجيد ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب من العامل إذا عمل عملا أن يحسنه » وفي رواية أخرى « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

وقال تعالى : (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**) .

العمل المنظم :

والنظام هو الوسيلة الى عمل متصل مثمر ، وما نهضت أمة ، وبلغت القمة إلا بالعمل المنظم . والنظام معناه أن يعرف كل مواطن ، ما له وما عليه من أعمال وواجبات يؤديها في وقتها المناسب ، كاملة غير منقوصة ، ومعنى النظام أن تعمل الأمة كلها وكأنها آلة كبيرة ، تعمل بكل عجلاتها وتروسها ومساميرها ، كل في موضعه يؤدي عمله الذي خصص له ، واذا تخلف أي جزء من أجزاء هذه الآلة الكبيرة يؤثر على باقي الأجزاء ، فيعطلها ويؤخرها .

وعندما يسود النظام في المدرسة والشارع والمكتب والمعمل والمصنع والحقل والمحكمة ، تسير الأمور في طريقها الصحيح تبعا لخطة سليمة ، نحو الغاية المنشودة .

والذين زاروا البلاد الأجنبية من اهل الشرق لمسوا فيها النظام السائد في كل مكان ، فكل فرد يعرف طريقه وحقه وواجبه ومكانه ، ولا يحاول أن يجيء متأخرا ليغتصب مكان من سبقه ، فشعار كل واحد هناك « من يحترم النظام يحفظه النظام ويرعاه » .

فليكن النظام شعارنا ، وليكن معنى ساميا في نفوسنا ، قبل أن يكون لفظا مكتوبا في كتبنا .

القول والفعل :

واعتاد بعض الناس أن يقولوا كثيرا ولا يعملوا غير القليل .. في هؤلاء قال الشاعر العربي « خليل مطران » :

فوق الكلام العمل
به نجاح الأمل
أيهما مفلح ؟
من قال ؟ أم من فعل
قبل الشروع انشد
ذاك أوان المهل
فالخير في السير عن
روية ، لا عجل
وبعد أقدم بلا
تردد ، أو وجل
فإن تصمم ولم
تحجم فأنت البطل
كذلك فاز الألى
بهم يساق المثل

العمل ثروة :

عندما شعر أحد الآباء بدنو أجله نادى ولده بجانبه وقال له : لا تقل إن أباك لم يترك لك ضياعا أو قصورا ، فهاأنذا تاركك وفي يدك صنعة وفي بدنك صحة ، وفي نفسك أمانة وحسن سمعة .. ليس المال كل شيء في الحياة يا ولدي .. بالمال الوافر تستطيع أن تشتري أحسن الغذاء ، ولكنك لا تستطيع أن تشتري الرغبة في هذا الغذاء .. بالمال الموفور تستطيع شراء أندر الدواء ، ولكن يعجز أن يقدم لك الصحة والعافية ، وبالمال الوافر تستطيع أن تشتري أتباعا ، ولكن لا تستطيع أن تشتري إخلاصا وأمانة .

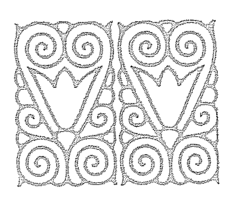
وانت ياولدي قادر على العمل اليدوي الناجح المثمر ما دام في يدك صنعة وفي بدنك صحة ، وفي نفسك أمانة وحسن سمعة .

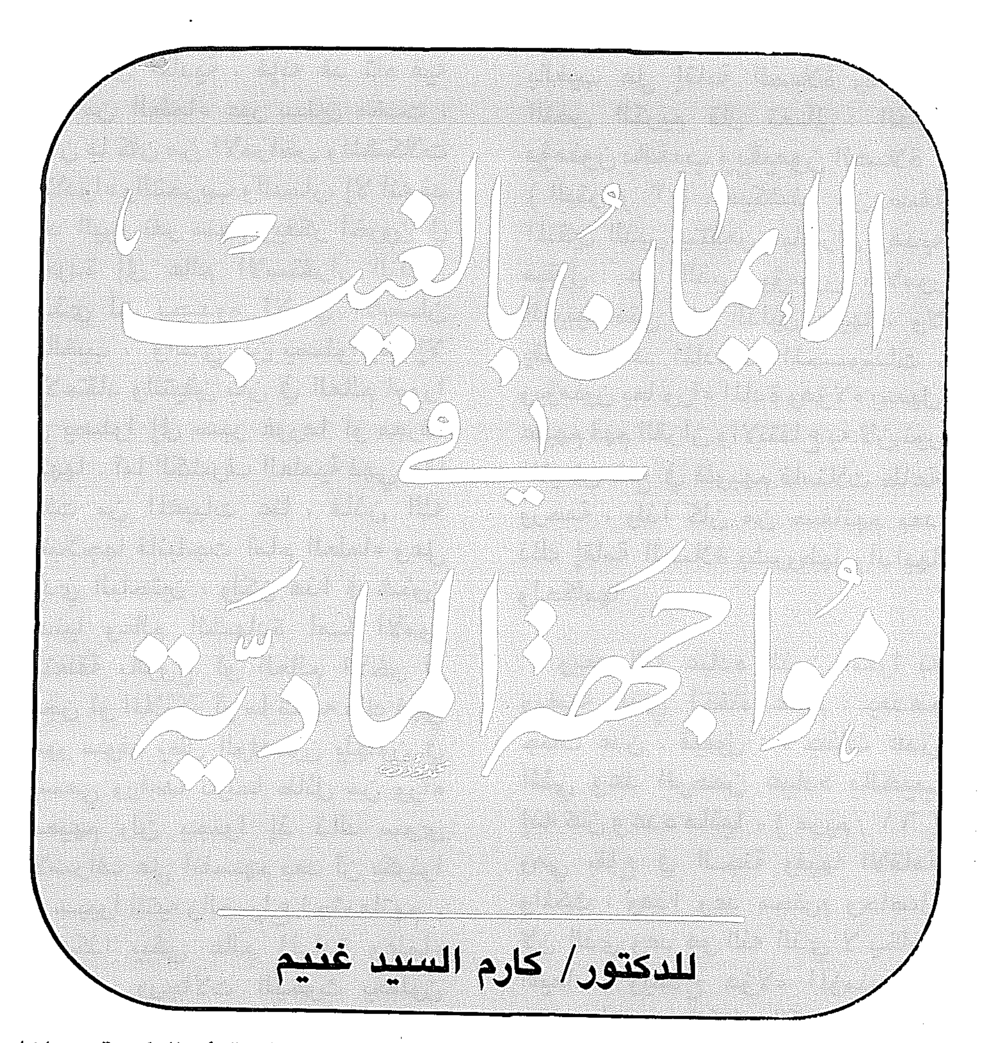
والعمل شرف .
والعمل كسب .
والعمل ثروة .

وهذا العمل يجعلك بعيدا عن أنياب العوز والحاجة ، وعندئذ تكون السعادة والراحة والطمأنينة في متناول يدك .

لهذا أوصيك يا ولدي بثلاثة أمور : أوصيك بصناعتك ، فصناعة في اليد أمان من الفقر ، وأوصيك بصحتك فهي درعك وسندك ، وأوصيك بالأمانة وحسن السمعة فهي لأمثالك كنز وثروة .

ها هي ذي نصيحتي يا بني ، قلتها لك ، قبل أن تأتيني منيتي ، على حين غرة ، وانت إذا عملت بها فزت بالسعادة والراحة والطمأنينة .





تمهيد :

ان الايمان بالله ذاتا وصفات وأفعالا دون أن نراه ، والايمان بمخلوقات الله كالملائكة والجن دون ان نراها ، والايمان بالكتب السماوية دون ان نعاصر نزولها ، والايمان بالقيامة والبعث والنشور والجزاء والعقاب والجنة والنار ، كله من الايمان بالمسائل المغيبة عن الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية وكافة درجاتهم الادراكية أو الفكرية . وإذا كان الايمان بالغيب أصلا من أصول الفطرة الانسانية السوية فإنه في عصر التقدم العلمي وفي عالم المدنية المعاصرة أشد طلبا وأعظم خطرا في حياة البشر وسلامة النفوس مما يعتريها من جنون وصرع ويصيبها من أدواء تتولد يوما بعد يوم . إذا كان عصرنا الحالي هو عصر الفتوحات العلمية والكشوف الكونية ، عصر يزن كل أمر في الحياة بالقيم العلمية

والمقاييس المادية ، فإنه قد تاه فيه كثير من العلماء عبر سنين مضت ، فكان ما كان من الأمراض والمشكلات والأدواء والتخريب والدمار، إلا أنه قد عاد اليوم نفر منهم ويفكر آخرون في العودة إلى عالم الاستقرار النفسي الذي لن يجدوه إلا في الايمان بالغيب ، والذي لن يصلوا إليه إلا بالاعتقاد والتيقن بأن في العالم امورا لن يصلوا إلى سبر غورها أو معرفة كنهها . أما الكشوف العلمية فهي حقا كانت من المغيبات عنا ، فأذن الله بانبلاجها فانبلجت أمام العلماء وعلى أيدي الباحثين ، ولكن هذا في شئون الدنيا وعالم الشهادة أما الأمور المتعلقة بالروح أو العالم الآخر أو الجن أو الملائكة أو ما شابه ذلك فهي أمور سوف يظل الواهمون يلهثون في السعي وراءها دونما طائل من وراء سعيهم ولن يجنوا إذ ذاك سوى الاسراف على أنفسهم بعد أن يكونوا قد سببوا التيه والضياع لمجتمعاتهم .

هكذا يبقى عالم المادة وعلماء الكشوف ورجالات البحوث يعملون ويبحثون واقفين على شاطىء الغيب المحجوب وهم في حيرة ، مشدوهة عقولهم ، فهم قادرون على تعليل الظواهر الكونية والأمور الطبيعية ، لكنهم عاجزون عن ادراك ما وراء هذه الظواهر من حقائق تتحدى العقول .

التصديق بالغيب أصل من أصول الايمان :

قدم الله سبحانه وتعالى الايمان بالغيب على إقامة الصلاة وذلك في النص الكريم قال تعالى : **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة** » (البقرة/ ٣) ، فيكشف عن صفة المتقين الذين ينتفعون بالقرآن وهديه فيقول : هم الذين يؤمنون بالأمور الغيبية متى قام الدليل عليها ، ولا يقفون عند الماديات المحسوسات ، ويؤمنون بما وراء المادة وهؤلاء يسهل عليهم فهم القرآن والانتفاع به لأن نور الايمان شع في قلوبهم فامتلأت طاعة ورحمة ، ولذا كان من صفاتهم بعد ذلك إقامة الصلاة بشروطها وآدابها وأحكامها .

ويعد الله عباده الذين آمنوا به وبغيبه الذي أخفاه عنهم ، يعدهم جنات عدن ، فيقول : « **جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا** » (مريم/ ٦١) وهي بقاع في الجنة وفيها الاقامة والمكث ، وهذا وعد محتوم وحاصل لأن الذي وعد هو الله الذي لا يخلف الميعاد . ويمدح هؤلاء المؤمنين في موضع آخر من الكتاب الكريم فيقول : « **الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون** » (الأنبياء/ ٤٩) فالذين يسلكون طريق الهداية وسبيل النجاة هم اولئك الذين يخشون ربهم ويخافون حسابه فيأتمرون بأمره وينتهون بنهيه ، وهم الذين يؤمنون بالغيب الذي استأثر به علام الغيوب .

ثم يخبر الله ان المؤمنين بغيبه هم الذين اتبعوا الرسول وهم الذين تنفع معهم الموعظة ويفيد معهم النصح ،

نعم إن هؤلاء يستجيبون لما أنذر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ينذر به خلفاؤه من بعده مما اتبعوا فيه وساروا عليه ، وكذلك فالـذين يستجيبون للدعاة إلى الله هم أولئك المؤمنون بأن للكون الها له القدرة المطلقة هي المحركة لهذا الكون . أما الصنف المادي من الناس فالايمان بالغيبيات عنده ضرب من الخيال ، وهذا قد انطمس قلبه ولا نفع في إنذاره ، اللهم إلا اذا نفض عن عقله غبار عبادة المادية واعتناق الوجودية ، وفكر بعمق وأناة في نفسه أولا ثم في جزئيات العالم من حوله ، ليجد أن طريق الايمان بالله والايمان بما أخبر به الرسـل الكرام من الأمور الغيبية هو الطريق الصواب في هذه الحياة الدنيا وهو المنقذ من الضـلال في الجاهلية الحديثة ومما تحويه من أمراض وأدواء .

مفاتيح الغيب والعلوم الحديثة :

يقول الله عز وجل « **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** » (الانعام/ ٥٩) ، فمفاتـح الغيب إشارة إلى أن الغيب المستور انما هو عند الله ولا يمكن أن يصل إليه أي مخلوق ، ذلك أن مفاتحه لا يعلمها إلا هو سبحانه ، وهو الذي يعلم ما في البر والبحر من مشاهدات ومن أسرار ومكنونات ومغيبات ، لأنه هو الذي خلق كل شيء ، خلق الرمال وأحصى عدها وأنواعها ، وخلق الأشجار ويعلم مساقط أوراقها وأوقاتها ، فلا شيء في أغوار الأرض ولا في أعماق البحار حيا كان أو جامدا أو موجودا إلا وهو مسجل عند الله : خلقه ومستقره ومستودعه .

علم الساعة

متى تقوم قيامة هذه الـدنيا ؟ سؤال ليس له جواب ، ذلك لأن هذا الموعد استأثر به الله سبحانه فلم يطلع عليه أحدا من خلقه جنا كان أو انسا أو ملكا ، فكل خلقه وكائناته لا يعرفون متى تقوم الساعة ولا متى يبعث الناس من قبورهم ، ولقد ثبت هذا أيضا بنصوص اخرى قرآنية ونبوية ، وهذا جبريل حينما جاء في صورة آدمي يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسلام ثم عن الايمان ثم عن الاحسان ثم سأله عن ميعاد قيام القيامة فأجابه صلى الله عليه وسلم بقوله عن هذه اللحظة : (مـا المسئـول عنهـا بـأعلم من السائل) . وتتصـل معرفـة ميعاد القيامة من الأسرار والخفاء حتى ان الله سبحانه يقول : « **إن الساعة آتية أكاد أخفيها** » (طه/ ١٢) ، وفي هذا التعبير مبالغة شديدة في أن أمر القيامة خاف عن جميع المخلوقات خفاء محتوما مؤكدا .

وإذا كان العلم الحديث قد وضع حسابا تقديريا لبداية خلق الارض فانه عاجز لا محالة عن تقدير عمر الدنيا ونقطة النهاية لها مهما بلغ

التقدم العلمي في الاجهزة ومهما ارتقت وسائل الحساب والتقدير الزمني في العالم ، ذلك لأن الذي يعطي العقل البشري هذه القدرة على الاختراع والابتكار والاكتشاف إنما هو الخالق العظيم وهو ذاته الذي أخفى علم القيامة وموعد حدوثها .

(٢) إنزال الغيث :

وهو إسقاط الامطار ، فرغم أن الله سبحانه وتعالى قد وكل أحد ملائكته بأن يسوق الرياح فان ذلك الملك لا يقدر على علم أي شيء الا بعد ان ينزله الله إليه ويعرفه إياه ، إذا فالله وحده هو العالم الأعلى الأعظم بأحوال الرياح وأخبار الأمطار ، والمطر يسمى غيثا لأنه يغيث الارض من جدبها وجفافها . وأما عن **علم الارصاد الجوية** وعمله في رصد تحركات الظواهر الجوية فانه مهما بلغ ومهما سيبلغ من التقدم والارتقاء لن يستطيع ان يحول سحابة من طريقها الذي حدده الله لها ويجعلها تمطر في مكان آخر ، والا لاستطاع ان يروي الصحاري الشاسعة والتي يحاول العلم جاهدا ان يصل إلى حل لاستغلالها . وسوف نفصل القول بعض الشيء عن موقع الفلك والارصاد الجوية في عقيدة الايمان بالغيب بعد قليل .

(٣) حياة الأجنة في الأرحام :

مهما تقدمت وسائل البحث عند الانسان ومهما عظمت أدواته فانه عاجز لا محالة عن أمور أخفاها الله سبحانه وتعالى ، ولا يمكن ان يصل إلى آية من آيات كون الله إلا بعد إذنه سبحانه وإباحته ذلك ، بل هو سبحانه الذي يرزق ذلك العالم أو هذا الباحث القدرة العقلية فيما توصل إليه من بحوث واستنتاج ، فإذا واجهنا اليوم الطب بأنه توصل إلى وسائل يعرف باستخدامها نوعية الجنين في بطن أمه ذكر هو أم أنثى ؟

فان هذا أمر احتمالي حتى الآن وليس بالامر الحقيقي المؤكد ، فهناك حالات لم ينجح الطب الحديث في تقديره عنها ، وحتى لو نجح فإنه إلى يوم القيامة لا يمكنه بحال من الأحوال معرفة ما في الأرحام من هيئة ولا يمكن أن يعرف أن الجنين الموجود شقي أم سعيد ؟ أو يعرف أحوال حياته أو يعرف مجرياته في الدنيا التي سوف يخرج إليها أو يعرف متى ينتهى أجله أو يعرف أي شيء من خريطة حياته التي رسمها الله له منذ الأزل . وأبحاث المؤتمر الطبي العالمي الخاص بإعجاز القرآن والسنة والمنعقد في القاهرة (مبنى جامعة الدول العربية) سنة ١٩٨٥ شاهدة بما قلناه .

(٤) الارزاق والمعايش ومجريات الحياة :

يمكن إيجاز القول بصدد هذه المسألة في أن أحداث الحياة التي تقع لكل مخلوق إنما هي أمور مقدرة في علم الله وأشياء مسطورة في أزله منذ خلق الله آدم وأخذ من ظهره ذريته ،

ومهما ظن الانسان أنه يعلم كم سيكسب ، ومهما ظن أنه يعلم متى سيحصل على شيء ما ، فان كل أموره محسوبة عند الله حتى نهاية حياة ذلك الانسان ، وليتقول المتقولون وليتشدق الضالون في تحدى علم الله وقدرته ، فإناً بالله وانا بقدرته وانا بعظمته وانا بحكمته وانا بغيبه مؤمنون .

(٥) الآجال والأعمار وأماكن خروج الأرواح :

لا يمكن لأي مخلوق من مخلوقات الله أن يتوصل إلى معرفة ميعاد مفارقة روحه لجسده ولا مكان هذا الحادث ولا ظروفه ولا هيئته . فآجال الكائنات أمور محتومة أكيدة باللحظة زمانا وبالسنتمتر مكانا ، أو أدق من ذلك التحديد ، حتى إن المخلوق يمشى إلى مكان خروج روحه الذي قدره الله عليه، فلقد ورد في الحديث النبوي الذي رواه الطبراني في معجمه الكبير ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (اذا أراد الله قبض عبد بأرض ، جعل له اليها حاجة) ، أي جعل لهذا العبد ضرورة من الضرورات تدفعه إلى الذهاب إلى هذا المكان الذي قدره له أن تقبض روحه فيه .

أمور غيبية يظهرها الله :

يقول الله تعالى : « **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا** » (الجن/ ٢٦ ، ٢٧) ، ويوضح الدكتور حجازي في « التفسير الواضح » ان الله عنده علم الغيب ولا يطلع عليه احد من خلقه إنسيا أو جنيا أو غيرهما ، إلا من ارتضى من رسله الذين هم أصحاب الشرائع السماوية ، فان الله أطلعهم على بعض غيوبه فكانت التوراة والزبور والانجيل والقرآن ، وغيرها من أنواع الغيوب التي اطلع الله عليها بعض خلقه بواسطة الوحي بها على لسان ملك الوحي ، « **وما هو علي الغيب بضنين** »(٢٤ التكوير)فالمراد بالغيب القرآن ، أي ماهو بمتهم عليه حتى يتصور أنه غير أو بدل ، ويريد الله أن يعلمنا أن هذا الغيب وصل إلى الرسل عن طريق محكم جدا ، وبلغته الرسل بأمانة ودقة وحكمة ، لم يكن معه نسيان أو إهمال أو خطأ في شيء .

ويخبرنا الله سبحانه أن الغيب الآلهي محاط بسور لا يقربه إلا المرتضى المختار من الرسل الكرام . يقول الله سبحانه « **وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء** » (آل عمران/ ١٧٩) ، يعرفنا هذا النص الإلهي أن الله يجتبى ويختار من عباده الرسل ويبرز لهم شيئا من الغيب لأمور تتعلق بإبلاغ وحي الله للناس وذلك لأن مرتبة الاطلاع على الغيب مرتبة عليا تعطى للدعاة الأوائل تدعيما لهم ،

والمعجزات والارهاصات والكرامات وخوارق العادات أمور يتم بحثها في باب العقائد .

وتفصيل هذا الجانب ليس محله في مقال قصير كهذا . إلا أننا نود إيجاز الأمور التالية :

١ ـ الفراسة :

وهي أن ينظر الصالح في وجه شخص أو في كلامه فيرى أمرا ما ويكون كما ظن ، معنى هذا ان هذا المؤمن صادق الحدس ، وفراسة المؤمن ثابتة بالنصوص الشرعية وبالأمثلة الحادثة .

٢ ـ الاستشعار على البعد (التلباثى) : وحادثة الفاروق عمر بن الخطاب التي أشار فيها على سارية بأن يلتزم الجبل في المعركة التي تدور بين المسلمين بقيادته وبين أعداء الله ، هذه حادثة مشهورة ويسميها المعاصرون (التلباثى) ، فسماع سارية وجنده لصوت امير المؤمنين ، اذ توقف عن الكلام في خطبته فوق المنبر فجأة وقال (يا سارية : الجبل) ، كرامة لهؤلاء الجند ، كما أنها كرامة لأمير المؤمنين إذ رأى حال المعركة واذ وصل صوته لمكان المعركة رغم الأميال التي تفصل المدينة المنورة عن ساحة المعركة . والقصة معروضة بالتفصيل في « عبقرية عمر » للاستاذ عباس محمود العقاد .

٣ ـ المكاشفات :

ومنها رؤية الانسان للملائكة أو سماعه لهم ونحو ذلك ، والأدلة على ذلك كثيرة ، منها ما وقع قبل بعثة رسولنا صلوات الله وسلامه عليه ، ومنها ما وقع لبعض من جيل الصحابة ومنها ما يقع لمن بعدهم من عباد الله الصالحين المخلصين الصادقين ، فهذه العذراء البتول مريم ابنة عمران أم المسيح عليه السلام كانت صديقة فبالرغم من انها لم تؤت نبوة إلا أن الملائكة كانت تخاطبها ، وذلك بالدليل القرآنى : « **واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين** » (آل عمران/ ٤٢) . ولمزيد من التفصيل في هذا الجانب نوصى بالرجوع إلى إحياء علوم الدين للامام أبو حامد الغزالى ، وبعض مؤلفات الامام عبدالحليم محمود .

ويجمل بنا قبل أن نغادر هذه الجزئية أن نسوق مثالا آخر ـ أورده الامام البخاري في صحيحه ـ وقع لواحد من جيل الصحابة رضوان الله عليهم وهو أسيد بن حضير ، فقد كان ليلة يقرأ القرآن ويرقد بجانبه ابنه ، وبالقرب منهما يقف فرسه ، فلما أخذ أسيد في القراءة جالت الفرس ـ اي اهتزت واضطربت وتحركت ـ فلما سكت هو سكنت هي ، وهكذا كلما قرأ جالت وكلما سكت هدأت وتوقفت ، فتوقف عن القراءة خوفا ان تطأ الفرس ابنه يحيى من كثرة حركتها ،

فأخره عن مكانه ورفع بصره إلى السماء فاذا به يرى مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فلما أصبح أسيد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وقع له في هذه الليلة فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الظلة : تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت ـ أي حتى الصبح ـ لأصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى عنهم .

ـ الإلهامات :

الالهام هو الإخبار بأمر خاص في ظروف خاصة تستدعى ذلك وبدون تكلف من المؤمن « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » ويطلق عليه أحيانا لفظ (الوارد) ، فالالهامات هي ايضا الواردات . وفي المسألة تفصيل واضح في كتاب « تربيتنا الروحية » للاستاذ سعيد حوى .

أمور الكهانة وعقيدة الإيمان بالغيب :

يوجد من أمور الكهانة :

١ ـ العرافة :

والذي يزاولها يسمى (عرافا) ، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفته بها ، ومن العرافة :

ضرب الودع : وهو ما يقوم به النساء (ضاربات الودع) من ضرب بعض الحصى ببعضه ادعاء لسماع مخاطبة تأتيها بشأن المضروب له الودع .

علم الرمل : وهو عمل خطوط في الرمل ونقط واتباع طرق خاصة في تفصيل الخطوط والنقط أو ازالة بعضها ثم الوصول إلى استنتاج أمور غيبية .

قراءة الكف . قراءة تضاريس الاصابع . قراءة الفنجان .

٢ ـ علم النجوم أو التنجيم : (Astronomy) :

وهو فن يتقنه بعض المضللين من الناس يقومون برصد بعض النجوم ، وباتباع وسائل خاصة في حسابات لتحركها يستنتجون أمورا تتعلق بأشخاص من الاخبار بسعدهم أو نحسهم ، حظهم أو شقائهم ، حيث عندهم ان كل فرد في العالم يولد في برج معين ولذا يكون حظه مرتبطا بهذا البرج .

٣ ـ التنويم المغناطيسي واستحضار الارواح :

هذه أمور ظنية غير حقيقية ، واذا جاز لنا افتراض صحتها فانها رغم ذلك ليست من عالم الغيب وانما هي من عالم الشهود .

أما عن خطورة هذه الأمور فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) ، حديث صحيح .

واذا كان العرب قديما يذهبون إلى الكهان لاستشارتهم في سائر شئونهم ، فما يزال في عصرنا الحاضر من يتردد على من يدعي أن له تابعا من الجن يأتيه في يوم معين من

الاسبوع فيكشف للناس عن ضمائرهم وعن حلول مشاكلهم ، وكل هؤلاء بقايا كهانة الجاهلية القديمة . وأي أمر باطل شائع في المجتمع - أيا كان - متفش بين الناس لابد وان يكون له جذور في التاريخ القديم ، فكثير من الناس يعيشون في جاهلية متفشية في العالم .

علوم الفلك والأرصاد الجوية :

يقول الله تعالى : « **هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون** » (يونس/ ٥) ، ويقول ايضا : « **وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ، ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا** » (الاسراء/ ١٢) ، فالله سبحانه وتعالى تفضل على خلقه بأن جعل لهم الكواكب منازل وآفاقا تنتقل فيها ، وجعل الليل والنهار متعاقبين ، كل ذلك لمعرفة الأوقات وحساب الأيام والليالي والشهور والأعوام ، وكل هذه أمور صالحة لحياة الناس ودنياهم واقامة الشعائر من صلاة وحج وزكاة ومعاملات بين الناس .. ومن هنا فان علم الفلك (Astrology) يختلف اختلافا كليا عن علم التنجيم والبروج ، ذلك لأنه يقوم على معلومات مبنية على قوانين ويعتمد على مقدمات علمية وعلى تحركات للرياح ويستخدم آلات حساسة للظواهر الجوية تعطى معلومات محسوسة عنها . يقول د. محمد جمال الدين الفندي في بعض مؤلفاته ومنها كتاب « الله والكون » ان التنجيم ليس فرعا من فروع علم الفلك على الاطلاق ، إنما هو حرفة من الحرف التي اشتغل - أو يشتغل - بها بعض الناس من أجل التكسب ، أما الفلك فهو علم يقوم على أساس رصد أجرام السماء ودراستها باستخدام قوانين الطبيعة والرياضيات وآلات الرصد المختلفة .

وبالنسبة لموقف الدين من التنجيم فهو موقف الرفض المطلق (وقد أسلفنا ذلك في الفقرات السابقة) ، أما علم الفلك فعلم أمر به القرآن الكريم وحث عليه في مثل قول الله تعالى : « **ويتفكرون في خلق السموات والارض ..** » (آل عمران/ ١٩١) ، وبهذا يرى الناس قدرة الخالق ووحدانيته في نظام شامل كامل ، كذلك قوله تعالى « **قل انظروا ماذا في السموات والارض** » (يونس/١٠١) ، يعنى ادرسوا سائر أجرام السماء من نجوم وكواكب وأقمار ومذنبات وشهب .

أما الطالع (او البروج) ، التي يرتزق من ورائها بعض الدجالين ، فانها أمور ظنية جعل فيها المحترفون لكل برج صفاته المميزة وتأثيراته الخاصة على المستقبل (من غير دليل وبدون برهان) فأطلقوا على الجرم السماوي الذي يشرف ساعة الميلاد اسم دليل السعد (أو صفة السعد او علامة السعد) أو النحس ، فهم يجعلون مثلا شروق كوكب المشترى

علامة على وفرة الرزق والغنى، وشروق كوكب زحل علامة على الفقر، وهكذا في بقية كواكب وأجرام السماء. وكل هذه أعمال خارجة عن الدين، ويمقتها الله سبحانه ويبغضها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإذا شئنا أن نتحدث عن أهمية العلوم الفلكية فانها تفيد الناس افادات جليلة في جميع مجالات الحياة: زراعية وتجارية وحيوية أخرى، وهي علوم كفاية ـ من حيث حكمها الشرعي ـ شأنها شأن بقية علوم الأمة التي هي فرض كفاية يقوم بها نفر من الأمة لخدمة الباقين. وهناك في كتب «الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن»، «المدخل الايماني للدراسات الكونية» وكلاهما للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر، ثم «الكون والاعجاز العلمي للقرآن» للدكتور منصور حسب النبي، مزيد من الشرح والتفصيل في هذه الأمور والمسائل المتعددة.

ماذا يجني الانسان من ثمرات إيمانه بالغيب:

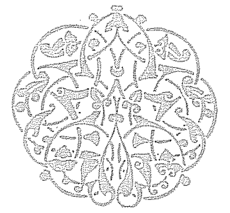
في ختام مقالنا نرى ايجاز بعض الثمرات العائدة على الانسان من عقيدة الايمان بالغيب، ونخص بالذكر الثمرات العاجلة في الدنيا ومنها:

١ ـ الايمان بالغيب يؤدي الى **الطمأنينة** التي يشعر بها الانسان في معترك الحياة الدنيا وصراعاتها فطالما يستشعر عظمة الله وقوته وصفات جلاله وجماله وكماله تصغر أمام عينيه كل مشكلات الدنيا ونوازلها، وتولد هذه العقيدة في نفسه عبور النوازل في ثقة بقضاء الله وعدله بل في لطفه وعفوه ورحمته في كل امر يقضيه.

٢ ـ ان عقيدة الايمان بالغيب تثمر ما يسمى (**الوعى الكونى**) الذي يؤدي الى انسجام الانسان مع الكائنات المحيطة به حيث التآلف والتعاطف والالفة، فيتوطد قانون الجاذبية والتكامل بين المخلوقات على وجه الأرض.

٣ ـ تثمر هذه العقيدة في نفس الانسان **صحوة الضمير** ويقظته، فلا يغفو عن الحق ولا يسهو عن رؤية ربه في كل لحظة في حياته.

٤ ـ تثمر هذه العقيدة في نفس الانسان معرفة **قيمة الحياة** وأنه خلق في هذه الحياة بغرض تحقيق خلافة الله في الأرض، وأنه مطالب بالسعي والكدح من أجل عمارة الدنيا.





للدكتور/ احمد عمر هاشم

الاسلام هو دين اليسر والسماحة ، تضمنت تعاليمه القويمة ومبادئه السمحة ما فيه سعادة الناس دنيا وأخرى ، وهو دين ينظم العلاقات القائمة بين البدن والنفس ، او بين متطلبات ، الجسد وبين اشواق الروح في الانسان .

ففي كل إنسان جانبان أحدهما مادي يتطلب الطعام والشراب والملبس والمسكن والزواج وما إلى ذلك مما جرت عليه سنة الحياة .

والجانب الآخر : روحي يتطلب صقل النفس وتهذيب الروح والاتجاه إلى الله يهذب النفس وينقيها ويصل بها إلى مرتبة التقوى كما قال الله سبحانه وتعالى : « **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** »(سورة البقرة . آية/ ١٨٣) وغير ذلك من العبادات التي شرعها الاسلام وغير ذلك من الطيبات التي أباحها الاسلام للانسان حتى يتواءم نظام البدن والروح ولا يحدث بينهما تفرقة أو انفصال .

والغلو في أحد الجانبين خروج عن سواء السبيل والتقصير في أحد الجانبين تضييع لحقوق يجب أن تراعى . وإهمال لأوامر لها أهميتها ومنزلتها . ومن هنا كان نداء

الاسلام معتدلا وقائما على أساس تنظيم العلاقة بين البدن والروح ، وإذا أستقام الأمر وانتظمت الحال انتظمت العلاقات الأخرى وأخذ الانسان طريقه إلى ربه سبحانه وتعالى في اعتدال لاعوج فيه . وفي انتظام لاغلو فيه ولا تقصير . فلا رهبانية في الاسلام ولا عسر ولا حرج ولكنها التشريعات الصحيحة التي أبطلت ما كان عليه بعضهم من رهبانية وما حاوله بعضهم من عزل الدين عن الحياة وإذا عزل الدين عن الحياة ضلت طريقها وتخبطت في شكوك وأوهام فالدين بمبادئه ونظمه ، بتعاليمه وقيمه يضيء للحياة طريقها ويبعث في جوانبها التفاؤل والأمل ويجعلها موصولة بالخير الدائم الذي لا ينقطع وبالفعل المستمر الذي لا يتوقف وعن تلك الرهبانية التي لم يرعها أهلها تحدث القرآن الكريم ، فقال الله تعالى : « **ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين أمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون** . » (سورة الحديد . آية/ ٢٧) .

وفي السنة الشريفة تحذير من تلك الرهبانية وترغيب في إعطاء الجسم حقه من الراحة ومن طيبات الحياة ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن نفرا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر ، فقال بعضهم : (لا اتزوج النساء وقال بعضهم : لا آكل اللحم وقال بعضهم : لا أنام على فراش فحمد الله واثنى عليه فقال : «ما بال أقوام قالوا : كذا وكذا ؟ لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» . رواه الامام مسلم .. وقال الله تعالى : « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك** » (سورة القصص . آية/ ٧٧) وقد وجه القرآن الكريم انظار المسلمين وقلوبهم إلى حقيقة هذه الحياة الدنيا وانها لعب ولهو وزينة ، والناس فيها متفاخرون ومتكاثرون ولكن نهايتها إلى زوال واخرتها إلى فناء فلا بقاء لها ولا خلود فيها وكل ما عليها عرض زائل فليس لانسان أن يتكالب عليها أو أن يتزاحم على حطامها ويتقاتل على بريقها وإنما اللائق بالانسان أن يكبح جماح نفسه فيعمل لآخرته وليس معنى هذا أن يهجر دنياه أو أن يتركها ويهملها ؟ لا وإنما يوفق بين دار العمل والتكليف ، وبين ما تتطلبه دار الجزاء ، الدار الاخرى التي هي خير وابقى يقول الله سبحانه وتعالى . « **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور** » (سورة الحديد : آية/ ٢٠) وحين يقصر الناس اتجاههم في الحياة على طلب المال والولد والمنصب فإنهم حينئذ يتجهون اتجاها ماديا بحتا .. والاسلام لا يحرم التمتع بالطيبات وينادي بعمارة الحياة بالمال والولد ولكن على شرط أن تكون قائمة على اساس من الفضائل والمثل التي نادى بها الاسلام فهو ينادي بأن تشرق

بالايثار والبذل ، بالتضحية والاخلاص بالتعاون والتساند على البر والتقوى . قال الله تعالى « **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** » (سورة ـ الكهف/ ٤٦) وبين الله سبحانه وتعالى انه لم يحرم زينه الله التي أخرجها لعباده ، ولا الطيبات من الرزق فقال جل شأنه « **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق** » (سورة الأعراف : آية/ ٣٢) .

وأما محاربة الاسلام للمادية الطاغية البحتة فذلك لأنها نأت عن القيم الرفيعة والآداب العالية والمثل الحية وأصبح هؤلاء الماديون المغالون يمثلون نشاطا جامدا خاليا من الروح والمعنى بعيدا عن المبادىء السامية بل حربا على المعاني الانسانية وعلى الفضائل الكريمة .

إن هؤلاء الماديين قد ضل سعيهم في الحياة الدنيا ويزعمون انهم يفعلون فعلا حسنا ويقومون باصلاح الحياة ، لقد انطبق عليهم قول الله سبحانه وتعالى : « **الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** » (سورة الكهف . آية/ ١٠٤) .

وأما السائرون على منهج الاسلام في اعتداله بين الطرفين بدون إفراط أو تفريط ومن غير غلو ولا تقصير ، فإن الله سبحانه وتعالى يزيدهم هدى على هداهم . قال سبحانه :« **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا** » (سورة مريم : آية ٧٦) تلك حقيقة قرآنية لا يرتاب فيها امرؤ ومعه عقله فالمهتدون السائرون على الحياة هم الذين يزيدهم الله هدى وبهم يشرق المجتمع الاسلامي بالمعاني النبيلة الفاضلة والذين لا تشدهم الحياة الدنيا ولا تجذبهم بزخارفها . هم الذين فطنوا لدورهم في الحياة ومهمتهم السامية في المجتمع الانساني ومن أجل ذلك حريصون على أن يتمثلوا مبادىء الحق . وان يرتادوا سبل الخير والاصلاح وهم بهذا كله جديرون لأن يمكن الله تعالى لهم في الأرض . وقد رسم القرآن الكريم صورة مشرقة لركائز التمكين ف الأرض وهي تقوم على المبادىء الآتية :

أولا : توثيق الصلة بالله سبحانه وتعالى ، بالقيام بأداء أوامره واجتناب نواهيه ، والاعلان عن ذلك إنما يتمثل في القيام بالصلاة التي هي عنوان الطاعة لله سبحانه وتعالى ، فالصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، وهي تكف صاحبها عن الفحشاء والمنكر كما قال الله تعالى « **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** » (سورة العنكبوت : آية/ ٤٥) وهي الصلة الوثيقة بين العبد وخالقه الكبير المتعال .

ثانيا : ربط الصلة بالمجتمع ونشر وسائل التكافل الاجتماعي تأكيدا وتنمية للعلاقات الانسانية الفاضلة بين الانسان واخيه الانسان وعلى قمة هذه العلاقات أداء الزكاة .

ثالثا : المهمة الكبرى التي تتطلب الغيرة من كل مسلم على دينه ودعوة الغير الى الرشد والخير بالحكمة والموعظة الحسنة والعمل على نشر فضائل الاسلام ومبادئه

عن طريق الدعوة الى الله أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر .
قال الله تعالى « **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** .. » (سورة الحج : آية/ ٤١) .
إن ركائز التمكين في الأرض تعنى القيام بواجب الانسان المسلم تجاه خالقه سبحانه وتعالى وتجاه نفسه ، وتجاه المجتمع الذي يعيش فيه ،
كما يجب على كل مسلم ان يدرك أهمية الوقوف عند معالم الحق والخير بحيث لا يميل ولا يحيد ولا ينحرف يمنة او يسرة ، والوقوف في مواجهة التيارات المادية الجارفة التي تشكلت بأشكال مختلفة وتسمت بأسماء متباينة متخذة بعض المذاهب الفاسدة مجرى لها او بعض النظريات الوافدة مذهبا وطريقا ، وفي هذا تضييع للقيم وحرب للاسلام ومقاومة هذه التيارات الوافدة من شيوعية وقاديانية وبهائية وغير ذلك من المذاهب الهدامة من أهم ركائز التمكين في الأرض لانه باب واسع من ابواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جعله الله سبحانه وتعالي من أهم دعائم خيرية هذه الأمة في قوله سبحانه وتعالى : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » (سورة آل عمران . آية ١١٠) ويقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان ..) رواه مسلم ..

★ رد بعض الشبهات ★

وقد آثار أعداء الاسلام وخصومه بعض الشبهات يحاولون بها أن يتهموا الاسلام بأنه يعادي الناحية الروحية ، وهي بدون شك ـ شبهة واهية لا أساس لها من الصحة فإن التشريع الاسلامي جاء وافيا بحاجات البدن والروح وبتنظيم الجانبين والاعتدال فيهما بلا إفراط أو تفريط فقد وجه القرآن الكريم جميع المسلمين إلى مراعاة مطالب الدنيا والآخرة حتى في دعائهم فقال سبحانه وتعالى :
« **فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق * ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار * أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب** »(سورة البقرة . آية/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢) ونهى القرآن الكريم عن تحريم الطيبات حفاظا على جانب الاعتدال بين المادة والروح كما حرّم الاعتداء ومجاوزة الحد في ذلك بل على الانسان أن يأكل مما رزقه الله من الحلال الطيب على أساس من التقوى والايمان وفي ضوئها .
قال سبحانه وتعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون** » (سورة المائدة : آية/ (٨٧ ، ٨٨) .
ويركز الاسلام على توجيهه للمسلمين محذرا لهم أن تغرهم الحياة الدنيا بماديتها ومباهجها وأن الأموال والاولاد فتنة وعند الله عظيم الاجر للمخلصين فقال سبحانه وتعالى « **واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر**

عظيم » (سورة الانفال . آية ٢٨) وقال تعالى « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب * قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد** » (سورة آل عمران . آية ١٤،١٥) .

وقد وضح الاسلام أهمية طلب الآخرة وضرورة العمل لها فمن كانت الآخرة همه، وعمل لها جمع الله له ما يريد، وجعله غني النفس بالايمان وتأتيه الدنيا منقادة راغمة .

وأما الذي ينكب على المادة يجمعها ويجعل الدنيا همه فإن الله يجعل الفقر بين عينيه ومهما واصل التعب والكد في سبيلها فإنه لا ينال منها إلا ما قدره الله سبحانه وتعالى .

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كانت الدنيا همه فرق الله عليه امره وجعل فقره بين عينيه ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب به ومن كانت الآخرة همه جمع الله أمره وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة ».. رواه البخاري وحياة السلف حافلة بالايثار والبذل والتضحية والمعروف حتى وأن ترتب على ذلك بذل كل ما يمتلكون .

نعم الاسلام : دعا بالتوسط كما سبق .. قال الله تعالى : « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط** »(سورة الاسراء . آية/ ٢٩) ولكن سلفنا الصالح في نظرتهم الايمانية الفاحصة يدركون قيمة ميراث الابناء من بعد .. وخطورة المادة حين يقوى جانبها ويشتد وحين يمسك الابناء بها وينحرفون بسببها .

فمن الناس من يورث أبناءه اموالا طائلة وعقارات وفيرة ظنا منه أنه حين يفارق الحياة يفارقها وهو مطمئن عليهم من الفقر، وينسى أن الفقر من الايمان هو أشر المخاوف . ومن الناس من يورث أبناءه إيمانا صادقا وعملا صالحا وسلوكا قويما ولم يترك لهم من المال شيئا . فإذا بثورة الايمان والعمل الصالح تجعلهم أغنياء في الدنيا وفي الآخرة .

ها هو ذا نموذج من السلف الصالح إنه الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لقد قال له مسلمة بن عبدالله - عند مرض موته . ياعمر لقد تركت أولئك لاشيء عندهم فيصبحون فقراء وما كان هذا يصح منك ياعمر فرد عليه قائلا والله مامنعتهم حقا هو لهم فبقى أحد رجلين .. إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له من كل ضيق مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . وإما رجل مكب على المعاصي فإني لم اكن لأقويه على معصية الله « إن الاسلام دعوة إلهية لسعادة البشر دنيا وأخرى، وفي قوانينه الرشيدة أمان للنفس والمال والعرض، وفي ظل تعاليمه السمحة المضيئة تشرق حياة الناس بالخير والرشد والحق والسعادة والله هو الهادي الى سواء السبيل ...



للأستاذ/ ماجد أحمد مومني

كرم الله الانسان عن غيره من المخلوقات بالادراك والعلم واستخلاف الله له في هذا الكون ، مع أمر أساسي آخر يضاف الى ذلك هو وحدة أصله ونشأته قال تعالى :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ..) سورة النساء / ١ .

والحديث الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام :

« .. يا أيها الناس ان الرب واحد والأب واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » رواه احمد .

ويترتب على ذلك صفاء النظرة للانسان ، وخلوها من الشوائب التي علقت بها ، ودحض كل النظريات التي قامت على التفريق بين الانسان وأخيه الانسان على أساس الجنس واللون والدم فهدم بذلك نظريات الشعوب المختارة وصفاء العرق وسبق بمبادئه مبادىء الأمم المتحدة المتعلقة بحقوق الانسان .

● انســانيــة الانســان رهن بحريته ●

لا يمكن أن تتحقق إنســانيــة الانسان بدون حريته لأنه لا معنى لاختياره وادراكه اذا لم يكن حرا .. ففي الحالة التي يفقد الانسان حريته يكون كالأنعام يساق كما تساق ، ولا يكون له شأن فيما يختار ، وتتعطل أهم ميزاته وأخص خصائصه وهي الانتفاع بنعمة العقل والادراك والفهم والاختيار .

● تصور الاسلام للحرية ●

الناس ـ في نظر الاسلام ـ منذ ولادتهم أحـرار ، لا حق لأحد في استعبادهم ولا تملكهم ، ولا فرض سيطرته عليهم تمشيا مع الأصل الذي قامت عليه الشريعة الاسلامية والذي أشارت اليه أكثر من آية في القرآن الكريم (... **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة**) ... وفي ذلك جاءت كلمة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه معبرة عن روح الاســلام ونظـرتـه : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .. » .

● مدار الحرية على الحقوق والواجبات ●

والانسان يعيش في هذه الحياة له عقل يفكر به ، وغرائز فطرية تدفعه لتحقيق وجوده وبقاء نوعه .. وبين اتاحة الفرص للعقل أن يفكر ويبدع وللغرائز بأن تشبع وتأخذ طريقها المشروع ، دون تعطيل أو جور أو اعتداء تتحدد حرية الانسان في هذه الحيـاة ، وتـوضـع في اطـارهـا الصحيح .. فما من حق الا ويقابله واجب .. وتنتهي حرية الانسان حيث تبدأ حقوق الآخرين ، والا انقلبت الحياة فوضى لا ضابط لها ولا رابط .

● التوحيد الصحيح أساس الحرية ●

والاسلام يرى أنه لا يمكن أن تتحقق حرية الانسان الا اذا عنت وجـوه البشر لبـارئهـا وتمحضت لخالقها ، وانعتقت من أغـلال أي جاهلية تحـول بين الانســان وبين توحيده لربه وعبادته له ، واحتكامه اليه ، فلا يكون رقيبا عليه الا ربه الذي خلقه فسواه فعدله وخلق له الحياة بما فيها ومن فيها وأنعم عليه بنعمه التي لا تعد ولا تحصى وصدق سبحانه الذي قال في محكم كتابه :
(**قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة**) سورة الملك / ٢٣ .
وقال في آية اخرى :
(**ومـا بكم من نعمة فمن الله**) النحل/ ٥٣ .

ومن هنا اهتم الاسلام منذ أول يوم بمطالبة الناس أن يتحرروا من أسر الخرافة والجهل والتعصب والتقليد والافــراط والتفـريط وأن ينظـروا ويفكـروا .. كي يصلـوا الى ذلـك

التوحيد الذي يجعلهم أحرارا لا تعنو وجوههم لأي كبير مهما كبر ، ولا لأي عظيم مهما ارتفعت درجاته بينهم ...

ومن هنا كان شعار المسلم الأول الذي يدخل به الاسلام شهادة أن لا اله الا الله . أي لا معبود بحق الا الله سبحانه .

وكانت صيحات الموحدين في كل قرية وصقع ، وعلى الوهاد والجبال ومن على المآذن وفي المكبرات : الله أكبر .. الله أكبر .. أشهد أن لا اله إلا الله .

بذلك التوحيد الذي هو أساس الحرية رفع العبيد رؤوسهم في المجتمع القبلي الأول وبذلك التوحيد انطلقت جيوش التحرير لتجندل رؤوس الطغاة والمستبدين الذين أرهقوا البشر وساموهم الخسف والهوان .

ولقد جاء الاسلام بهذا التوحيد الذي كان الاعلان الأول لحقوق الانسان لتخليص البشر مما ران على فطرتهم وطمس نور عقولهم وقيد حرياتهم .

وجاء محمد صلى الله عليه وسلم من أول يوم ليقول لهم : « **قل انما أنا بشر مثلكم يوحي الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** » سورة الكهف / ١١٠ .

ونزل عليه الوحي بهذه المبادىء :

« ... **قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله * ولا نشرك به شيئا * ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله** » سورة آل عمران/ ٦٤ .

● موقف الاسلام من الرق ●

جاء الاسلام والرق من أسس الحياة عند الناس فعالجه بلمسات ربانية تمثلت بما يلي :

١ ـ جفف منابعه فحرم استرقاق الأحرار وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه : « ... ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة .. .... ورجل باع حرا فأكل ثمنه ... » رواه البخاري .

٢ ـ فتح أبواب الحرية على مصاريعها وجعل العتق سبيل التكفير في اليمين والطلاق والظهار والقتل ...

٣ ـ حث الأرقاء على طلب الحرية بالكتابة وطلب الى أوليائهم عونهم «**فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا** .. » سورة النور / ٣٣ والتمس المشرع الاسلامي الحرية أنى وجدها حتى ان الأمة اذا ولدت للسيد حرم بيعها أو التصرف فيها فاذا مات سيدها أصبحت حرة .. » .

٤ ـ جعل العتق أحد مصارف الزكاة الثمانية « **وفي الرقاب** التوبة /٦٠

وعرف عن خلفاء المسلمين أنهم كانوا يشترون الرقيق ويعتقونهم ... » .

٥ ـ لم يبق من سبيل للرق الا طريق الحرب ... وتركه في يد الامام أو القائد وجاءت آيات القرآن الأخيرة خلوا من ذكر الرق .. (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا**

بعد وإما فداء» سورة محمد / ٤ .
٦ - كانت معاملته للأرقاء معاملة كريمة من إعطائهم كل الحقوق التي للاحرار ما عدا التصرفات المالية الا بإذن السيد .

ولم يعرف الاسلام في شريعته ما فعلته أوروبا .. من شحن الأحرار من الأدغال في افريقيا الى أمريكا واستراليا واستعبادهم وابادتهم واجبارهم على العمل دون رحمة أو شفقة أو احترام .

حرية العقيدة في الاسلام

الاسلام لا يكره أحدا على الايمان « ... **لا اكراه في الدين** .. » سورة البقرة/ ٢٥٦ فالاعتقاد الصحيح ثمرة الاقتناع الكامل والتصديق الثابت ولا قيمة لعقيدة تأتي بنتيجة القهر والتسلط فحالما تزول أسباب القهر تنتهي وتزول ، ولا يمكنها أن تحدث التغيير النفسي المنشود أو تقاوم الضغط عليها .. ولهذا حينما سأل هرقل أبا سفيان - وقد كان لا يزال على الكفر - عن المسلمين : أيرتد أحد منهم سخطا على دينه ؟ قال لا : : لا . فقال هرقل : **وهكذا الايمان حين تخالط بشاشته القلوب** .
ومن هنا لم يجز النبي لأحد من أصحابه أن يكره ابنه على الايمان ونزل قوله تعالى : (**... لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**) سورة البقرة / ٢٥٦ وقال الله لنبيه : **(ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)** سورة يونس/ ٩٩ .
(.. وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..) سورة الكهف/ ٢٩ .
والاسلام يريد اتاحة الفرصة المتكافئة للناس كي ينظروا ويختاروا فلا يقسر الناس على مذهب معين قسرا ، ولا تقام الحواجز والعقبات أمام دعوته ورسالته .. وما قاتل الا من أجل أن يخلي بين الناس وبين ما يعتقدون على أساس الحرية والاختيار .. فكانت حروبه حروب تحرير للبشر من طواغيتهم ومستبديهم ولم يحدث في تاريخه ان أكره أحدا أو أجبر قوما كما حدث في تاريخ المسيحية في أوروبا .. فقد استباحت الكنيسة دماء الناس وحرماتهم في شمال أوروبا لتحملهم على الدخول في المسيحية وفي الأندلس ارتكبت ما تقشعر لهوله الأبدان من تقتيل وتحريق للمسلمين حتى مكتبات العلم لم تنج من هذا الشر المستطير .

أما الاسلام فقد دخل القدس فصان للنصارى كل شيء وكتب لهم الخليفة العظيم عمر بن الخطاب أمانا وعهدا يؤمنهم فيه على أموالهم وكنائسهم ، وأبى أن يصلي في كنيستهم خشية ان يتخذها المسلمون من بعده مصلى ويقولون : صلى فيها أمير المؤمنين .
ودخل عمرو بن العاص مصر فعسكر خارج المدينة وأبى على نفسه وجيشه ان يخدش أي حق من حقوق الأقباط بل كان دخوله تحريرا لهم من ظلم

الرومان وجبروتهم .
وتخرج الوصايا لقادة الجيوش «لا تخونوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا شيخا .. وستمرون على قوم بالصوامع فرغوا أنفسهم للعبادة فاتركوهم وما هم فيه ... » .

وينزل القرآن الكريم :
(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ..) سورة الممتحنة/ ٨ - ٩ .

ويأمر الله نبيه أن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة .
(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ...) سورة النحل/ ١٢٥ .

ويوصي أن يكون الجدال عفا نزيها بالأسلوب المقنع الذي يبتعد عن اللجاجة والتهجم فيقول :
(ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) العنكبوت/ ٤٦ .
(...ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ...) سورة الانعام/ ١٠٨ .

● حرية الرأي في الاسلام ●

من أجل نعم الله على الانسان أن جعله مبينا عن نفسه ، وعما يدور في فكره وأعطاه القدرة على تصور ما يدور حوله ، ثم الحكم عليه بما يحصل له من خبراته وتجاربه ، قال تعالى : « .. **الرحمن•علم القرآن * خلق الانسان علمه البيان ..** » سورة الرحمن / ١ ـ ٤ .

وقد قرر الاسلام حرية الرأي ، احتراما منه لهذا الحق الفطري الأصيل وسبيلا إلى استخدام ما أنعم الله على الانسان من نعمة الادراك والبيان ، وسياجا يتحقق به تعاون المؤمنين على البر والتقوى ، وطريقا فاضلا لبلوغ المجتمع الاسلامي ما يريد من إخاء ومساواة ، وأمن وحرية وعدالة واستقرار ، وفوز برضا الله ـ عز وجل ـ في الدنيا والآخرة .

● ضمانات حرية الرأي في الاسلام ●

● ـ حق إبداء الرأي ، وجعله واجبا من واجبات الأمة
★ فضل الله هذه الأمة وميزها علي غيرها بقيامها بالشهادة على الناس وانها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، قال تعالى :
« .. **وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ..** » سورة البقرة/ ١٤٣ .
وفي آية اخرى قال سبحانه

« .. **كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ..** » سورة آل عمران / ١١٠

★ هذا تقدير لحق إبداء الرأي ، والدعوة إلى المعروف ، والنهي عن المنكر وهو واجب لدعوة غير المسلمين ، ودعوة للمسلمين انفسهم ان يبدوا آراءهم في شؤونهم واموالهم حتى تستقيم على امر الله ، ويكونوا امثلة حية لاسلامهم بحالهم ومقالهم . ففاقد الشيء لا يعطيه : « .. **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** .. » سورة التوبة/ ٧١ .

● – حق إبداء الرأي لا يعتمد على إذن سلطان ، ولا يقيده الا مبادىء الأخلاق وآداب الاسلام . وهذا الحق لا تقيده جهة ولا تصادره سلطه . فكل المسلمين في هذا الحق سواء ، تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم . ولنا في التاريخ الاسلامي أمثلة كثيرة على ذلك فالحباب بن المنذر يشير على الرسول في بدر وسلمان الفارسي يشير عليه بحفر الخندق وامرأة ترد على عمر في خطبته ويتراجع وابو بكر يتشاور مع المسلمين في كل خطواته وهكذا ..

● – وحتى إبداء الرأي حق مقدس لا يضار به صاحبه ، ولا يلحقه أي عنت أو أذى فبه تكفل الحقوق ، ويستبان به وجه العدل

فأداء الشهادات على وجهها الصحيح لا يتم ، الا إذا عرف الشاهد انه آمن في نفسه مطمئن على أهله بألايلحقهم ضيم ، فيتقدم إلى أداء شهادته ولو كانت على ذوي سلطان دون خوف . وهذا الحق أصيل درءا للمفاسد وجلبا للمصالح قال تعالى « ... **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** .. » سورة الانفال/ ٢٥ .

● حدود حرية الرأي في الاسلام ●

وحرية الرأي لها في ميزان الاسلام خطرها وقداستها ، فلا جرم أن طولب المسلم إزاءها بالتحري والتثبت والصدق . ولذا فعلى المسلم أن يراعي تلك الأوصاف الكريمة التي وضعها الاسلام ميزانا ومعيارا أصيلا للكلام الذي يبديه في شتى شؤون الحياة .. قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما** .. » سورة الاحزاب/ ٧٠ – ٧١ .

والقول السديد الذي يصلح الله به الأعمال ويغفر به الذنوب يكون بالآتي :

١ – أن يكون كلاما طيبا بعيدا عن الفحش والخنا ، متجنبا مستهجن الالفاظ وقبيح العبارات معبرا عن نقاء المسلم ونظافته .

يقول الله في أوصاف المؤمنين « ... **وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد** .. »سورة الحج / ٢٤ .

٢ – أن يكون الكلام مطابقا للحقيقة صادقا متثبتا فيه ، بعيدا عن الظن والوهن والله يقول « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع**

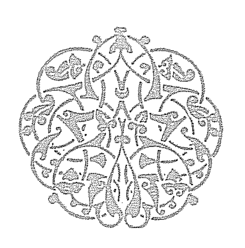
الصادقين .. » سورة التوبة/ ١١٩ .
٣ ـ أن يتحرى بكلامه الحق لا يحابي فيه ولا يماري ، يؤديه للقريب والبعيد والعدو والصديق وهذا قول الله لنا : « **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما * فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا** .. » سورة النساء/ ١٣٥ .

● مجالات حرية الرأي ●

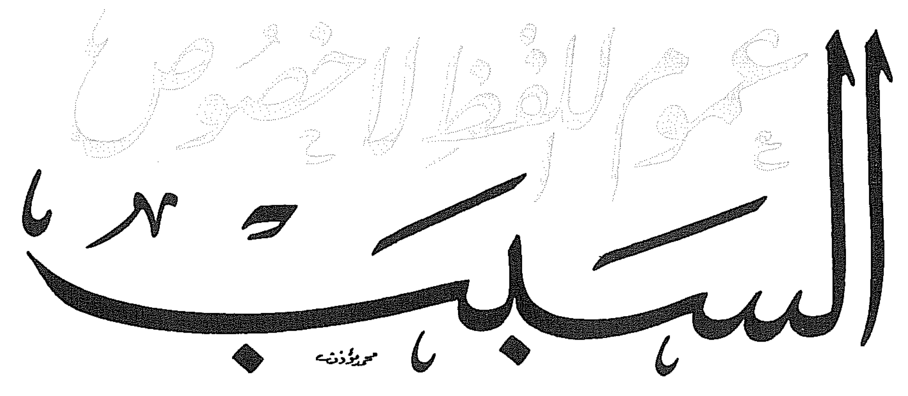
ومجالات حرية الرأي ميدانها المجتمع كله بأوضاعه وحاجاته . وعلى كل مسلم أن يبذل من ذات نفسه وفكره وجهده ما ترقي به أمته ويبنى دينه ووطنه والمسلمون متضامنون لا يحق لواحد ان يسكت على باطل ، فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس ، وما استحق ان يولد من عاش لنفسه .
١ ـ النقد المتروي النزيه العف . قال تعالى : « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** .. »
ط ـ ثم بعد ذلك الشجاعة الادبية والنفسية في قول الحق والمجاهرة فيه ففي الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام :
« ... افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه ابو داوود .
٣ ـ التوجيه السديد والنصح المخلص قال عليه السلام : « ... الدين النصيحة ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم .. » رواه مسلم .

● ثمار حرية الرأي ●

من ثمار **حرية الرأي** :
١ ـ الثقة بين أفراد الأمة بعضهم لبعض ، الحاكم والمحكوم ، والقوي والضعيف والعالم والجاهل والصغير والكبير . فالوضوح يقتل الخفاء والنفاق والصدق يعمر القلوب ويهذب النفوس .
٢ ـ قوة بناء الأمة وتماسكها ، فاحتكاك الآراء وتبادل المشورة والنصيحة يزيد في تماسك وتلاحم الأمة حول اهدافها المنشودة .
٣ ـ رقي الأمة وتقدمها . فحرية الرأي تثمر أنضج الأفكار وأصلح الآراء . ولا تصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ألا وهو باتباع الكتاب الكريم والسنة النبوية .
أكتفي بهذا القدر أملا من الله العون على متابعة هذا البحث .







للدكتور/ محمد محمد الشرقاوي

الألفاظ العامة هي التي تدل على كل أفرادها بلا حصر .. أو تنطوي تحت دلالاتها جميع الأحوال بلا استثناء .. ولها صيغ وأساليب كثيرة : منها كلمة كل وجميع وأل التي بمعنى كل أو جميع وتسمى ال الاستغراقية ، والنكرة في سياق نفي .. أو نهي أو شرط ، والأسماء الموصولة ، وأسماء الشرط ، وأسماء الاستفهام ، والمفرد المضاف الى معرفة .. وقد اشتمل القرآن الكريم على هذه الصيغ والأساليب للدلالة على شمولية أحكامه لأفراد الانسانية ، واستيعاب أوامره ونواهيه لحالات البشرية ، حتى ولو نزل بسبب شخص خاص .. أو جوابا عن سؤال محدد ، أو لشرح حالة معينة . وهذا هو ما ذهب اليه جمهور الفقهاء والمفسرين والمحدثين .. وهو أنسب الأفكار لعموم الرسالة القرآنية ، واستيعابها لكل من يتأتى اليه الخطاب ، من المكلفين مصداقا لقوله تعالى : (**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذي**

يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا * وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما)

الاسراء/ ٩ و١٠ ، ففي هذا التعبير القرآني أحكام عامة لكل من بلغته دعوة الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها .. فالناس كل الناس صنفان : أحدهما مؤمن بالقرآن يعمل الصالحات ، ويخضع لهداية القرآن التي تقوده للتي هي أحسن ، وثانيهما مكذب بهداية القرآن وأهم مبادئها بعد الايمان بالله ورسوله .. التصديق باليوم الآخر .. الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين ، ليجزوا على ما قدمته أيديهم في حياتهم الدنيا .. إن خيرا فخير وان شرا فشر . فالصنف الأول له البشرى بالنجاة في الحياتين ، والصنف الثاني له الانذار الصريح بالعذاب الأليم المعد له في الحياة الثانية ..

وإذا كان أكثر القرآن الكريم قد نزل بدون سبب خاص .. أو سؤال محدد فإن معنى هذا أنه لا ينبغي أن يكون لكل آية سبب .. أو سؤال .. بل إن هذا قاصر على القليل من آياته .. أما الكثير .. أو الأكثر فقد تنزل بادىء ذي بدء لتقرير عقائد الاسلام الأساسية ؛، وإقامة الأدلة عليها ،

وضرب الأمثال لتقريب فهمها ، وشرح مضامينها .. أو لبيان واجبات الدين وشرائعه المنظمة لشؤون الحياة ، والمحددة لحقوق الأفراد والجماعات وواجباتها .. كما قال الجعبري : نزل القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء .. وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال (الاتقان للسيوطي جـ ١ : ٢٨) وسبب نزول الآية : هو حادثة تحدث فينزل بشأنها بالذات وفي وقت حدوثها آية أو آيات أو سورة بأكملها لتبين حكم الله تعالى فيها ..

فهذا الحكم لا يقف عند حد من نزلت فيه الآية لا يتعداه الى غيره .. بل انه شامل له أولا وبالذات ، ولغيره ممن يشملهم عموم اللفظ العام الشامل لكل أفراده شمولا حقيقيا لا قياسيا ..

فصاحب السبب يدخل في هذا اللفظ دخولا أوليا ـ كما يقول العلماء ـ وغيره يدخل معه .. بطريق الدلالة الحقيقية لا المجازية .. وقد يكون سبب الآية سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء بعينه .. فينزل القرآن الكريم ببيان الحكم فيه .
فإذا نزل القرآن لبيان الحكم في حادثة بعينها .. أو جوابا عن سؤال خاص كان شاملا لهذه الحادثة أو لهذا السؤال ولغيرهما من الأحوال المماثلة ، وتكون دلالته على الجميع دلالة قطعية لا ظنية .. وحقيقة لا مجازية .. وهذا معنى قولهم : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسنضرب لذلك ما يتسع له المقام من أمثلة من واقع ما نزل :
(١) قصة المجادلة التي نزلت في شأن خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت في رواية .. أو سلمة ابن صخر في رواية أخرى .. وكانت قد سجدت في صلاتها .. فأعجبه منها شيء .. فطلبها عقيب الصلاة للفراش .. فتأبت وتمنعت ..

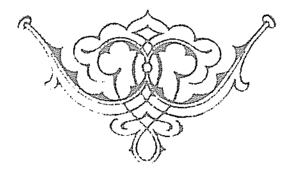
فغضب .. وقال لها : انت علي كظهر أمي – على عادة أهل الجاهلية في تحريم الزوجة بالظهار .. فذهبت الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت : أكل مالي ، وأفنى شبابي ، ونثرت له بطني .. حتى إذا كبرت سني ، وانقطع ولدي ظاهر مني .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما أراك إلا قد حرمت عليه .. فكانت تجادله وتقول : يا رسول الله ما طلقني ولكن ظاهر مني .. فيرد عليها قوله السابق .. ثم قالت : اللهم إني أشكو اليك .. أخرج ابن ماجه وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت : « تبارك الذي وسع سمعه كل شيء .. إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليَّ بعضه وتشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. إلى أن قالت : فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات : (**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها**) ...

وهو أوس بن الصامت). المجادلة/١ ... فهذا الحكم دال على وجوب الكفارة على كل من ظاهر من زوجته .. ثم عاد عما قال ، وندم على ما فرط منه ، ورغب في إعادة زوجته إليه فيجب عليه قبل مباشرتها تحرير رقبة ، فإن باشرها قبل التكفير أثم وعصي ولا يسقط عنه التكفير (القرطبي جـ ١٧ : ٢٨٣) فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين قبل التماس ، فمن لم يستطع الصيام لكبر أو مرض فعليه إطعام ستين مسكينا ما يشبعهم .. ثم قال الله تعالى بعد ذلك :

((**وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم**) قال الألوسي جـ ٢٨/ ٢٠ : أطلق الله تعالى على متعدي الحدود كافرا تغليظا وزجرا .

(٢) آيات اللعان : (**والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين * والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين * ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين**) النور/ ٦ – ٩ نزلت على سبب خاص في هلال ابن أمية وزوجته ... ولكن حكمها عام في كل من رمي زوجته بالزنا ولا شاهد له إلا نفسه التي بين جنبيه ، وإلا عيناه اللتان رأى بهما ما رأى .. فلكي يزول عنه حدُّ القذف وهو ثمانون جلدة في ظهره لا بد أن يشهد هذه الشهادات ، ولكي يزول عنها حد الزنا وهو الرجم لا بد أن تشهد هي شهاداتها الخمس حالفة بالله على كل شهادة ، وفي الخامسة تستنزل غضب الله وسخطه عليها إن كان زوجها صادقا في اتهامه لها بالزنا ، كما يستنزل زوجها في الخامسة لعنة الله ومقته عليه إن كان كاذبا في هذا القذف ... وبعد ذلك يفرق القاضي بينهما فرقة أبدية لا رجعة فيها ولو بعد التوبة – وإن كان أبوحنيفة يرى إمكانية الرجعة إلى زوجته لو أكذب نفسه وحُدَّ حَدَّ القذف وتاب .

(٣) السؤال عن الروح : **(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)** الاسراء/ ٨٥ .. فهذا سؤال صدر عن نفر معلومين من اليهود .. ونزل الوحي للرد عليهم في نفس المقام ... ولكنه موجه لكل سائل عن الروح ، ولكل باحث عن حقيقتها ، وكنهها ، وأسرار تكوينها مما استأثر الله تعالى بعلمه ، وأخفاه عن كل خلقه .. تعجيزالهم بأمس مكوناتهم الشخصية ... حيث عجزوا عن الاحاطة بعالم الروح ، ودقائق صنعها .. فإذا عجزوا عن معرفة أرواحهم وهي أقرب الأشياء إليهم .. كان عجزهم عن إدراك غيرها من خصائص العلم الالهي المحيط .. أمكن وقوعا ، وأشد إلزاما ولذا قال تعالى : **(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)** وهو خطاب للانسانية على كل مستوياتها وفي كل أعصرها ، وأماكن تواجدها والمعنى : أن علمكم أيها الناس مهما ظننتموه كثيرا وشاملا .. فهو بالنسبة إلى علم الله تعالى كقطرة من فيض ، أو ذرة في فلاة .. أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يتوكأ على عسيب (سعف النخل بعد نزع الخوص منه) فمرّ بنفر من اليهود .. فقال بعضهم : لو سألتموه ... فقالوا : حدثنا عن الروح ، فقام ساعة ورفع رأسه ، فعرفت أنه يوحى إليه ... حتى صعد الوحي ، ثم قال : **(قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)** .. وهذه الآية الكريمة مما تكرر نزوله في رأي الزركشي (البرهان جـ ١ : ٣٠) فتكون هذه الآية قد نزلت مرتين : مرة بمكة حين سُئِلَ الرسول صلى الله عليه وسلم عن الروح .. ويؤيد ذلك أن الآية في سورة الاسراء وهي سورة مكية بالاتفاق ، ومرة نزلت بالمدينة ... فهذه الآية وإن نزلت ردا على قوم معينين من أهل مكة ... أو من يهود المدينة ... إلا أن حكمها كان ولا يزال باقيا وقائما يتحدى البشر كافة على مر العصور والدهور ، ويقيم عليهم الحجة بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ، وعلى كل من طوعت له نفسه الكشف عن أسرار الروح وعالمها المجهول ... وعلماء النفس بعد أن طال كفاحهم العلمي ، وتشعب فكرهم الفلسفي بحثا عن عناصر الروح ، ومكوناتها الاساسية .. لا يزالون يقفون أمام باب عالمها الخفي مكتوفي الأيدي ، منكسي الرءوس .. عاجزين عن الكشف عن الكنز الالهي المغلق ، وذلك اللغز الرباني المعجز .. ولم يستطيعوا إلا الحديث عن متعلقات الروح من ادراك ووجدان وعواطف وإرادة وما يتصل بذلك من هوامش الروح .





للاستاذ / جمال سلطان

لم تطرح قضية فكرية وحضارية نفسها على واقعنا الحديث ، مثلما طرحت نفسها ، بكل هذا الإلحاح ، قضية « الأصالة والمعاصرة » ، بما اعتمل تحت عباءتها من نزاعات وخلافات ، عقائدية وفلسفية ، امتدت بفروعها العديدة ، لتشمل كافة جوانب النشاط الانساني في حياتنا الحاضرة ، من الفكر والتصور ، حتى الأدب والفن ، مرورا بالشرائع والمعايير والقيم السلوكية والأخلاقية وغير ذلك .

بيد أننا نستطيع أن نسجل ـ بادىء ذي بدء ـ لفتة بالغة الأهمية في هذه « القضية ـ الظاهرة » ، بما أحدثته من تحول كبير في موازين حركتنا الحضارية الحديثة ، وذلك أنها أول فكرة حية وجادة ، تفرض نفسها بنفسها على الذهن العربي ، وأول إشكال حضاري حقيقي ، يفرض نفسه بنفسه ، على الواقع العربي الاسلامي الحديث ، دون أن يفرض عليه ـ تضليلا ـ من خارجه ـ

وليس من ريب في أن هذا التحول الهام ، يمثل ظاهرة صحية ، تحسب في ميزان نهضة الأمة ، ويقظة الوعي العربي المسلم ، ومؤشر صحيح على سلامة التوجه ، بعد ان عاش هذا « الوعي » حقبة من الزمن ، في معزل عن قضاياه التي يفرضها هو ذاته ، من خلال تحديات واقعه الحقيقية ، في حين كانت القضايا تفرض عليه ـ زورا ـ من خارجه ، والتحويل يقع ـ قسرا ـ في مسيرته ، والاشكالات تفتعل افتعالا ، في تصوراته ورؤاه وواقعه .

لقد صحا هذا « الوعي » المرهق والمجهد من مسيرة التغريب القسرية الطويلة ، ليجد نفسه مزقا مشتتة بين الشرق والغرب ، وليشهد سقوط كافة الاطروحات المذهبية التغريبية المفروضة على واقعه ، لا من حيث مصداقيتها الذاتية وحسب ، بل ثبت فشلها ـ كذلك من جهة امكانية تعايشها مع تركيبة المزاج العربي المسلم ، وواقعه الاجتماعي ، بكل ما يعتمل فيه من عقائد وتصورات ومفاهيم وقيم ذات جذور ضاربة في اعماقه .

ومن ثم ، كانت التفاتته الى « التراث » مستلهما منه « مقوماته الاصيلة » والمميزة لوجوده الحضاري والتاريخي ، من عمادي هذا التراث ونبراسيه ، كتاب الله ، وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) تلك « المرتكزات » التي فجرت امام الانسان ـ في تجربتها الأولى الفذة ـ مجالات وطموحات ، انطلق من خلالها جموع اهل الفكر والنظر ، والبحث والتجريب ، والأدب والفن ، وشتى مناحي الحياة ، مشيدين بناء حضاريا هائلا ، لا يخطئه التكامل ، او التوازن ، او الشمول ، في مجالات النشاط الانساني المختلفة .

تلك « المقومات الاصولية » ، بما انها « ربانية » في المقام الاول ، ثابتة بنص الوحي ، وبما أنها ـ كذلك ـ تعالج ثوابت انسانية فطرية : عضوية ونفسية وعقلية وروحية ، وبما انها ـ « أيضا ـ تعالج ثوابت كونية ، أقول : تلك المقومات ، تحت هذا الضبط والتصور ، تملك هي نفسها من الثبات والديمومة ، ما يكسبها وصف « الاطلاق » من الزمان ومن المكان ، واذا صح في اجتهادات وافرازات العقل المبدع ، من خلال المنظومة الحضارية التي انبثقت من تلك « المقومات الأصولية » ان تخضع للنظر والتجديد أو حتى التبديل ، أي اخضاعها لعنصري ، الزمان والمكان ، فان تلك « المقومات الأصولية » بوصفها « مطلقات » لا تحتمل مثل هذا التقييد والتحجيم ، وانما هي قيم ثابتة حية ، تملك مصداقيتها الذاتية .

ولقد اثبتت تلك « المقومات » في تجربتها الانسانية الأولى ، أنها مفجرة ومحفزة دوما ، للابداع الحضاري المتنامي ، ومن ثم فقد ظل العقل الانساني ، قرونا عدة ، يبدع في شتى مجالاته الممكنة ، من خلال تلك المقومات الاصولية ، دون ان نسمع منه اي صدى ، لدعوى التناقضية الحضارية ، بين تلك « الأصولية » وبين ذلك الابداع الخلاق ، الذي يتنامى عبر الزمن ، بل الثابت ان حقبة التراجع التي أصابت الأمة ، انما وقعت ، عندما بدأ الانفصال « العملي » يضرب ، بين هذه

القيم الأصولية الربانية ومعطياتها ، وبين الواقع .

ومن ثم ، فنحن لا نستطيع ان نجد مبررا « موضوعيا » لتلك الظاهرة ، التي شاعت في كتابات « نفر » من المعاصرين ، حول « الأصالة والمعاصرة ، حيث يلحون في طرح دلالة ذينك المصطلحين ، في صورة التضاد والنقائضية ، حتى ليخال للعقل انهما « بديلان متناقضان » لموقف واحد ، بقدر ما تعطي هذه ، بقدر ما تأخذ من تلك .

ويمكننا ان نسجل في هذا المقام ، ثلاثة مداخل رئيسة ، نرى انه من خلالها ، يحدث هذا الطرح الغالط لتلكم القضية :

● وأول تلك المداخل ، ما يمكننا وصفه « **بالتلبيس في إشكالات الموقف الحضاري** » وذلك ان يطرح احدهم اشكال الموقف الحضاري للانسان العربي المعاصر في صورة « هل يحتمي بتاريخه وتراثه الماضي ، ويتخذ منه درعا او (شرنقة) تدفع عنه غوائل التيار الكاسح المتدفق من بلاد غربية متفوقة ؟ او يساير هذا التيار الجديد ، أملا في أن يكون له نصيب في ذلك التقدم المادي والمعنوي ؟ » .

هكذا طرح الإشكال ، إما (شرنقة الماضي) التراث ، وإما « التقدم المادي والمعنوي » ، وهو تلبيس لا شك فيه فهذا التراث ـ كما قدمنا ـ هو مقومات وركائز عقيدية وقيمية وروحية وتشريعية ، ثابتة بنص الوحي ، أبدع من خلالها العقل الانساني اجتهادات وانجازات فكرية ومادية ومعرفية عديدة ، من خلال وقائع مكانية ، وأحوال زمانية متباينة ، ومن حق المسلم المعاصر ، بل من واجبه ، أن يبدع من خلال تلك المقومات ، مسترشدا مستأنسا بذلك الرصيد الهائل من اجتهادات سالفة فيما يحتاج اليه في مسيرته الحضارية الجديدة ، واذا جاز لنا ان نخضع ذلك الرصيد الابداعي « الاجتهادي » لعنصر الزمن ، فلا يجوز ذلك ـ بحال ـ مع تلك المقومات الاصولية ، وبالتالي فلا يصح نسبتها الى « الماضي » ووصفها « بشرنقة الماضي » ، وانما هي قيم ثابتة حية ، ومطلقة ، تملك مصداقيتها الذاتية والمتجددة .

ومن جهة أخرى لا يصح ـ موضوعيا ـ أن أطرح هذه المقومات ، في وضع « البديل المناقض » للتقدم المادي والمعنوي هكذا ، دون ادنى حرج من غياب الحجة والبينة العلمية المنضبطة .

كما أنه ليس من الدقة ولا الأمانة ، أن أُطلق وصف « التقدم المادي والمعنوي »

على هذا « التيار الكاسح المتدفق من بلاد غريبة متفوقة » ، واذا سلمنا بأن الحضارة الأوروبية الحديثة ، قد حققت انجازات هامة وضخمة على المستوى المادي ، فان أحدا لا ينكر ـ في المقابل ـ أن نفس هذه الحضارة ، قد خلفت ردة

هائلة ، وسقوطا ذريعا ، على المستوى « الحضاري » : الاجتماعي والقيمي والاخلاقي والروحي ، ومن الثابت اليوم ، اننا عندما اهدرنا مقوماتنا الاصيلة ، في تقويم هذا « الخليط » الحضاري ، استطاع أصحاب « هذا التيار الكاسح » ان يمرروا الى مجتمعاتنا من العفن والسقوط ، أضعاف ما مر ـ اضطرارا ـ من تقدم مادي .

وكناتج لهذا المدخل الخاطىء ، فقد انتهى صاحبه الى الحكم على قضية « الاصالة والمعاصرة » في الواقع العربي المعاصر ، بأنها « إشكالية عقيمة غامضة مليئة بالمتناقضات ، واما الصيغة التي ارتآها تخلصنا من هذا « العقم والغموض » « والتناقض » الموهوم ، فهي طرح خيار « الاتباع او الابداع » سواء كان الاتباع لتراثنا ومقوماتنا الحضارية ، أم لأنماط حضارية غربية حديثة ، فالخيار المطروح يسري « في كلتا الحالتين » .

ونحن نعجب ـ بداية ـ : اي جرأة وخطورة تلك التي يقدم عليها باحث « عربي مسلم » حين يجعل مقوماتنا الحضارية الأصيلة ، على قدم المساواة مع القيم الحضارية الوافدة ، في غربتها عن واقعنا المعاصر ، وفي موقفنا منها ـ اليوم ـ كذلك ؟! ولا أدري ، فعن أي أمة من الأمم يتكلم إذن ؟!

ثم متى كان الابداع نبتا هوائيا ، لا جذر له ولا رافد ؟ كما أنه لا يخفى على ذوي الأفهام ، أننا حين نعالج مشكلة « الابداع » عند الانسان العربي المعاصر ، فان القضية تصبح في « من يبدع » وليس في « مطلق » الابداع ، ومن هنا تفرض نفسها بإلحاح ، قضية «الاصالة» كقيمة ضابطة ومميزة ، لهذه « الهوية » الانسانية ، وبوجه آخر ، فان التحدي الحقيقي لهذا الانسان ، هو ان يعيش العصر ، لا ان يذوب فيه ، وبالتالي يمكننا ان نؤكد ان « العقم » و« الغموض » الفعليين ، انما وقعا في ماطرحه الباحث ، نتيجة لتصوره الخاطىء لأبعاد الموقف واشكالاته .

● اما ثاني تلك المداخل ، فهو ما يمكننا وصفه « بالعبث والتشويه في مفردات الموقف » وذلك يبدو ظاهرا في قول احدهم ، نحن منذ القرن السابع حتى نهاية القرن الثامن عشر ، تجاه حضارة تتحرك حقا أو باطلا ، باسم الله والوحي والشرع الإلهي ، ونحن منذ القرن الخامس عشر مع أوروبا الغربية في محاولة حضاريه جديدة ، تنطلق باسم الانسان ، وتتحرك بوحي العقل »
ومثل هذا العبث في « مفردات » الموقف ، من شأنه ان يلقي في روع القارىء أن الانسانية والعقلانية ، هما خصوصية حضارية أوروبية تفردت بها ، في حين تنزع ـ بالمقابل ـ هاتان الصفتان عن الحضارة الاسلامية ، وذلك افتئات صريح ، إذ ان « الانسانية » كانت واحدة من أجلى مظاهر الحضارة الاسلامية وأبرزها ، فهي

الحضارة التي شادها الانسان ذاته ، مبدعا في شتى الميادين « الانسانية » ومنطلقا من ايمانه الراسخ ، بانه صاحب الرسالة ، وصاحب القضية ، وصاحب الامانة ، هكذا علمه القرآن : « **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان** » الاحزاب / ٧٢ .

بل ان المقارنة المنصفة بين ظاهرة « الانسانية » في الحضارة الاسلامية ، ونظيرتها في الحضارة الاوروبية الحديثة ، لكفيلة بأن ترجح الأولى ، من حيث الشمول والتكامل والتوازن ، لجوانب الحياة الانسانية ، في حين تخلفت اهم مظاهر تلك الانسانية » في البناء الحضاري الاوروبي ، أعني : المظهر الاجتماعي والاخلاقي والقيمي والروحي ، سواء كان ذلك في داخل مجتمعاتها ، أم في مواقفها تجاه الامم والشعوب الاخرى .

ومن جهة اخرى فلقد كانت « العقلانية » او ظاهرة النشاط العقلي الواسع ، معلما بارزا ، في الآثار العديدة ، التي انتجتها الحضارة الاسلامية ، سواء في الجانب العقائدي والفكري التجريدي « علم اصول الدين » او علم الكلام ، أم العلم التطبيقي علم اصول الفقه ومباحثه وعلم الحديث وفروعه ، وعلم التاريخ ، او في جانب التعامل المادي مع معطيات السنن الكونية ، وما بثه الله في الارض وما عليها ، وما خلفه ذلك من مناهج علمية جديدة كالمنهج التجريبي .

ولقد ادى ذلك العبث في « مفردات » الموقف الحضاري ، الى الغلط والخطل ، في تصور حل « الإشكال » حيث انتهى الباحث ، الى أنه من غير الممكن ان نقبل منتوجات الحضارة الاوروبية التقنية والمادية « دون الأخذ بمنتوجاتها الايديولوجية » !!

فما دامت المعاصرة ، في مظهرها « الانساني العقلاني » خصوصية اوروبية ، وما دام تراثنا ومقوماتنا الحضارية ، لا انسانية ولا عقلانية ، فالضرورة ـ كما رأى الباحث !! توجب أن نرفض تراثنا وقيمنا الاصولية ، وان نعيش الحضارة الاوروبية ، أو قل : نذوب فيها ، تقنيا وماديا ، وايضا فكريا وايديولوجيا ؟!

● اما ثالث تلك المداخل الخاطئة الى قضيتنا « قضية الاصالة والمعاصرة » فهو ما يمكن وصفه وتحديده « بالتشويش غير العلمي وغير الموضوعي ، بتأثير دوافع ايديولوجية تغريبية متنوعة » ، ذلك « التشويش » الذي يؤدي الى طمس معالم الموقف الحضاري ، والتحدي الذي يواجه ابناء الأمة في طور صحوتهم الجديدة ، بعيدا عن الفهم والضبط العلمي المتزن وذلك ان « يهتف » احدهم : « هيهات ان يتم الجمع بين تراث ما يزال يسبح في غمار التخلف ، وبين حضارة حديثة ، تتحدث بلسان آخر ، وعقل آخر !

ولا ريب ان هذا « الآخر » الأوروبي ، قد طرحه الباحث كبديل « تقدمي

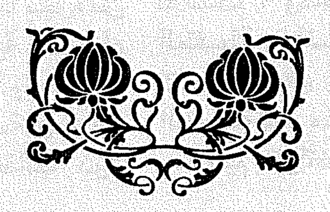
مستنير » ، لهذا التراث الذي يسبح في غمار التخلف » !

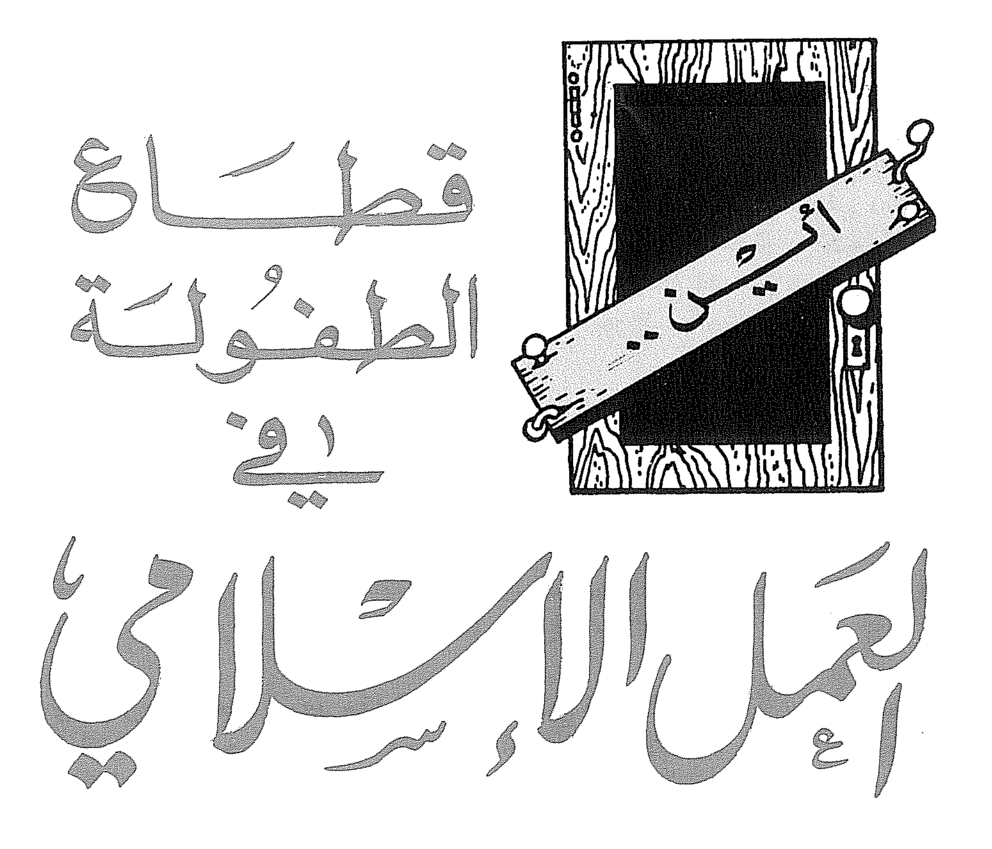
وغني عن البيان ، أن الإقدام على وصف هذا الرصيد الحضاري الاسلامي الكبير ، وما قدمه للانسانية من ابداعات خلاقة ، في ميادين الفكر والفلسفة ،والتطور العلمي المادي والمنهجي ، والبحث الاجتماعي ، وغير ذلك ، وبجرة قلم واحدة ، بأنه ، تراث يسبح في غمار التخلف ، لهو محض « تشويش » لا يمكن ان يوصف بالعلمية او الموضوعية ، وإذا اضفنا ان مثل هذا الكلام ، يصدر من متخصص عربي تربوي ، ويوجهه بتلك الجرأة ، الى اجيال الامة الناهضة ، فإن الأمر يتعدى الى ابعاد خطيرة !!

ويطول بنا المقام لو ذهبنا نستنطق الباحث عن « غمار التخلف » هذا ، الذي شكل مادة هذا التراث ، وصبغه ، وفي أي منارات العالم كان ؟! في بغداد ، أم قرطبة ، أم دمشق ، أم في القاهرة تلك التي عبر بابا روما « سلفستروس الثاني » عن انبهاره بتقدمها العلمي والمعرفي ، في القرن الرابع للهجرة ، عندما وصف مكتبتها ذات المليوني مجلد ، قائلا : انه لمن المعلوم تماما ، انه ليس ثمة أحد في روما ، له من المعرفة ما يؤهله لأن يعمل « بوابا » لتلك المكتبة ؟!

ولم يكن من عجب ، بعد هذا التشويش الذي قدمه الباحث ، ان نجده يحدد قيمة التراث « الوحيدة » في امكانية نفاذ اصحاب « الايديولوجيات التغريبية » من خلاله الى الجماهير العربية المسلمة ـ اي خداع الأمة في تراثها ـ عن طريق اخضاعه لها ، وتطويعه وفقا لمفاهيمها ومعطياتها !

كلمة اخيرة ، نستطيع اثباتها ، بعد عرضنا للمداخل الخاطئة الى قضية « الاصالة والمعاصرة » ، والتي نتج عنها ـ بالضرورة ـ تصورات ، واهمة ، واحكام فاسدة ، فنقول : ان الحساسية الشديدة ، والاهمية البالغة ، لهذه القضية ، في واقعنا الحضاري المعاصر ، تحتمان على كل متعاط لهما ، ان يكون صادقا مع نفسه ، وأمته ، ومع هذا التراث كذلك قبل ان يخط فيه بكلمة ، وان يلتزم الموضوعية ، والعلمية المتجردة في رؤيته ، كي يستطيع ان يرى حقيقة ، ويحكم منصفا ، أما غير ذلك ، فإنه لن ينتج لنا الا (الغبش) في التصور والضلالة في الحكم .





قطاع الطفولة في العمل الإسلامي

للاستاذ/ محمد الصالح بن عمر عزيز

الشمولية من أهم خصائص الشريعة الاسلامية ، وهي مقوم هام من مقومات العمل التغييري ، تكسبه تكاملا ، وتوازنا وتحميه من تسرب الفساد إل بعض جوانبه لتغطي بقية الجوانب .. والشمولية التي نعنيها في هذا المقام ألا يطغى اهتمامنا بجزء من العمل الاسلامي على بقية الأجزاء الأخرى التي لا تقل أهمية وخطورة ، وأن نشرك القاعدة العريضة في عملية التغيير هذه ، فلا نهتم بطائفة دون أخرى ، ولا بجيل دون آخر ، لأن ذلك من شأنه أن يشل العمل التغييري ويبقيه منقوصا .

والناظر إلى ساحة العمل الاسلامي اليوم يلاحظ غيابا كبيرا لقطاع الطفولة في اهتمامات العاملين للاسلام ، وكأننا نسينا أنها ـ أي الطفولة ـ المرحلة الأولى والأهم لاعداد أجيال الغد ، وأنها الأرضية الخصبة لبذر ما نشاء من قيم وعادات ومفاهيم ، وأننا لم نضرب الضربة

القاضية إلا من هذا الجانب عبر ما رسمه المستعمر من برامج تربوية تتحكم في تعليم الطفل وفي ثقافته ، والقصص التي يقرؤها لتدمير كيانه النفسي وعقليته منذ أول الشوط ،

وتقدم للمستعمر الرجال القادرين على القيام بمهمته الاستعمارية في المجالات السياسية والاقتصادية إذا اضطر هذا المستعمر في يوم من الأيام إلى مغادرة البلاد ..

وسيبقى العمل للاسلام مشلولا في جانب حيوي منه إذا لم نتدارك الوضع بسرعة ونأخذ الأمور بجدية لنصلح ما تبقى ، وذلك بما يأتي :

● إعداد البيت المسلم ●

البيت هو المحضن الطبيعي لحماية الأطفال ورعايتهم وتنمية أجسادهم وعقولهم وأرواحهم ، في ظله يتلقون مشاعر الحب والرحمة والتكافل وينطبعون بالطابع الذي يلازمهم مدى الحياة ، على هديه ونوره تتفتح الحياة ويتعاملون مع الحياة .. لذلك لابد أن نسهر على سلامة البيت المسلم من

الاهتزازات والخلافات التي تعصف باستقرار الأطفال وأمنهم . وإنه لأمر غير صحي يدعو إلى الفزع أن نسمع بأن نسبة الطلاق في صفوف العاملين للاسلام ارتفعت كثيرا في المدة الأخيرة ... فقد أطلعني أحد الاخوة - وهو محام - يعمل في الحقل الاسلامي بإحدى العواصم العربية أن بين يديه ما لا يقل عن أربعين قضية في الطلاق لعائلات أفرادها من العاملين في الحقل الاسلامي .

ولعل الاعتناء بالأسرة المسلمة يتوجه أولا وبالذات إلى :

١ - **توعية الشباب** بأن الهدف من الزواج هو إنشاء البيت المسلم لإنجاب ذرية صالحة تضطلع بحمل الأمانة وتحقق توالد الهداية واستمرارها ، وحتى يتحقق ذلك ، لابد أن تتم مرحلة الاختيار عبر المقاييس التي وضعها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تخيروا لنطفكم فانكحوا الاكفاء ، وانكحوا إليهم » رواه ابن ماجه والحاكم . وقال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » (رواه البخاري ومسلم) .

٢ - **أن نعد مناهج** خاصة لتربية الأخت المسلمة ، تكون المرتبة الأولى فيها إعدادها لتكون أما وزوجة ، فلا تبخل بالتضحية بالغالي والنفيس لجلب السعادة والاستقرار إلى البيت ، وترى أن مهمتها في بيتها تعكف على طفلها الصغير تربيه وتهبه المشاعر الانسانية لترفعه من مرحلة الحيوان إلى مرحلة البشرية كيانا بشريا متوازن العقل والعواطف والمدارك ، وتسهم في إعادة التوازن العاطفي والنفسي إلى زوجها حين يعود مكدودا منهوكا من جراء صراعه في الحياة ، لا تقل - أي مهمتها هذه - أهمية إن لم تكن أخطر ، عن خروجها إلى العمل تهدر طاقة حيوية مرصودة لغرض معين وتحولها عن سبيلها الأصيل .

إن مدارسنا في الوطن الاسلامي لا تشكو فقط من أنظمة تربوية يخططلها أناس أعدوا على أعين العدو إعدادا جعل منهم الأمناء على تحقيق ما يبغيه ، لأنه زرع فيهم الايمان به والاعجاب بما عنده وملأهم بالشك في قدراتهم والكفر بما لديهم والاحتقار لتراثهم ، بل تشكو ـ مدارسنا ـ أيضا من غياب المعلم القادر على نقد هذه المناهج ، الواعي لمسؤوليته العظمى التي لخصها أحمد شوقي في بيته الشهير :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

إن مدارس المسلمين اليوم لا تخلو من نوعين اثنين من المعلمين ... **نوع أول** يعتبر مهمة التدريس وظيفة كجملة الوظائف الحكومية ، يؤديها مقابل أجرة معينة لا يعنيه بعدها محتوى البرامج ولا نوعيتها ولا وطنيتها في شيء ، وهم مع ذلك يدعون انتماءهم للاسلام ... وإني أذكر مرة كنت في الفصل فسمعت زميلا لي في الفصل المجاور يقرأ على أطفاله : قال الله تعالى : « **اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا** » فأسرعت إليه وسألته ماذا يفعل ؟ فأجاب بكل ثقة إني أحفظ تلاميذي آية من القرآن الكريم ... وأفهمته أن ما كان يقوله ليس من القرآن ، بل هو أثر قد يرفعه بعضهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهناك من ضعفه حتى عدوه من الأحاديث الموضوعة ... **ونوع ثان** ـ من المعلمين ـ حاقد على الاسلام عقيدة وفكرا وشريعة ، فتراه لا يغفل فرصة إلا استغلها لخلخلة العقيدة الاسلامية عند الاطفال .

لذلك كان الاهتمام بإعداد المعلم المسلم من أوكد واجبات العاملين للاسلام اليوم ، يمكنهم من سد ثغرة تعتبر من أكبر وأخطر الثغرات التي تمكن عبرها المستعمر من الاستيطان في بلادنا .

لابد من إعداد المعلم المسلم الذي يكون صافي العقيدة ، قادرا على نقد كل فكرة غريبة عن الحس الاسلامي ، ودحض كل الشبهات التي تردبين الحين والآخر في دروس القراءة أو الجغرافية أو التاريخ أو غيرها ، حريصا على الاستزادة من الثقافة والمعرفة الاسلاميتين خاصة ، معتبرا أن مهمته هي مهمة الداعية الذي لا يبخل بالغالي والنفيس في سبيل نشر كلمة التوحيد وتركيز شرع الله في الأرض .

جاء في دراسة عن أعمال المبشرين للدكتور عبدالودود شلبي ما يلي : « وأذكر أنني ترددت كثيرا جدا على مركز من مراكز إعداد المبشرين في مدريد ، وفي فناء المبنى الواسع وضعوا لوحة كبيرة كتب عليها : أيها المبشر الشاب ، نحن لا نعدك بوظيفة أو عمل أو سكن أو فراش وثير .. إننا ننذرك بأنك لن تجد في عملك التبشيري إلا التعب والمرض ، كل ما نقدمه إليك هو العلم والخبز وفراش

خشن في كوخ فقير . أجرك ستجده عندالله . إذا أدركك الموت وأنت في طريق المسيح كنت من السعداء ...

ورغم ذلك فقد كنت أجد مئات الشباب يدرسون في ذلك المركز ، ورأيت مرة في ميناء مالقة في أسبانيا سفينة كاملة خصصت للمبشرين وعلى هذه السفينة ، قيل لي : إن هناك ثلاثة آلاف مبشر ومبشرة ، وكلهم ذاهبون إلى افريقيا ، وهذه السفينة ستنزل في كل ميناء افريقي بضع مئات من

رجالها ـ والكثيرون منهم يتسللون إلى داخل البلاد دون إذن السلطات ، لأن السلطات بروتستانية في بعض البلاد ، وهي لا تسمح بدخول المبشرين الكاثوليك ... ولكنهم يدخلون ويوغلون في الغابات ،

والعشرات منهم يقتلون دون أن يطالب بدمهم أحد لأنهم متسللون ،

والكنيسة الكاثوليكية تحتج على قتلهم ، ولكنها ترسل في الوقت نفسه بدل المفقود الواحد اثنين » ... هذا ما يقدمه كل مبشر معلما كان أو طبيبا أو مهندسا أو غيره... وفي الحقيقة نحن

أحق من غيرنا بهذا الاحساس وأولى بهذه التضحية ... إلا أن ما يقع ـ للأسف الشديد ـ هو غير ذلك ، إذ لا

يزال المعلم المسلم في بلادنا يرفض الالتحاق بمركزه في الريف حيث المكان الخصب للدعوة ، ولا يزال يبحث عن المسكن الأنيق والفراش الوثير .. الخ .

● الاهتمام بمكتبة الأطفال ●

لقد تأكد لأعداء الاسلام منذ زمن بعيد أن ما يقرؤه الطفل من قصص ومسرحيات وشعر ، لا يقل خطرا عما تقوم به الأسرة وعما يقوم به المعلم من غرس للقيم وتأثير في السلوك يبقى معه ـ أي الطفل ـ حتى آخر مرحلة من عمره ... لذلك لم يتوان هؤلاء الأعداء عن إغراق أسواقنا الثقافية بالساقط من الكتب والمجلات المعدة خصيصا للأطفال ، تستهدف صناعة هدف لهم غير هدف أمتهم وعقيدتهم ،

وذلك عن طريق نشر الأسطورة والخرافة والقصص الخيالية وغيرها التي تشكل عندهم ـ الأطفال ـ بعد ذلك خوفا وإعجابا بالبطولة الغربية وتنشىء في أعماقهم حالة تبعية تحول بينهم وبين فهم مقدرات الأمور من حيث أخطار الغزو الغربي الذي يجب أن يعدوا له منذ نعومة أظفارهم لمواجهته ومقاومته .. ولقد وظفت لذلك أسماء لكتاب مشهورين على الساحة العربية .. بل لقد أصبحت قصة الأطفال من الميادين التي يراهن عليها الشيوعيون في أكثر من قطر عربي لنشر مبادئهم الهدامة بين الأطفال ...

لذلك وجب على العاملين للاسلام وهم يعدون العدة لدك حصون الكفر والالحاد والتبعية للأجنبي ، العمل على إغراق السوق الثقافية الخاصة بالأطفال ـ من كتب ومجلات خاصة ـ بما يسهم في تحقيق هذا الهدف العظيم . وإنه لأمر سهل لو :

١ ـ **عززت الجهود** المبذولة هنا وهناك وجمعت تحت منظمة واحدة يكون هدفها نشر الثقافة الهادفة للطفل المسلم، وتعمل حسب برنامج محدد ومنظم يشرف على اخراجه مختصون في التربية وعلم النفس .

٢ ـ **يقع التعريف** بما ينشر بين الحين والآخر من إنتاج مخصص للأطفال لا تنقصه الجودة ولا الاخلاص ... إنه من المؤسف جدا أن نرى كل وسائل الاعلام في بلادنا الاسلامية تهتز تطبيلا وتزميرا عند مولد إنتاج غير إسلامي ـ وبخاصة إذا كان صاحبه يساريا ـ فتهدي له الأوصاف اللماعة التي لا تعني سوى التضليل والتعمية ، بينما يولد الانتاج الاسلامي الجديد في الظلام لا يراه أحد ولا يسمع بولادته أحد ، فيدب الشك في نفس المؤلف ، ويتوقف عن الكتابة ليصرف مجهوداته في موطن يدر عليه مكسبا محترما .

٣ ـ **تقع بين الحين والآخر** مسابقات في الانتاج للأطفال ، تسند على إثرها جوائز تقديرية للفائزين في أحسن إنتاج ، وهي طريقة تستعملها ـ للأسف الشديد ـ كثير من الأنظمة القائمة على دماء الجماهير في العالم الثالث ، لإنشاء أدب للأطفال يمجد منجزات النظام القائم ، وهي كما تؤكد التقارير طريقة من طرق استمرارية تلك الأنظمة .

٤ ـ **تقع توعية الأولياء** بخطر القراءة عند الأطفال ، وبضرورة مراقبة ما يقرؤه أطفالهم ، وضرورة التثبت من هوية المؤلف والجهة التي يصدر عنها الانتاج ، ونمدهم بقائمة من الكتب الصالحة لكل طفل حسب سنه ومستواه التعليمي .

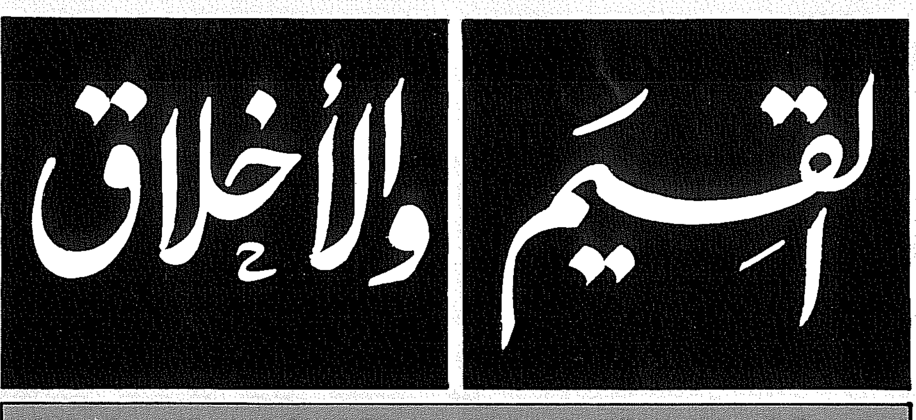
● الاهتمام بالأندية التي يرتادها الأطفال ●

اللعب ولاشك ميل من أقوى الميول وأكثرها قيمة في التربية الاجتماعية ، وهو وسيلة هامة لاكساب الطفل بعض الاتجاهات والمفاهيم والقيم ، لذلك نرى الأمم المتقدمة لا تتواني في بذل المجهودات الجبارة قصد توفير ما يحتاجه الطفل عندهم من أماكن

ووسائل للعب من شأنها أن تسهم في تنمية قدراته ـ أي الطفل ـ وذكائه وتفكيره الابتكاري ... ولقد تطورت فلسفة اللعب وتعددت أجهزته ، فبعد أن كان من الشائع أن الجهازين الأساسيين اللذين يقومان بتربية الأطفال هما الأسرة والمدرسة

فحسب ، أصبح « هناك العديد من الأجهزة التي تسهم في تربية الأطفال وإكسابهم بعض الاتجاهات والمفاهيم والقيم ، منها الأجهزة المباشرة وغير المباشرة كوسائل الاعلام والمؤسسات الترويحية مثل الأندية تضم جماعات اللعب التي تقوم بتنظيم واستثمار أوقات الفراغ ، وفي النادي تتأثر شخصية الأطفال والمراهقين بالجماعات التي يتعاملون معها في أثناء تفاعلهم خلال الأجهزة الترويحية .

ولاشك أن الأجهزة الترويحية أقدر بطبيعتها على اجتذاب الأطفال والمراهقين والكبار على السواء، وذات تأثير بالغ على شخصياتهم وصحتهم النفسية وأخلاقهم وقيمهم، كما أن النادي أو المؤسسة الاجتماعية الترويحية ليست وسيلة لإراحة الكبار من صخب الصغار، بقدر ماهي مؤسسة تعمل على تنمية أعضائها والمترددين عليها عن طريق استثمار أوقات فراغهم في تنمية قدراتهم ومواهبهم وفق هواياتهم وميولهم واستعداداتهم»، وإنه لمن المخجل أن نرى بعض الفصائل في الحركة الاسلامية العالمية لاتزال ترفض مبدأ العمل ضمن هذه النوادي بدعوى أنها لم تكن مستعملة في العهد الأول للدعوة، موفرة بذلك لأعداء الاسلام الفرصة للاشراف وتوجيه هذه النوادي حيث يقضي أطفال المسلمين الساعات الطويلة من أوقات فراغهم ... إن الواقع يفرض علينا، أحببنا أم كرهنا، أن نكون نحن السباقين إلى «الاستحواذ» على هذه المؤسسات التربوية لتكون تحت «إشراف وتوجيه وريادة صالحة تحترم القيم الاخلاقية والدينية، وبطريقة منظمة بعيدة عن العشوائية على يد هيئة إشراف مدربة ومعدة إعدادا فنيا، تلك التي تغرس في الطفل الثقة بالنفس والتعاون والتضحية والتواضع واحترام المبادىء والقيم» لنضمن سلامة الجيل المقبل من أخطار الغزو الثقافي المدمر ... وما يقال عن النوادي الثقافية للأطفال يقال ايضا عن مؤسسة الاعلام التلفزيوني والسينمائي والمسرحي بعد أن لاحظنا أن النقاش لا زال قائما بين فصائل الحركة الاسلامية حول الاستفادة من فن السينما والمسرح، في حين أن لهذه الأجهزة إمكانيات جبارة تسهل عمل الدعاة نتيجة التأثير الخطير الذي تمارسه على الوجدان والعقل ... والعمل في هذه الأجهزة يتطلب جهودا فنية وتقنية عالية لا يجيدها إلا المتخصصون في ذلك، ونحن المسلمين أولى من غيرنا بتوجيه طاقات موهوبة من شبابنا إلى التخصص في هذا الفن الخطير لان فيه الخير الكثير للاسلام وللدعوة الاسلامية، ما دام يمكننا من الدخول إلى كل بيت ومخاطبة كل طفل وكل ولي .. إن أخطر ما نخافه أن يصبح الاعتناء بقطاع الطفولة من نافلة العمل الاسلامي، بينما كل الجهود موجهة إلى قطاعات اخرى استنفدت طاقات الجهد الاسلامي فوق حاجتها ... إن التسليم في جانب الطفولة يعني التسليم في جانب مهم وحيوي من جسم الأمة، وإن تأجيل الاهتمام بهذا القطاع الحيوي يعني بلاشك تأجيل يوم النصر، هذا إذا اعتبرنا أن الأعداء غافلون، وإلا فإن الفرصة التي تفوت لن تعوض بأي ثمن.



الدكتور . محمد ضيف الله بطاينة

القيمة واحدة القيم وتعنى الثمن فيقال قومت السلعة ، ومثلما تقوم الاشياء يجرى تقويم الافعال والجهود ايضا ويقدر لها الأثمان التي تقبض ، وقد يقبل المرء أن يكون ثمن الأشياء والأفعال ثناء الجماعة عليه والمدح والإطراء له ، ويسمى هذا التقويم للأشياء والأفعال قيمة معنوية ، واما اذا كان إجراء الأفعال والتصرفات في الأشياء على وجه ابتغاء رضاء الله ونيل ثنائه وثوابه فذلك قيمة روحية ، ويمكن ان نلاحظ القيم الثلاثة الآنفة الذكر ، في الحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ، قال ابو موسى ، جاء رجل الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

أما الاخلاق فواحدها خلق ، والخلق السجية والطبع ، وهو المرور في الفعل على عادة ، ويعني ايضا المروءة والدين قال تعالى : «**وإنك لعلى خلق عظيم**» (سورة القلم آية ٤) .

وأما العادات فمفردها عادة ، وتعنى الديدن يعاد اليه ، وتكرر الشيء

والمواظبة عليه ، وحدوثه على نهج واحد بلا علاقة عقلية ، وقيل ان العادة والعرف بمعنى وقد تخص العادة بالأفعال ويخص العرف بالأقوال .

وقد جعل محمد الخضري الأخلاق والعادات بمعنى فقال الخلق هو الملكة التي بها يصدر الفعل عن صاحبها من غير مقاومة ، واصطلح الكتاب على ان يقصروا لفظ الخلق على الملكات النفسية كالشجاعة والجبن والسخاء والبخل ، وعلى ان يطلقوا لفظ العادات على الملكات الأخرى كالمشي واللعب . وهو وان وقع اختلاف فيما يطلق عليه من الافعال أخلاقا ، وفيما يطلق عليه عادات واعرافا فهو اختلاف في الاصطلاح ولا يؤثر على ذات الأشياء والأفعال ، والاتفاق على ان الأفعال لا تكون أخلاقا وعادات وأعرافا الا اذا صدرت عن سجية وطبع واتصفت بالتكرار والمواظبة والثبات . ولا تحسب الاخلاق على الأمة والعادات الا اذا كانت مألوفة عند افرادها يفعل الفاعل منهم من غير ان يحاذر نكيرا او يخشى لومة لائم ولو لم يباشره جميعهم .

هذا بالنسبة للاخلاق والعادات ، اما القيم فهى التي تعني اتجاه الاخلاق والعادات ودوافعها واغراضها إن كانت مادية او معنوية او روحية .

وقدذكرت المصادر عن الحياة العربية قبل الاسلام شواهد كثيرة تتحدث عن الكرم والشجاعة واكرام الضيف واصطناع المعروف واظهار المروءة والوفاء بالوعود والمحافظة على العهود واحترام حق الجار وحماية الحليف وغير ذلك من الاخلاق والعادات .

ولكثرة ما تحدثت المصادر عن هذه الخصال وأثنت عليها صار يخيل للقارىء أن كل فرد كان يتصف بها ، والحقيقة أنه كان هناك كرم وبخل وشجاعة وجبن ووفاء ونكث . وقدروى عن حاتم الطائى أنه جاد بفرسه ، ولكن أبا الرمكاء ضن على ضيفه بشربة لبن وهكذا كان شأن الناس في الخصال الأخرى .

ومع ان البخلاء ومن هم مثلهم في الحرص والشح كانوا أكثر بكثير من أهل الكرم والجود فإن الثناء والمدح ظل قرين الكرماء والذم قرين البخلاء .

وقد حاول بعض الباحثين ان يفهم دوافع الأخلاق والعادات ومعرفة القيم التي تحكمها.فردها بعضهم الى القيم المادية .

قال هؤلاء إن العرب ينظرون الى الأشياء نظرة مادية ولا يقومونها الا بحسب ما تنتج من نفع ، ولا يكترثون بشىء الا بقدر ما ينتجه من فائدة عملية ، وأن المعنويات لاقيمة لها في نظرهم .

ولكن احمد أمين رد على هذه المقولة فقال ، فإنه لو صح ما يروى لنا في كتب الأدب من حكايات الكرم والوفاء وبذل النفس عن سماحة في المحافظة على تقاليد القبيلة لتنافى تمام المنافاة مع المادية.وفي ظني ان القول بمادية أخلاق العرب وعاداتهم في الجاهلية قول يصح على حالات ولا يصح على حالات اخرى .

اذ ما الذي جعل حاتما الطائي يجود بفرسه وجعل ابا الرمكاء يضن بلبن

شاته فلو كان الغرض واحدا وهو تحقيق النفع المادي لوجب ان يكون المنع او البذل سبيل الاثنين وأما القول بأن الجود والكرم كان لإشاعة هذا الخلق بين الناس ليجد حاتم وامثاله من يبذل الطعام لهم اذا كانوا في غربة او أصابهم الجوع فقول مردود ، في المنافع المادية يتحرى المرء ان تتحقق المنفعة على وجه اليقين او على وجه يرجح اليقين عنده او يكون مظنة اليقين ، اما البذل لنيل منفعه للباذل اولغيره في قابل غير مضمون فإنه ليس من القيمة المادية في شيء وإنما يدل ذلك لو صح على مستوى رفيع من الحس الجماعي .

أما اذا كان من وصفوا بالكرم يبسطون ضيافتهم لأناس يبادلونهم الزيارة والضيافة فهذا ممالا يعنينا الحديث عنه ، وهو مما لم تعنه الروايات والأخبار التي روت انهم كانوا يوقدون في الليل النار على الجبال ليرشد بها الضال الى منازلهم ويأمرون في النهار من ينادى أن من اراد الدرمك واللحم والتمر واللبن فليأت بيوتهم

وفي ظني مع قلة من كان يبذل الطعام وكثرة من كان يضن به لقلته ، ان العرب كانوا ينطلقون في ذلك من منطلقات معنوية يريد بعض من كان ذا مال ويسر حال ، أن يشبع من خلال البذل والعطاء نزعه تحقيق الذات وهى لا شك قيمة معنوية ، وقل الشيء نفسه في أمور الشجاعة والوفاء بالعهد وغيرها .

ومع أن القيمة وراء الكرم وغيره كانت معنوية ، فإنها كانت ذات طابع فردى ولكن الثناء عليها جاء من خلال آثارها على الناس ، فحاتم الطائي يمدح ويذكر بالثناء وينتشر صيته ، والناس يأكلون من وراء ذلك ويشربون فالكرم عند حاتم معنى وعند الناس منفعة .

ولكن كيف نشأت هذه الاخلاق والعادات ؟

يرد احمد أمين نشوء هذا النوع من الأخلاق والعادات الى البيئة التي عاش فيها فيقول : هذا النوع من البيئة حدد نوع معيشتهم ، فهم رحل يتطلبون الكلأ ، وهم فقراء ثروتهم في كثرة ماشيتهم ، وهذه الثروة تحت رحمة الطبيعة فقد تنفق الماشية وينضب ماء الآبار ويقل المطر فيقل المرعى ويسوء العيش ، وبحق سموا المطر غيثا ، وهذا النوع من البيئة حدد نوع أخلاقهم وعقليتهم ، أليس البؤس هو الذي جعل الكرم وإيقاد النيران يهتدي بها الضيفان في مقدمة الفضائل ؟ أو ليس هذا الفقر هو الذي حبب اليهم الاغارة فاشادوا بذكر حمى القبيلة وعبروا من قصر في الدفاع عنها واسترخصوا النفوس في سبيل حمايتها ؟ أ ليسوا اذاً في حاجة لأن يعدوا الشجاعة والوفاء والعفومن كبريات الفضائل ، وهكذا قل في عقليتهم، فالعدل والظلم والخير والشر وما يذم وما يمدح كله تابع لما تواضعوا عليه . وماتواضعوا عليه تابع لنوع معيشتهم .

والقول بأثر البيئة في حياة الناس قديم قاله اليونانيون ، والمعنى الذي ذهب اليه احمد امين على جانب من المبالغة ، فحياة العرب ومظاهرها لا

يصلح لتعليلها سبب مفرد كالبيئة ، فالعرب أناس اختلطوا بغيرهم من الأمم والشعوب ، ولا بد انهم أثروا وتأثروا بهم ، وهم ممن ورثوا ديانات عديدة وآثار هذه الديانات باقية بينهم على تفاوت واختلاف ، وذرية ابراهيم عليه السلام الذي حدثنا القرآن عن ضيوفه كانت تنزل بين ظهرانيهم ، قال تعالى « **ونبئهم عن ضيف إبراهيم** » سورة الحجر آية ٥١ ، وقال الله تعالى « **فما لبث أن جاء بعجل حنيذ** » سورة هود آيه ٦٩ ، كما ان العرب قوم لهم عقول يتدبرون بها ، وعندهم القدرة على مواجهة التحديات والاستجابة لها ولا شك ان معادلة الحياة بينهم كان للبيئة اثر في صياغتها ، ولكنها لم تكن نسيج البيئة وحدها .

فالكرم والشجاعة والوفاء بالوعد والمحافظة على العهد واحترام الجار وغير ذلك مما يمدح موجود على تفاوت بين الشعوب الاخرى ، وقد يكون للبيئة أثر في إبراز جانب وتغليبه على غيره لأسباب بيئية خاصة ، كالمقدار الذي اذا اخرجه الفرد من ماله عد الفرد كريما ، ونوع المال الذي إذا قدمه الفرد من ماله صار معدودا جوادا ، والفعل الذي إذا أتاه الفرد عد شجاعا او وفيا ، فهذه من الأمور التي يمكن ان يكون للبيئة أثر فيها على تفاوت بين حال الغني والخصب والوفرة والكثرة وحال الفقر والجدب والحاجة والقلة .

أما الاحكام على هذه الافعال فكانت عند عرب الجاهلية من نتاج التنقل وتعاليم الديانات السابقة مع أخذ عامل البيئة بعين الاعتبار .

وعندما جاء الاسلام أراد ان يجعل الفرد الذي كان يعيش في إطار قبلي محدود حجما ، وهابط غرضا وهدفا ، اراد أن يجعله في إطار جماعي يكبر على التدريج وتسمو اغراضه واهدافه ، فجعل علاقات الفرد والجماعة علاقات خلق مع خالق هو رب العالمين وعلاقات عبيد مع إله واحد لا شريك له ، وجعل الاخلاق والعادات كلها تدور في فلك هذه العلاقة أي علاقة العبد المخلوق بالإله الواحد الخالق .

لقد ألغى الاسلام كل ما كان سيئا في حياة العرب قبل الاسلام وابقى على كل ما كان حسنا ، وجعل فعل ما كان حسنا متعلقا بابتغاء مرضاة الله ونيل ثوابه .

أبطل الاسلام الاحتكام الى العرافين والأقداح والتطير والتشاؤم وتعليق الاشياء القذرة النجسة على الأبدان والامتناع عن الزواج في شوال وغير ذلك مما لا يقوم الدليل على وجود فعل له مرتبط بمظنة مفعوله ارتباط العلة بالمعلول والسبب بالمسبب ، اذ لاعلاقة قطعية بين العراف ومستقبل الناس ، ولا بين شوال والزواج فيه ، ولا بين الطير سانحة أو بارحة والسفر والتجارة ولا بين النجاسة والجنون .

ونهى الاسلام عن التنابز بالألقاب مثل (دحروجة الجعل) و (ابو الذبان) وأمثال ذلك ، قال تعالى ..

« **يا أيها الذين أمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** » (سورة الحجرات آية (١١) وسابب ابوذر رجلا وعيره بأمه ، فلما علم الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال لابي ذر«إنك امرؤ فيك جاهلية »

وحبب الاسلام أن يدعو المسلم أخاه باحب الكنى والألقاب اليه ، فشاع ابو بكر وابو الحسن وابو عبد الله وغيرها من الكنى ، وانتشر المهدى والرشيد وخير الدين وغيرها من الألقاب ، وكانت ظاهرة الكنى والألقاب من سمات المجتمع الاسلامي المعروفة .

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحب الاسم الحسن والفأل الحسن ، فكان رجل اسمه زحم فسماه بشيرا ، وأمرأة كان اسمها عاصية فسماها جميلة وكانت زينب بنت أبي سلمة تسمى برة فقال عليه الصلاة والسلام تزكي نفسها وغير اسمها الى زينب وقال لرجل أدع لى انسانا يحلب ناقتي فجاءه برجل اسمه حرب فرده وجاءه بآخر اسمه يعيش فرضيه وقال له احلبها يايعيش .

وأمر الاسلام بالصدقة والنفقة وحض على الكرم وبذل الضيافة ابتغاء وجه الله ورضوانه ، قال تعالى

« **إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** » (سورة الانسان آية ٩) وقال تعالى :

« **يأأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون** » الى قوله تعالى « **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء** » سورة البقرة الآيتان ٢٦٧, ٢٦٨

وقال تعالى « إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم (سورة البقرة آية ٢٧١

وروى البخارى في صحيحه ان رجلا سأل الرسول (صلى الله عليه وسلم أي الاسلام خير ؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» .

وروى البخارى في صحيحه ايضا ان النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة .

ولا يحل له ان يثوى عنده حتى يحرجه» وجعل الاسلام على المضيف ألا يغضب ولا يجزع عند الضيف .

وروى ان ضيفا ضاف عند أنصاري وليس في طعام الانصاري فضل عن كفاية ، فأمر الأنصاري امرأته بإطفاء السراج ليأكل الضيف وهو لا يشعر أن المضيف له لا يأكل .

وقال عمر بن عبد العزيز ، إنه للؤم بالرجل أن يستخدم ضيفه .

وأثنى الاسلام على الإقدام في الحرب والشجاعة ولقاء الأعداء وجعل ذلك في سبيل الله ونشر دعوته ، وفضل أولو الأمر أهل الشجاعة والأقدام على غيرهم في العطاء وقسم الغنيمة .

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) أشجع الناس ، قال البخاري في صحيحه ، كان النبي (صلى الله عليه وسلم) من أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس .

ووصف الله عز وجل نبيه بحسن الخلق فقال تعالى :

« **وإنك لعلى خلق عظيم** » (سورة القلم آية ٤) وروى البخاري في صحيحه عن مسروق أنه قال ، دخلنا على عبد الله بن عمرو حين قدم على معاوية الكوفة فذكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم فقال لم يكن فاحشا ولا متفحشا) . وقال عليه الصلاة والسلام : «إن من أخيركم أحسنكم أخلاقا» . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يمسك نفسه عند الغضب» .

ومدح الرسول « صلى الله عليه وسلم»

خلق الحياء وعده من الإيمان فقال ، الحياء لا يأتي إلا بخير . ومر على رجل وهو يعاتب آخر في الحياء ويقول له ، انك لتستحى كأنه يقول قد أضر بك ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دعه فإن الحياء من الإيمان .
وحث الاسلام على الوفاء بالعهود ، فقال تعالى :
« والموفون بعهدهم إذا عاهدوا» (سورة البقرة آية ١٧٧) وقال تعالى :
« والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » (سورة المؤمنون آية/٨) .
وأوصى الاسلام ببذل المعروف والمهاداة واحترام الكبير وصلة الرحم وغير ذلك ـ مما يسل السخيمة من الصدور ويورث المحبة والمودة في القلوب ويزرع التعاطف في النفوس .
روى البخاري في صحيحه أن رجلا أو طالب حاجة جاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) يسأل ، فأقبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) على من حوله فقال : اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه مما شاء».
واتى عبدالله بن سهل ومحيصة بن مسعود خيبر فتفرقا في النخل ، فوجد عبدالله بن سهل مقتولا ، فجاء عبد الرحمن بن سهل وحويصة ومحيصة أبناء مسعود الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فتكلموا في أمر صاحبهم . فبدأ عبد الرحمن وكان اصغر القوم ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) كبّر الكبر ، أي ليلي الكلام الأكبر .
وسأل رجل الرسول (صلى الله عليه وسلم . أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال:«تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم».

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم)«امن سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه . وعدّ عليه الصلاة والسلام عقوق الوالدين من الكبائر .

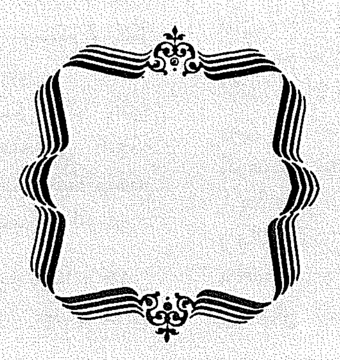
وأما بخصوص الجار فيبدو أن العلاقات بين الجيران تأتي في المرتبة الثانية بعد العلاقات بين افراد الأسرة الواحدة ، فقد اهتم الاسلام بالأسرة والعلاقات بين أفرادها يريد أن يقيمها على أساس قوى قويم يجعلها قادرة على تربية الأجيال الصالحة وتنشئتها واعدادها للمساهمة الطيبة في بناء المجتمع وحفظ كيان الأمة ، وعد العلاقات بين الأسر أي العلاقات بين الجيران امتدادا لذلك ففي أمن الأسرة الواحدة وطمأنينتها وأمن العلاقات بينها وبين جاراتها من الأسر الأخرى تزدهر الحياة ويزداد العطاء ويعمر المجتمع ويتجدد شباب الأمة .
قال رجل لسعيد بن العاص ، والله إني لاحبك ، فقال له ولم لا تحبني ولست بجار لي ولا ابن عم ، وكان يقال ، الحسد في الجيران والعداوة في الأقارب .
وهي إشارة الى ما يكون بين الجيران والأقارب من العلاقات السيئة مما يفضي الى الخصومة والعداوة ويقطع وشائج المحبة والمودة ولذلك كانت الأسرة الصالحة والجيرة الحسنة معوانا على الخير .
وفي الحياة البدوية قد تكون الجيرة أخف وطأة منها في دار الإقامة والحضر ، فاذا وقع الخلف والخصام بين الجيران رحل بعضهم عن بعض ، وأما في الحضر فهى أشد وطأة ولذلك قيل«الجار قبل الدار» ومن هنا اهتم الاسلام بالجار وأكثر من الوصاية به ، قال الله تعالى :
« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب

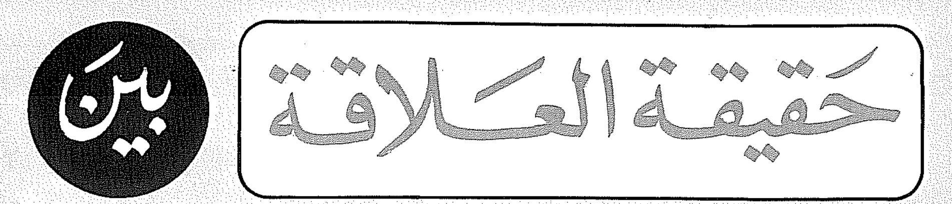
وابن السبيل » (سورة النساء آية ٣٦)
وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) «مازال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت انه سيورثه » .
وقال عليه الصلاة والسلام .. «والله لا يؤمن والله لايؤمن ، والله لا يؤمن قيل من يارسول الله ، قال الذي لا يأمن جاره بوائقه».
وقال عليه الصلاة والسلام ..
«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».
وقال شاعر الجاهلية :

نـارى ونـار الجـار واحـدة
والـيـه قبـلى تـنـزل القـدر
مـا ضر جـارا لي أجـاوره
الا يكـون لبيتـه سـتـر
اعمـى إذا مـا جـارتـي بـرزت
حتـى يـواري جـارتـي الخـدر

ومر مالك بقينة تغني :
أنت اختى وانت حـرمـة جـاري
وحقيـق عـلى حفظ الجـوار
إن للجـار ان تـغيـب غيبـا
حـافظـا للمـغيـب والأسـرار
مـا أبـالي أكـان للبـاب سـتـر
مسبـل أم بقـي بـغـير سـتـار

فقال مالك علموا أهليكم هذا ونحوه .
والمعن فيما ذهب الاسلام اليه ، والقيم التي جعلها حكما على الاخلاق والعادات يجد ان احترام الانسانية والحفاظ عليها وصيانة النوع البشرى وتكريمه واصلاح دنياه وآخرته كان غرضه وغايته .
ولكن تعلق الناس بهذه القيم في أخلاقهم وعاداتهم لم يكن عاما ، وإنما اختلفوا في مستوى استجابتهم ، وتفاوتوا في درجة الامتثال والالتزام ، ووقفت بعض الاتجاهات الفردية والقبلية السلبية دون تعميق القيم والمثل الاسلامية في حياة بعضهم
وعلى أية حال ، فقد تهيأ للناس في ظل الاسلام مالم يتهيأ لهم من قبل،اذ قامت للاسلام دولة أخذت ترعى بمؤسساتها وأجهزة الحكم فيها العلاقة بين الفرد والجماعة وبين الله ، وتتخذ الوسائل لتعزيز هذه العلاقات وتقويتها عن طريق الايمان وتقوية الصلة بالله بالوعظ والإرشاد والتربية والتعليم، وعقد الدروس والحلقات والحض على حضور الجماعة والانخراط في صفها،وذم الاعرابية والرجوع اليها مخافة أن ينقلب المرء جاف الطبع غليظ القلب ، وسياسة الناس بالشرع واحكامه مما كفل سيادة الاسلام ومبادئه وقيمه رغم الثغرات التي ألمحت الكتب اليها في سلوك الناس ..





نظام الطلاق وظاهرة جنوح الأحداث

للدكتور/ احمد على المجدوب

الطلاق من النظم الاسلامية الكثيرة التي استهدفت لنقد شديد من جانب عدد كبير من المستشرقين والمبشرين الذين قاموا بدراسة الاسلام بروح ابعد ما تكون عن الموضوعية ، وبدافع من العداء له والرغبة في اظهاره بمظهر الدين الملىء بالعيوب والمثالب .

وعلى الرغم من ان بعضهم قد عرف عنه في الاوساط العلمية دقة البحث وعمق النظر والالتزام بالموضوعية الا انه في دراسته للنظم الاسلامية يبدو وكأنه تخلى عن هذه الصفات وارتد الى مرحلة مبكرة من مراحل التعليم حيث لا دقة ولا عمق ولا موضوعية . وما ذلك الا لأنه استسلم لتعصبه فأعماه واتبع هواه فأضله وارداه . ومن هؤلاء المستشرق « كارل بروكلمان » الذي لم يتورع رغم علمه المزعوم ، عن ان يصدر حكما متعسفا لا سند له من بحث او دراسة يقول فيه « ان الطلاق في الاسلام أمر ميسور جدا غير شك» وهو كما نرى رأى يتسم بالسطحية الشديدة ويفتقر الى الدليل والبرهان ولو ان « بروكلمان » كان عالما بحق لقدم للقارىء ما يدل على صحة هذا الكلام من احصاءات وغيرها تبين ارتفاع معدلات الطلاق في العالم الاسلامي عن مثيلاتها في اي دولة اخرى تأخذ بنظام الطلاق مع بعض القيود التي تجعله امرا غير ميسور ، على خلاف ما فعله الاسلام . ولكنه للاسف لم يفعل وما كان ليفعل لانه يعلم

علم اليقين انه غير صادق فيما ادعاه .
وقد وجد من يردد هذه الاكذوبة بعد « بروكلمان » من المستشرقين الذين لا يتورعون عن انتهاز اي فرصة تسنح لهم فيسددوا سهامهم الى الاسلام ، منهم المستشرقة الشيوعية « لويزا شايدولينا » التي ساقت كلاما سخيفا تأييدا لما قاله « بروكلمان » من ذلك قولها « ويمكن ان يكون المبرر لفسخ عقد الزواج اي خطأ او هفوة بسيطة من جانب الزوجة . كما ويستطيع الرجل المبادرة الى اعلان الطلاق بدون اي مبرر . تؤثر هذه السهولة في فسخ عقد القران بشكل سلبي على وضع المرأة وتفقدها شعور الأمن والطمأنينة »
ومع ذلك فانه يوجد من بين المستشرقين والمؤرخين قلة قليلة يحاول افرادها ان يراعوا الموضوعية فيما يكتبونه عن الاسلام ، منهم المؤرخ الامريكي ول . ديورانت الذي تناول نظام الطلاق في الاسلام بقوله « لكن الاسلام وان اجاز ان يطلق الزوج زوجته كما كان مباحا في ايام الجاهلية فان النبي لم يكن يشجع عليه ويروى عنه انه قال" ان ابغض الحلال الى الله الطلاق » هذا الى ان القرآن نفسه يحض على عدم قطع العلاقة الزوجية الا بعد ان تبذل الجهود للاصلاح بين الزوجين « **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**» ـ سورة النساء أية ٣٥ ولا يصبح الطلاق نهائيا الا بعد صدوره ثلاث مرات بين كل واحدة والاخرى شهر على الاقل

ولكي يرغم الزوج على ان يطيل التفكير في أيمان الطلاق قبل صدورها فان الاسلام لا يبيح بعد ذلك للرجل ان يرد مطلقته الى عصمته الا اذا تزوجت من رجل اخر ثم طلقت منه.» ومن الواضح ان ول ديورانت قد اختلط عليه الامر في الجزء الاخير من كلامه فاضاف من عندياته **شرط الشهر** كما خلط بين الطلاق لمرة واحدة والطلاق المكمل للثلاث فكشف بذلك عن طريقة المؤرخين المتعجلة والسطحية في النظر الى النظم المطبقة في غير مجتمعاتهم وعدم عنايتهم بتحرى الحقيقة بشأنها . ولكنه على اي حال قد بين ان الطلاق ليس ميسورا جدا كما زعم « بروكلمان » ومن هم على شاكلته من مستشرقين ومبشرين اتخذوا من نظام الطلاق ذريعة لمهاجمة الاسلام ، لا في الكتب فحسب بل وفي المؤتمرات والندوات وحلقات البحث ، زاعمين انه السبب في تخلف المرأة المسلمة واصابتها بالقهر ، وانه يلعب دورا هاما في ظاهرة جنوح الاحداث التي يرجع ارتفاع معدلاتها الى طلاق الابوين وما يؤدي اليه من فقد الابناء للاستقرار والدفء الاسرى ورعاية الابوين .
وقد تلقف ضعاف الايمان ومن كان اسلامهم على حرف والمسلمون اسما من العلماء والمفكرين والباحثين العرب ، وغيرهم ممن يطلقون على انفسهم وصف المثقفين هذه المزاعم وانطلقوا يهاجمون نظام الطلاق ويلصقون به كل نقيصة وينسبون اليه كل العيوب والمثالب التي تعاني منها مجتمعاتهم . فاتهموه بأنه يظلم المرأة ويلحق

الضرر بالابناء وينال من استقرار المجتمع ويصيبه بالتخلف . وطالبوا بمنعه او على الاقل بتقييده تلافيا لهذه الاثار السيئة ووقاية من جنوح الاحداث وانحراف الشباب . ولم يتورع بعض الباحثين عن تقديم احصاءات زائفة وتفسيرات ملتوية لظاهرة جنوح الاحداث ليؤيدوا بها مازعموه من ان الطلاق هو السبب في ارتفاع معدلات الجنوح .

واذا نحن تأملنا في موقف هؤلاء واولئك اي المستشرقين والمستغربين على السواء فسوف نلحظ ان الباعث لديهم الى اتخاذ هذا الموقف واحد وهو العداء للاسلام وكذلك الهدف بالنسبة لهم واحد ايضا وهو القضاء على الاسلام باسلوب تدريجي قوامه تحطيم نظمه الواحد تلو الاخر طالما انه يتعذر القضاء عليه دفعة واحدة وذلك باختلاق الاسباب التي تنتقص من هذه النظم وافتعال عيوب ينسبونها الى كل نظام منها . ولا زلت اذكر الحوار الطويل الذي دار ذات يوم بيني وبين احد رجال مجلس الكنائس العالمي الذي كان قد حضر احد الملتقيات الاسلامية المسيحية في تونس منذ سبع سنوات . وكان الرجل والحق يقال صريحا الى حد بعيد وهو ما قدرته له حيث قال لى ان اباحة الاسلام للطلاق تسبب للمبشرين بالمسيحية في افريقيا مشكلات كثيرة ويقف عقبة في سبيل اعتناق الافريقيين للمسيحية التي تحرم الطلاق مما جعل الكنيسة الكاثوليكية تصدر تعليماتها الى مبشريها وكهنتها الذين يديرون مراكز التبشير والكنائس بالتساهل في هذا الامر واخبار الافريقيين الذين يجرى استدراجهم لاعتناق المسيحية بانه ليس هناك مايمنع الطلاق ، بل وتعدد الزوجات ايضا الذي قال هذا الرجل انه يعد عاملا اخر من العوامل التي تجذب الافارقة الى الاسلام . واستطرد قائلا وهو يضع على شفتيه ابتسامة خبيثة « ان الاسلام كان ذكيا عندما اباح هذين الامرين اذ استجاب بذلك الى ما لدى الرجل من ميل فطري الى التفوق على الانثى فيكون له ان يتخلص منها بالطلاق وقتما يشاء وان يجمع بينها وبين اخرى او اكثر في عصمته ليضاعف متعته » فقلت له ولماذا تسميه انحيازا من الاسلام للرجل ؟ ولم لا يكون تنظيما من الاسلام للعلاقة بين الرجل والمرأة راعى فيه مصلحتهما معا ؟ فمط شفتيه وهو لا يزال يبتسم في خبث وقال ربما ولعل الذين اتيحت لهم الفرصة لحضور بعض المؤتمرات او الندوات وحلقات البحث التي تعقد بكثرة وتتناول موضوعات دينية او اجتماعية او حتي اقتصادية او ثقافية لاحظوا ان انصار كلتا الكتلتين الغربية والشرقية لا يتفقون على شيء الا على الاسلام ، فيشتركون في الهجوم على نظمه وكيل الاتهامات لها بانها تسيء الى المرأة او تضر باستقرار الاسرة وتهدد وحدة المجتمع او بكل هذه الامور مجتمعة .. وفيما عدا هذا تجدهم مختلفين متناحرين يتناقشون بعنف ويتصارعون بقوة حول امور هي من التفاهة بمكان ومن المثير للدهشة حقا انه يكون من بينهم دائما نس

يصفن انفسهن او تصفهن الصحف والمجلات بأنهنَّ تقدميات او « ليبراليات » اغلبهن مطلقات وامهات فاشلات لأبناء انحرفوا لأنهنّ لم يقمن بواجباتهن نحوهم ، بل حملن حقائبهن ومضين يتنقلن من بلد الى آخر لترديد هذه الادعاءات التي يعتبرن هن انفسهن بسلوكهن وتصرفاتهن اصدق دليل على كذبها ويكفي ان يتعامل المرء معهن لكي يدرك بلا ادنى جهد لماذا طلقن .

ولو ان المستشرقين وتلاميذهم المستغربين من العرب والمسلمين التزموا بالامانة العلمية وتقيدوا بالقيم والاخلاق وبدلا من ان يستسهلوا الكذب ، تحملوا مشقة الصدق لكي ينالوا احترام الناس ويحظوا بتقديرهم فلجأوا الى القراءة والبحث في المراجع العلمية لعلموا ان الطلاق ليس امرا ميسورا جدا في الاسلام كما زعم « بروكلمان » إذ لو انه كان كذلك لارتفعت معدلاته كثيرا في الدول الاسلامية بالمقارنة مع ما هي عليه في الدول غير الاسلامية . ولعلموا ايضا انه ليس العامل الاول في قائمة العوامل التي تؤدي الى ارتفاع معدلات جنوح الاحداث كما تبين من كثير من البحوث التي اجريت في كثير من الدول ، وعلى خلاف ما ذهبوا اليه فقد اعترف بعض العلماء الغربيين الذين درسوا ظاهرة الجنوح ان نظام الاسرة الاسلامية يعوض الابناء عما فقدوه من حنان ورعاية الابوين في حالة حدوث الطلاق .

ففيما يتعلق بمعدلات الطلاق في الدول المختلفة جاء في الاحصائية التي نشرتها دائرة المعارف الامريكية انه بينما كان معدل الطلاق في مصر سنة ١٩٥٥ يبلغ ٢,٦٤ حالة لكل الف من السكان فان هذا المعدل انخفض سنة ١٩٧٥ الى ٢,٠٢ حالة طلاق - وكذلك بالنسبة للدولة الاسلامية الثانية التي جاءت ضمن الدول التي وردت بالاحصائية وهي ايران التي كان المعدل فيها سنة ١٩٥٥ ١,٤٥ حالة طلاق لكل ألف من السكان انخفض سنة ١٩٧٥ الى ٠,٦٤ فقط اما اعلى معدل فكان في الولايات المتحدة الامريكية حيث بلغ ٢,٣٠ حالة طلاق سنة ١٩٥٥ وصل الى الضعف سنة ١٩٧٥ ليصبح ٤,٨٠ حالة طلاق لكل الف ووصل سنة ١٩٧٦ الى خمس حالات . وقد جاءت السويد بعد الولايات المتحدة بمعدل ٣,٣٣ يليها الاتحاد السوفييتي بمعدل ٢,٩٥ ثم تشيكوسلوفاكيا بمعدل ٢،١٨ وبطبيعة الحال فان الكلام بهذا الشكل يبدو مضللا لأن عدد حالات الطلاق ينسب الى كل الف من السكان بما في ذلك غير المتزوجين ومن لم يبلغوا سن الزواج . لذلك فان ما نشره الباحث الامريكي « جوزيف ايتين » في كتابه (الطلاق) الذي نشره سنة ١٩٧٥ هو الاصح حيث اعتمد على النسبة وليس على المعدل فتبين ان نسبة الطلاق بين الامريكيين وصلت الى ٢٥٪ من اجمالي حالات الزواج بينما ارتفعت في ولاية كاليفورنيا الى ٥٠٪ .

وقد لوحظ انه في الوقت الذي ارتفعت فيه معدلات الطلاق في الولايات المتحدة فقد سجلت مكاتب توثيق

الزواج انخفاضا مطردا في عدد الزيجات بلغ ٢٥٪ خلال السنوات الخمس (١٩٦٩-١٩٧٣) في سان فرنسيسكو . كما بلغ الانخفاض في شيكاغو ٢٣٢٣ زيجة عام ١٩٧٤ عما كان عليه في عام ١٩٧٣ الذي ينقص ٢٧٨٤ زيجة عما كان عليه الحال في عام ١٩٦٩ . كما سجلت الزيجات في ولاية نيويورك انخفاضا سنويا منذ عام ١٩٧١ بلغ في المتوسط حوالي الف زيجة . ويقول عالم الاجتماع ها رولد ويلنسكي « ان الاتجاه في معدلات الطلاق في الولايات المتحدة يماثل بدرجة كبيرة نظيره في الامم الغربية التي تسمح بالطلاق للتماثل الواضح بين القيم والعادات والتقاليد والنظم في هذه الامم.ومما يسترعى الاهتمام انه على الرغم من ارتفاع معدلات الطلاق في الدول الغربية بل والكتلة الشرقية ايضا على هذا الوجه وما ينسبه علماؤنا الاذكياء الى الطلاق من عيوب ومثالب ، فانه يلاحظ وجود اتجاه متزايد نحو اصدار قوانين تسمح بالطلاق في كثيرمن الدول الغربية التي لم تكن تسمح به ، وبالذات في الدول التي للكنيسة الكاثوليكية نفوذ عظيم فيها كايطاليا حيث الفاتيكان معقل الكاثوليكية والتي انفق كهنتها ملايين الدولارات للدعاية المضادة للطلاق عندما طرحت الحكومة الايطالية القانون الخاص للاستفتاء العام سنة ١٩٧٣ ومع ذلك فقد حظى باغلبية ساحقة صوتت الى جانبه .

وكانت الحكومة الايطالية قد لجأت الى هذا الحل بعد ان تفاقمت مشكلة الازواج المنفصلين فعلا والذين بلغ عددهم خمسة ملايين زوج وزوجة كان كل منهم يعيش مع شريك آخر بدون زواج رسمي او ديني بل ان كثيرين منهم انجبوا من شركائهم في هذه العلاقة . وها هي البرازيل تصدر منذ ايام قانونا يسمح بالطلاق غير عابئة باعتراضات الكنيسة ذات النفوذ الملحوظ في البلاد وسوف تتبعها دول اخرى هنا وهناك تسمح بالطلاق لا لشىء الا انه هو الحل السليم لما يقع من نفور وعدم توافق بين الزوجين او ما يحدث من خلافات تجعل استمرار الحياة الزوجية السليمة والصحية مستحيلا وتؤدي الى مشكلات تفوق في الضرر والخطر ما يترتب على الطلاق

اما بخصوص ما يزعمونه من ان الطلاق يلعب دورا مؤثرا في مشكلة جنوح الاحداث فقد تبين من البحوث التي اجريت في الولايات المتحدة عدم صحة هذا الزعم ففي البحث الذي اجرته العالمة الامريكية (كافان) تبين ان حوالي ٦٦٪ من عينة البحث من الاحداث الجانحين ينتمون الى اسر يقيم فيها الابوان معا أي انهما غير مطلقين اما النسبة المتبقية وهي ٣٤٪ الذين جاءوا من اسر مفككة اي لا يوجد احد الابوين بسبب الطلاق او غيره) فقد تبين الاتي .

ان ١١٪ ينتمون الى اسر مات فيها الأب ٧٪ ينتمون الى اسر ماتت فيها الام و ١٪ ينتمون الى اسر مات فيها الابوان معا . ولم تزد نسبة الذين ينتمون الى اسر تفككت بسبب الطلاق او الانفصال الجسماني او الهجر على ١٥٪ فقط وقد جرت دراسة اخرى مماثلة في ولاية (واشنطن) قام بها

اشلى ويكس . جاءت نتائجها قريبة جدا من نتائج الدراسة التي اجرتها (كافان) التي دعت الى الاهتمام بنمط العلاقة بين الابوين وبينهما وبين الابناء اكثر من الاهتمام بالحقيقة المجردة الخاصة بوجود او بغياب الابوين او احدهما عن البيت واقترحت استخدام مفهوم « الاسر المفككة نفسيا » والذي يشير الى الاسر التي يوجد فيها صراع وخصام وشجار بين الزوجين يؤدي الى القضاء على دور الاسرة في عملية ضبط الاولاد وتوجيههم الوجهة السليمة . وقد وجدت « كافان » ان هذا المفهوم يرتبط بظروف فقدان المركز الاجتماعي وفقد الاسرة لوحدتها ، وفقد الأمن الانفعالى كما خرجت بنتيجة هامة وهي ان الاسر التي تعد من الناحية الفنية مفككة يمكن ان تكون من الناحية النفسية غير مفككة اذا كان هناك بدائل عن فقد احد الابوين او كليهما او اذا كان الانسجام قد تحقق بين الابناء واحد الابوين بعد فقد الاب الاخر واحتفظت الاسرة بوحدتها وبعملية الضبط فيها .

والى هذه البدائل اشار عالم الاجتماع الامريكي ويلنسكي عند كلامه عن اختلاف اثار الطلاق في الولايات المتحدة عنها في غيرها وذكر مصر على سبيل المثال فقال ان الطلاق في المجتمعات المماثلة لمصر لا يعد مشكلة اجتماعية نظرا لان نسق القرابة يستند الى الجماعات القرابية الواسعة وليس على القرابة المباشرة فقط . وهو يعني بذلك ان القرابة في مصر لا تقتصر على الابناء والابوين فقط بل تمتد لتشمل الجماعات القرابية الواسعة وهي اسرة الزوج واسرة الزوجة واصول الاسرتين وفروعهما بقدر ما تعى الذاكرة اي ذاكرة الاقارب والتي تقوم بدورها كماصة للصدمات . فالاسرة لا تتخلى عن ابنتها التي طلقت ولا عن اولادها بل تحتضنهم جميعا وتحيطهم بالعناية والرعاية والحب . وكذلك اسرة الزوج الذي ماتت زوجته او طلقت وتركت له الاولاد . وهكذا في كل حال تصاب فيها الاسرة بالتفكك لطلاق او وفاة او حتي مجرد خصام مؤقت تبادر اسرتا الزوجين لتقديم العون لهما وبذل النصيحة والتطوع بالمساعدة والي هذه الظاهرة التي استحوذت على اهتمام علماء الاجتماع الغربيين يرجع الانخفاض الملحوظ في كل من ظاهرتي جنوح الاحداث والبغاء حيث تجد المطلقة في اسرتها ملاذا لها وحماية من الانحراف .

وعلى خلاف ما يزعمه بعض ادعياء العلم من ان الطلاق يتسبب في نسبة لا تقل عن ٥٠٪ من اجمالي حالات جنوح الاحداث التي تقع في مصر وذلك بقصد دعم موقفهم المعارض للطلاق ودعوتهم الملحة الي تقييده تبين من البحث الذي اجراه المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة لظاهرة الطلاق ان نسبة تصل الى ٧٢,٣٪ من حالات الطلاق وقعت قبل ان ينجب الزوجان اولادا فكيف بالله تكون نسبة الجانحين الذين يرجع جنوحهم الى طلاق الابوين

٥٠٪ او أكثر . واذا كانت لنسبة المطلقين دون ان ينجبوا دلالة فان هذه الدلالة تأتي لتدحض ادعاء أولئك الادعياء . ذلك انها تبين ان وجود الابناء يؤدي الى انخفاض في عدد ما يقع من حالات الطلاق باعتبار أن وجود الاولاد يلعب دورا في قيام الترابط الاسرى او على الاقل يفرض على الزوجين الابقاء على العلاقة الزوجية قائمة من أجل الابناء . ولذلك فقد لوحظ ان نسبة الطلاق تنخفض كلما زاد عدد الاولاد فقد بلغت ١٧,٣٪ لمن كان لديهم ابن واحد وانخفضت الى ١٤,٦٪ لمن كان لديهم بنت واحدة مما يدل على ان الابوين يكونان اكثر حرصا على استمرار قيام الاسرة اذا كانا قد انجبا بنتا لما يلمسانه من ان البنات اشد حاجة الى الرعاية والعناية من البنين . كذلك فقد انخفضت النسبة الى ٦,٥٪ في حالة وجود ابنين بغض النظر عن كونهما انثيين او ذكرا وأنثى أو ذكرين . واستمر الانخفاض مع زيادة عدد الابناء ليصل الى ٢,٦٪ لمن كان لديهم ثلاثة ابناء و ١,٤٪ لمن كان لديهم اربعة ابناء و ٠,٢٪ لمن كان لديهم خمسة ابناء وهكذا يتبين ان الطلاق يأخذ اتجاها عكسيا لعدد الابناء بمعنى انه كلما زاد عدد الابناء انخفض عدد حالات الطلاق .

اما الحقيقة التي اراد اعداء الاسلام ونظمه ان يخفوها فهي ان ارتفاع معدلات جنوح الاحداث وجرائم الشباب يرجع الى امر اخر غير الطلاق هو عمل المرأة الأم وعدم اهتمامها ببيتها وزوجها واولادها ، فهي تمسكا منها بالشعارات الزائفة والمضللة التي تتحدث عن حق المرأة في العمل ومساواتها بالرجل تصر على الخروج للعمل حتى ولو لم تكن في حاجة الى الدخل الذي تحصل عليه منه،زاعمة بدافع من المكابرة ، انها تؤكد ذاتها وتثبت استقلالها عن الرجل وتساهم في عملية التنمية . وهي في الحقيقة تحاول ان تخفي انانيتها خلف هذه الكلمات التي لقنتها لها من يطلقن على انفسهن لقب زعيمات حركة تحرير المرأة فاستظهرتها دون تمهل او اعمال نظر أو تدبر لعواقبها فكانت النتيجة ترك الابناء بدون رعاية حقيقية او تربية سليمة،اذ يعودون من المدارس ليجدوا الأم لم تعد بعد من العمل فيمضون الوقت مع رفاق السوء وعندما تعود الام تعود منهوكة القوى مشوشة الفكر تحمل على كاهلها هموم العمل فلا تسمع لزوجها ولا تولى اولادها الاهتمام اللازم . ونسيت الام دورها العظيم في تربية الابناء وتنشئتهم ليكونوا مواطنين صالحين ينفعون انفسهم واهلهم ووطنهم . وتذكرت نفسها فقط فضربت بذلك اسوأ مثل لاولادها . ولو ان المرأة فكرت بعقل سليم وذهن صاف لأدركت ان دورها يفوق دور الرجل ، وانها كأم أكثر من ند له ولأدركت ايضا ان الزعيمات اللواتي فشلن في حياتهن الزوجية يتمنين ان تصبح كل النساء مثلهن ، وانهن يحقدن على كل اسرة سعيدة متماسكة متحابة صحيحة .



للاستاذ/ محمد بدر الدين بن حسن

كان الشعور بالذات عند العربي في الجاهلية مرتبطا بمحيط القبيلة العام ، محور الحياة الاجتماعية ، وبظهور الاسلام أصبح العربي يدرك ذاته كجزء من كيان أكبر ، هو كيان الأمة الذي يضمن له تفرده المعتبر ضمن مجموع المؤمنين داخل وحدة عقدية واجتماعية وسياسية .

لقد حافظ المفهوم الاسلامي الجديد على بعض الأبعاد ذات المستوى الجغرافي والمادي لمفهوم الوطن كما كان يعيش في ظله العربي في جاهليته ، ولكنه أضاف إليه بعداً جديدا معتبرا هو البعد الديني والروحي الذي ينظر إلى الأرض والعالم نظرة شاملة .

إن في تقسيم العالم الى دار إسلام ودار حرب تأكيدا على الالتزام الرسالي الذي أضافه الاسلام فلم يعد الفرد ينظر إلى نفسه من خلال إقليم ضيق ، بل أصبح إنسانا عالميا تزوده ثقافته

الجديدة بنظرة للوجود أكبر وأنفذ ، إنه صاحب رسالة في هذا العالم تقتضيه ان يصنف ويقوم بعد أن كان في دائرة مغلقة هي وطنه الصغير ، ولم يعد التصور يرتبط بالمكان بل بالفكرة ، فدار الاسلام هي الموقع الذي اتسع ليلتزم بالفكرة الاسلامية ، ودار الحرب في الاصطلاح هي الموقع الذي لا تطبق فيه تعاليم الاسلام ومفهوماته ، فهذا التصنيف جعل من الوطن في المفهوم الجديد شاملا للدنيا بأكملها .

لقد أصبح هذا الفرد الذي لم يمتد فكره خارج الصحراء ، يؤمن بنشر رسالة يجب أن يستجيب لها العالم حتى تصبح الدنيا كلها دار إسلام .

على أن هذا النزوع نحو التعالي والعالمية لم تحرك فيه نوازع السيطرة أو الهيمنة ـ كما حصل في تجربة الغرب الاستعماري ـ بل بني على مبدأ القرابة الروحية والمساواة ولذلك قدر له فيما بعد أن يناضل من أجل إيصال تلك المبادىء إلى أسماع العالم ؛ وتحرير البشر من ظلمات الجور والضيق إلى سعة الاسلام وسماحته .

لقد أرسى الاسلام بفضل عقيدته المتعالية ومذهبيته الخالدة في نفوس أتباعه دعائم تحول كبير ونقلة مدهشة من فردية قبلية إلى قيم حضارية شاملة صاروا بفضلها ينتسبون إلى تراث أمة هم جزء من مصيرها ومستقبلها ، وهي مسؤولية تراءت في التنفيذ اليومي على مستويين .

- ذاتية تحدد أفعال المسلم تجاه خالقه ومجتمعه ونفسه ,
- وجماعية تجاه جميع البشر الذين هم إخوانه ،

وعلى هذين المستويين قامت الدولة الاسلامية الأولى ، بحيث لم تحصر نفسها ضمن حدود عرب تلك الأيام وإنما كانت ثورة ورسالة لكل شعوب الأرض ، ولذلك كان المسلمون بحق أكبر استثناء في التاريخ ، بمعنى أنهم فتحوا القلوب ولم يخضعوها بالقهر ، فتحوا الأمصار ونشروا التوحيد ولكنهم لم يفرضوا هيمنة واستعبادا للشعوب الأخرى ، وهو مسلك لم تعرفه البشرية في السابق واللاحق ؛ حتى قيل بحق : « لم يعرف التاريخ فاتحين أرحم من المسلمين » .

على أن الاستنتاج الأكبر من هذا ـ وهو أمر ثابت أن العرب لم يعرفوا عزة وتمكينا في غير الاسلام ، وفي حالتهم قبل مجيء هذا الدين ؛ بل وفي أحوالهم الحاضرة أكبر تدعيم لهذه الحقيقة .

□ طبيعة الأنموذج الغربي وتكريس التجزئة

لكن الفعالية التي أرساها الاسلام في نفوس أتباعه ـ والتي جعلت منهم على امتداد الأزمة أسياد الدنيا ـ تعرضت إلى نوع من الطمس والانطفاء بسبب تراكم التشققات والخلافات الداخلية ، وبتأثيرات الغزو الغربي الاستعماري الذي أتى على كل شيء ، فبعد أن كانت رابطة الولاء في الدين هي السائدة والحاكمة في وحدة المجتمع على مستويات الاعتقاد والاجتماع والسياسة ،

تسربت مع بدايات النفوذ الغربي مفاهيم جديدة كانت صدى للتحولات السياسية والاجتماعية التي عاشتها بلاد الفرنجة، والتي سميت بحركة النهضة، والتي كرست في تجربة

أوروبا - الخاصة بها - ذلك الصراع المقيت بين العلم والدين؛ وبتعبير أدق بين العلم والكنيسة، ثم التأكيد على الطابع الدنيوي والمادي للعلوم والآداب، وتقديس قيمة الفرد وإشباع حاجاته المادية دون قيد،

وتركزت بالخصوص في تضخم دور الرأسمالية الفردية والمصالح الخاصة، فكان من نتائج ذلك ان شهدت اوروبا ظهور قوميات مختلفة دعت الى الاستقلال مستندة على روابط الجنس واللغة والمصلحة المشتركة.

يعتبر ظهور القوميات من الناحية الفكرية في البلاد الأوروبية بمثابة ردة فعل ضد سلطة الكنيسة التي كانت تدعي امتلاك فكرة الحقيقة المطلقة الموحدة،

وتحمل الشعوب الأوروبية على الانضواء تحت لوائها، فالدعوة القومية على هذا الأساس هي تمرد على فكرة المطلق التي حملتها الكنيسة، وانسلاخ عنها بايجاد بديل فكري يؤمن بتجزئة الحقيقة، وقد ظهر ذلك جليا في حركة الانقسامات التي عرفتها الكنيسة نفسها من أرتودوكسية وكاتوليكية وبروتستانتية فيما بعد، يضاف إلى هذا أن نزعة الوطنية والاعتداد بالموقع الجغرافي هي من خصائص الطبع الأوروبي.

وقد كان لحركات الاصلاح التي قام بها بالخصوص - لوثر في ألمانيا؛ وكلفن في فرنسا، ويكليف في انجلترا الدور الكبير في تركيز نزعات العصبية والاستقلال والقومية - وتعتبر نتائج تلك الفترات حاسمة لا في تاريخ أوروبا فحسب - بل في تاريخ العالم، لأنها أنشأت فكرة «المركزية الأوروبية» التي رأت منذ ذلك الوقت أنها مركز الكون، وما عداها من شعوب وأجناس إنما خلقوا لخدمتها.

على أن هذه الفكرة العنصرية - والتي ستقوم عليها الفلسفة الغربية في جميع إنجازاتها - هي من الوجهة التاريخية امتداد لتراث اليونان والرومان الذين اعتبروا أنفسهم محور الكون، وأطلقوا على كل ما عداهم من الأمم والشعوب الأخرى صفة - البرابرة - ولذلك نجد شعوب الغرب تعتقد أن تفوقها العنصرى على سائر البشر من الأمور الثابتة التي لا تحتاج إلى نقاش، وقد تطور هذا الموقف مع الأيام حتى صار احتقار كل ما ليس أوروبيا من الميزات البارزة في مدنية الغرب.

لقد جاءت القومية الغربية لتدعم رؤية أوروبا لنفسها - برغم الانقسامات والحروب التي شهدتها - كعالم متميز لا يرى الآخرين إلا من خلال نفسه ومصالحه، بل إلغاء هذا الآخر أو اكتساحه إن اقتضت الضرورة، ثم تمادت في تمجيد ذاتها إلى درجة التأله، بل لم يعد يرضيها التأله في الأرض فراحت تبحث عن تأله كوني.

إن فهم طبيعة العقلية الغربية ودراسة الركائز الاجتماعية التي قامت عليها منذ قرون ، تعين على إدراك أحوال العالم الاسلامي الذي ظل مسرحا لتسرب التيارات الأوروبية إلى درجة الفيضان ، وهو المنزع الذي وصفه الفيلسوف المسلم ـ محمد إقبال ـ بقوله « إن أبرز ظاهرة في التاريخ الحديث هي السرعة الكبيرة التي ينزع بها المسلمون في حياتهم الروحية نحو الغرب » .

ولا شك أن العلامة ـ إقبال ـ قد أخطأ في عدم تقديره لمخاطر هذا المنزع حين اعتبر أن لا غبار عليه لأن الثقافة الأوروبية في جانبها العقلي ليست إلا ازدهارا لبعض الجوانب الهامة في ثقافة الاسلام ، ولكن موقف إقبال من الغرب قد تطور ـ وخاصة في أواخر حياته ـ وهو وإن حث المسلمين على تلقي علم الغرب ، إلا أنه شجب بشدة جميع المخططات والمؤسسات الغربية واعتبرها وصمة عار في جبين الانسانية .

والحقيقة أن « مركزية الغرب » جعلته لا يؤمن بغير الوصاية والسيادة ، فبعد تخليه عن عبادة الله عبد الغرب نفسه . وحارب الدين والفضيلة واتبع هواه واستعبد الشعوب والأجناس ، وقد كرس هذا الواقع في الأدب والفلسفة ثم في العلوم ـ ويحتاج الأمر إلى تجلية دقيقة لهذه الجوانب كل على حدة ـ ونسأل الله تعالى أن يوفق شبابنا بالخصوص لينهضوا في متابعة هذه الجوانب وتمحيصها وكشف تأثيراتها على واقع فكرنا الاسلامي الحديث ، حتى تظهر الحقائق جلية لا تشوبها شوائب الفكر المستورد، الذي فرضه الاستعمار وأتباعه ، ويكون الدين كله لله .

إن الروح المسيطرة في الكتابات الأدبية والفلسفية والأعمال الغربية عامة ؛ غياب الحكمة والغاية من الحياة ؛ فالدين والقيم والعفاف أمور لا قيمة لها لأن المصالح النفعية العاجلة هي المعتبرة · ومن هنا جاء إلغاء الغيب والقيم الروحية لتحل محلها عبادة الرقي المادي الذي يتجلى في حركة المصانع الكبيرة ، والربح السريع ، واكتساح الأسواق الأجنبية ، وطغيان طبقات الصيارفة وقادة الشركات وظواهر النجوم والأبطال والمراقص والمختبرات . فالكل يركض نحو أي لون من الانتاج . وإن كان قاتلا ـ المهم هو تحقيق الربح الوافر والإشباع المادي الكامل دون قيد أو شرط . كل هذه الثنائيات التي تقوم عليها الحياة الغربية تفسر لنا العقيدة التي يقدسها الفرد في الغرب ، ولا معنى بعد ذلك لحياة الاخلاق والفضائل ما لم تدفع الى ميادين الرفاهية والنهم والاشباع .

إن قيام عواصم العالم الغربي على أسواق المال والبورصة وترويج البضائع وتكديسها بالقهر في مختلف بلدان العالم ، وإثارة الحروب بين الشعوب لبيع الأسلحة وجمع الثروة ، تكشف في التحليل النهائي أن عبادة المال هي قطب العقلية الغربية التي كرست القومية العنصرية وظلت عن طريق الاجتياح والإلحاق بالقوة

تستغل شعوب الأرض لعهود طويلة لفائدة الوطن الأم وحده .

وقد كان لنظام الإلحاق والسيطرة هذا تأثيراته الكبيرة في أرجاء العالم الاسلامي ، فكان أن انتقلت عدوى القومية بمفهومها الغربي بتأثير آداب أوروبا الوافدة إلى تركيا أولا ، فظهرت لدى الأتراك النزعة الطورانية والدعوة الى إحياء آدابها وثقافتها القديمة ، بل عمدت جماعة تركيا الفتاة إلى إبعاد الاسلام صراحة واعتباره دينا غريبا عنهم ، وعمد منظّر هذه الجماعة ـ ضياء كوك ألب ـ إلى البحث عن نظم بديلة عن الاسلام في عهود الأتراك الأولى قبل أن يستنيروا بنور الاسلام العظيم . يقول المحقق الكبير الأمير شكيب أرسلان محللا أبعاد هذه النزعة « وهؤلاء يزعمون أن الترك هم من أقدم أمم البسيطة وأعرقها مجدا ، وأسبقها إلى الحضارة وأنهم هم والجنس المغولي واحد في الأصل ، ويلزم أن يعودا واحدا ويسمون ذلك بالجامعة الطورانية ، ولم يقتصروا منها على الترك الذين في سيبريا وتركستان والصين وفارس والقوقاس والأناضول ، بل مبدؤهم مد هذه الرابطة إلى المغول في الصين وإلى المجر والفلنديين في أوروبا وكل ما يقال إنه ينتمي إلى أصل طوراني ، وهم يقولون بخلاف ما يقول الأولون ، فهم ترك أولا ومسلمون ثانيا ، وشعارهم عدم التدين وإهمال الجامعة الاسلامية ، إلا إذا كانت خادمة لنفوذ القومية الطورانية فتكون عندئذ واسطة لاغاية ، وقد غلا كثير من هذه الفئة في الطورانية حتى قالوا : نحن أتراك فكعبتنا طوران ، وهم يتغنون بمدائح جنكيز ، ويعجبون بفتوحات المغول ، ولا ينكرون شيئا من أعمالهم » ولقد أبانت الدراسات التاريخية الحديثة جملة من الحقائق كشفت طبيعة ووجوه الصراع .التي كان يخوضها الاسلام وأهله في وجه المؤامرات الوافدة على فترات متتالية وحاسمة من تاريخنا المعاصر .. فقد ظل ولاء المسلمين الأساسي للاسلام وحده برغم كل موجات العسف والتشويه ، يلوذون به ويدافعون عنه ويساندون الدولة التي تتولاه وتجسده في أرض الواقع ، فلم تقدر قوة أن تزيل هذا الولاء من القلوب أو تغير من أسسه الثابتة وقد ظلت فكرة قيام الدولة على أسس الأرض والوطن بغير الدين غريبة عن حسهم الاسلامي الأصيل ، بل نظروا الى فكرة القومية التركية على أنها نبت غربي صرف أفرزته التجارب الأوروبية في ملابساتها التاريخية الخاصة ، وقد قاوم السلطان عبد الحميد بشدة نزعة الاتجاه القومي ، ولكنها عادت من جديد مع حركة الشبيبة التركية وإسقاط الخلافة وتولي جمعية الاتحاد والترقي السلطة عام (١٩٠٨)م ، وكل ذلك تم بتدعيم من الغرب وفرضه بالقوة .

ثم انتقلت ملابسات هذا الوضع إلى عالم العرب على مراحل متفاوتة ، بدوافع رد الفعل ضد نزعة الأتراك أنفسهم ، الذين أظهروا قدرا كبيرا

من الاحتقار للعرب واللغة العربية ، وقد كان للحلفاء الدور الأكبر في تزكية فكرة القومية ودعوة العرب إلى الانفصال التام عن العثمانيين ووعدهم بالعون والمساعدة ، فكان دور لورانس . المعروف في إشعال نيران الحماس القومي حلقة أخيرة في هذا الصراع الذي توج بثورة الشريف حسين ، ومن جهة اخرى كان لإحساس المسيحيين العرب بأنهم لاتربطهم بالمسلمين روابط العقيدة تدعيم آخر لترويج فكرة القومية العربية في أوساط المثقفين بصورة خاصة .

ومع أن السياق التاريخي يقتضي دائما الاعتراف بالحقائق مجردة ، فإن التمييز بين الدعوة القومية وبين مطلب الوحدة الذي هو ضرورة حتمية من منظور إسلامي يبقى لازما خاصة وأن كفاح الشعوب المسلمة ظل في أساسه كفاحا للمحافظة على تلك الوحدة ـ ولأن العبرة بالنتائج فقد كانت الضربة العاتية التي وجهت إلى مؤسسة الخلافة ـ رمز تلك الوحدة ـ إيذانا بتوالي الضربات بعد أن أصبح العالم الاسلامي كله مفكك الأوصال لا يخضع لسلطة مركزية بعد أن تغلغلت فكرة القومية في كل قطر .

على أن الرابطة الدينية وإن فقدت مؤسساتها لم تندثر ، بل بقيت مرجعا وحيدا وراء كل حركة إصلاح ، ولكن التحديات الكبرى الآتية من الغرب ولدت اجتهادات ورؤى متنوعة في فهم الواقع وتقديم الإجابات والحلول ، ولذلك يحتاج المسلم المعاصر وبالخصوص من جيل الشباب بعد دراسة ركائز الفكر الغربي التي ألمحنا إليها سابقا . إلى استقراء دقيق لواقع القرن التاسع عشر ، والظروف التي اختمرت فيها الفكرة القومية ، وغيرها من المشكلات التي واجهها الاسلام وأهله ، بل والرجوع إلى فترات أبعد من ذلك ، للاستفادة من مختلف التيارات السياسية والفكرية الأخرى التي اجتاحت بلاد الشرق عامة .

وإن التمحيص الدقيق لذلك الواقع يقيم الدليل الواضح على أن الاسلام كان دائما محور الصراع يخوض المعارك في مواجهة كل دخيل ، ويحرك السواعد والعقول لمكافحة البغي والانحلال والاستعمار ، وقد تجلى ذلك في كل حركات التحرر التي قامت في ربوع العالم الاسلامي ، ولأنه دين الوحدة والاستقلال ، دين العقل والحرية دين الكرامة والأمان ، فقد ظل قوة دافعة ومنافحة يحتمى في رحابه كل من آمن بعقيدته وتعاليمه الخالدة

ولئن غشى بريق المدنية الغربية ورقيها المادي على أبصار الكثير من رجال الاسلام فراحوا يوفقون بين روح الاسلام الإلهية وبين نظم الغرب وإنجازاته إلا أن النتيجة كانت تجارب فاشلة زادت في زعزعة الثقة بمقولات الاسلام وشوهت الكثير من تعاليمه تحت دوافع التبرير والدفاع ، فكأن الاسلام لا ينهض بأتباعه لبناء حضارة إلا بالسير في ركاب الغرب !! لقد كانت محاولات الطهطاوي المصري وخير الدين التونسي وسيد

احمد خان الهندي ومن جاء بعدهم - رغم صدق النوايا - تركيزا غير مباشر لسلطان الفكر الغربي وتوطين ركائز ثقافته في ديار الاسلام ، والحال أن معظم المشكلات التي عانى منها المسلمون والتي لا تزال قائمة إلى اليوم إلى جانب العوامل الداخلية طبعا - كانت أساسا بسبب الغزو الغربي وفرض ثقافته ونمط حياته ، التي بدأت في الحقيقة مع الحملات الصليبية وتوجت بالاستعمار المباشر الذي كانت حملة - نابليون - (١٧٩٨ - ١٨٠١) م حلقة أولى من حلقاته .

□ آثار التحديث السلبية والدروس المستفادة :

جاء نابليون - لاليوقظ النيام كما زعم المتحذلقون وإنما للاستيلاء على أكبر جسم في الاسلام : مصر كنانة العقيدة الاسلامية التي ردت الصليبيين والتتار وحفظت التوحيد من كيد الكائدين ولذلك كانت غزوة عظيمة جهز لها نابليون كل وسائل القتال مصحوبة بالخبراء ووسائل الطبع وأدوات التجارب لاستغلال كنوز البلاد واستثمار المواد الأولية كالوقود والمعادن .

ولما أصبحت القاهرة في متناول يده أعلن منشوره الماكر لاستمالة قلوب الناس وتوطيد أقدامه في البلاد .

وكالمعتاد كان الاسلام أول قوة وقفت في وجه الغزو الأجنبي ممثلا في رجاله الأوفياء كالشيخ محمد السادات والشيخ عمر مكرم إلى أن عاد نابليون الى بلاده بعد فشله على أسوار عكا .

ومع ذلك فقد كانت تلك الغزوة أشبه بالفتنة النائمة التي أيقظ امتحانها الفارق الشاسع ، الذي تراءى بين معالم القوة والتقدم المادية لأوروبا وبوجه خاص لفرنسا وبين بدايات التحلل التي أصابت الدولة العثمانية ، وقد كانت المفارقة كافية لإبهار كثير من العقول أسرعت تسعى وتنادي بضرورة التوفيق والتركيب بين الاسلام وروح التمدن الأوروبي حتى إذا ما جاء عهد محمد علي صار تقليد الغرب اتجاها عاما قويت من خلاله موجة التسرب الأوروبي ، بتعزيز شبكة العلاقات التجارية وإدخال البضائع والأدوات الافرنجية في كثير من مسالك المعرفة ومرافق الحياة ، بل كان هذا الاتجاه أكبر ثغرة نفذت منها قوى التغريب ، وازدادت بسببها المساومات والتدخلات الأجنبية المباشرة وغير المباشرة وترافق التحلل الداخلي مع احتدام الصراع الخارجي الذي توج باحتلال الجزائر عام (١٨٣٠) م ثم تبعتها تونس ومصر والمغرب ، فتكرست بعد ذلك مسيرة التراجعات أمام الغرب الغازي ، وصعود النخب الحديثة أجهزة النفوذ والسلطة والتي بدأت في تركيا بنزعة الاصلاحات والتنظيمات الجديدة ،

والتي لم تكن في الحقيقة اختيارا في سبيل النهوض وتقوية دعائم الأمة وإنما كانت رغبة أوروبية لتعزيز مسيرة التبعية التي رأت فيها الدول الأوروبية نافذة تسلل وتحضيرا فعليا لتحطيم العالم الاسلامي المقاوم بصفة نهائية .

ولئن بدا واضحا لأصحاب نزعة التوفيق والتحديث أن تجاهلهم للخطر الغربي ، وإمكان التعامل معه قد أوصلاه الى قلب الأمة في شكل تدمير كامل إلا أنهم تجاهلوا مرة أخرى طبيعة الحضارة الغربية وركائزها العامة ، تجاهلوا « تاريخية » الغرب التي أوصلته إلى تدمير قارتين هما أمريكا وافريقيا وتركيز الثروة العالمية بين يديه للوصول الى ما وصل إليه من أسباب القوة المادية وتغافلوا عن أبرز حقيقة وهي أن الاستعمار طبيعة ذاتية لهذا الأنموذج الذي أرادوا الاقتباس منه ، بل لازمة من لوازمه بدونها لا يستطيع التوسع والنمو !! والدرس المستفاد من هذه التجربة أن الاجتهاد وإن كان مطلوبا ومشروعا إلا أنه يؤدي في الغالب الى نتائج عكسية ما لم يكن الولاء فيه لله وحده ، ولثوابت القرآن والسنة ، وفضلا عن ذلك فإن نزعة التوفيق بين الاسلام وأي نظام آخر إهدار لقيمة الاسلام الإلهية ، وكل من يحمل نفسه هذه المهمة يكون بحق كما قال الشاعر :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع .

على أن السياق يقتضينا التنبيه إلى أن الساحة الاسلامية لم تعدم نماذج من المفكرين المسلمين الذين فهموا طبيعة الصراع الحقيقي والواجبات المطلوب تحقيقها لتوفير الوقت الضائع أمثال الأفغاني وشكيب أرسلان وعبد الله النديم وإنما الذي نريد تجليته بيان أن الجهود الاصلاحية الأولى التي قامت وخاصة على أيدي السلاطين العثمانيين ـ والتي كانت فرصة مواتية للإنقاذ ـ كانت منصبة على مجرد تخليص نظام الحكم من الانهيار ولذلك جاءت نظرية الاصلاح لديهم سطحية ، إذ اكتفت بالاعتماد على إجراءات وقائية ترميمية لاقتباس مفهومات الغرب التحديثية في تنظيم الجيش والادارة وإرسال البعثات التعليمية والاستعانة بخبراء أجانب ، الأمر الذي تسبب بصورة طبيعية وحاسمة في نشوء فئات من المتعلمين والموظفين تربت على عوائد الغرب ،

فكانت أسهل الفئات تفلتا من الاسلام ، وحتى أصحاب الموقف الاسلامي الرافض لتلك الترميمات لم يكن رفضهم متينا بسبب عدم امتلاكهم بدائل واضحة للتنفيذ فضلا عن ضعف التأثير ، إلا أنه من الوجهة التاريخية كان ذلك الرفض سليما بالنظر إلى النتائج المدمرة التي قاد إليها تيار الترميم الذي كان من أوكد واجباته الاستفادة من النواقص والتناقضات التي أبرزها الاحتكاك مع الغرب ، إلا أنه لم يستفد من ذلك الجانب شيئا وهو خطأ سيتكرر مرة أخرى حتى بعد جلاء جيوش الاستعمار ـ ذلك أن المؤسسات وأجهزة التأثير المختلفة لم تستطع بسبب الخلافات والاتجاهات المتعددة التي ظهرت عقب خروج المستعمر أن تتجاوز عوامل التخلف وتواجه التحديات القائمة ، فكان من الطبيعي في ظل عدم القدرة على النهوض أن تتكرس عوامل التبعية وأدوات العجز

، السبب الذي هيأ الفرصة لقوى الاستعمار من جديد كي تعيد وتواصل التغلغل في قلب الأمة ليس عسكريا هذه المرة ولكن اقتصاديا وفكريا - ثم مهد ذلك لبروز قوى وأحزاب حولت الجهود الباقية الى صراع داخلي حول الاختيارات الشكلية التي يمكن أن تؤدي إلى نوع من الاستقرار ، وبفضل الجهود الماكرة التي كرستها وهي في أجهزة التأثير والإثراء مكنت لقطاعات من النخبة المثقفة المتفرنجة فرصة الوقوف أمام كل مشروع إسلامي أصيل يبغي التحرر والبناء ، مما أبعد الحل الاسلامي كلية عن الساحة الاجتماعية .

والحقيقة أن الخطر الكبير لم يكمن في العجز عن ممارسة عملية النهوض فحسب بل تعداه إلى صدمة عدم إدراك نوع الصراع الجديد الذي ظل الاستعمار يزكيه بسرعة جنونية في ظل فقدان الوعي التاريخي وعدم الاعتبار بدروس الماضي القريب .

ومن المعلوم أن محاولات فصل هذه الأمة عن محيطها الحضاري الاسلامي لم يكن بالأمر الجديد وإنما هو سلسلة حلقات لم تنفصل عقدها ، ولكن الصليبية الماكرة ظلت واعية وعارفة متى توجه خناجرها المسمومة الى المسلمين وهم غافلون ؟ فبعد أن أكمل الغرب المستعمر سنوات الحرب العالمية الأولى توجه مباشرة للعالم الاسلامي لمنعه من إعادة تكوين نفسه ، وطوقه لخدمة مصالحه الدنيئة ، حيث بدأ بتركيا وانتقل الى مصر ومنها الى بقية العالم العربي ، والمغزى الذي نريد تجليته هو تلمس طبيعة العقلية الاسلامية التي كانت سائدة في ذلك الوقت - وخاصة لدى بعض النخب المثقفة - والتي كما ألمحنا في السابق لم تدرك طبيعة الواقع الحضاري الجاري فمكنت للعدو فرص اذلالها ا بأيدي أبنائها التبع ، ونقول مقدما بأن الاسلام لم يخسر أبدا معركة واحدة على امتداد تاريخه الطويل ، ولكن الاستعمار لاينجح في تمرير سياسته المعادية إلا عندما يجد الأرضية الملائمة التي يسببها ويصنعها صنف من المسلمين أنفسهم ، وعلى سبيل المثال عندما شرع السلطان سليم في أوائل القرن التاسع عشر في القيام بجملة من الاصلاحات تتعلق بالإدارة وتنظيم الجيش على الأسلوب الغربي والتدرب على الألات الحربية الأوروبية قام الزعماء الدينيون بضغوط شديدة لتعطيل هذا المشروع ، واعتبروا تنظيم الجيش على الأسلوب العصري بدعة خطيرة تخالف نصوص التشريع ، وحرموا استعمال الأسلحة لأنها في زعمهم رجس من عمل الكفار يأثم مستعملها ، وقد بلغ الصراع درجة عظيمة انتهت بإصدار فتوى مضمونها أن السلطان الذي يعمل بخلاف الشرع ليس جديرا بالبقاء على العرش ، الأمر الذي أدى إلى عزل السلطان سنة (١٨٠٧) م

والدرس المستفاد من هذه التجربة واضح وهو ان مجرد الرفض لا يصنع شيئا ما لم يكن مدعوما بخطة متكاملة للمواجهة الشاملة تقتضي الإعداد

اللازم للبناء والمقاومة ، إذ المطلوب أولا تهيئة الأمة على ركائز متينة من الدين والعلم لتنهض بتلك الأعباء ، ولكن قُدّر للمسلمين أن يصابوا في فترات حاسمة من تاريخهم بقيادات دينية وسياسية أوقعتهم دائما في لعنة الإفراط أو التفريط ، فهي إما أن تنبهر فتفرط في كل شيء أو ترفض بدون إعداد متين ، وما هكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل فقد علّمنا صلى الله عليه وسلم كيف يتخذ المرء كل تدابير الاستعداد والحزم قبل الشروع في أي عمل من الأعمال .

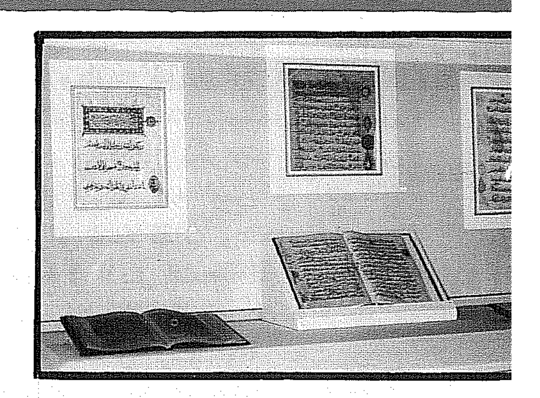
إن عدم تحكيم الاسلام هو سبب البلاء ، والا فإنه كفيل بتقديم الحلول الصحيحة لو لم نلتمسها في غيره ، فيجنبنا الخلاف ، وإضاعة الوقت ، والوقوع في نتائج الإفراط والتفريط ، وإلى جانب ذلك فإن الانحراف لا يتغلغل في أرض ما إلا إذا سبقته تجربة انحراف مماثل ، وأن قطع مجتمع عن ركائزه الإيمانية والثقافية وحرمانه من رصيده الأساسي في التحرك والنهوض ، لا يتأتي إلا إذا فرط أفراد الأمة في حصون الدفاع الأصيلة وانكشفوا للعدو .

وقد كان من نتائج تلك التجربة بحكم رد الفعل في مواجهة الكيان الديني عامة أن عمد (أتاتورك) . إلى استئصال هذا الكيان بل وإنهاء المسألة الدينية أساسا ، وقد علق الإمام المودودي - رحمه الله على هذا الموضوع بقوله : « هذه أول مرة قدم فيها الزعماء الدينيون بجهالتهم وظلمة فكرهم التصور الخاطيء بأن الاسلام عائق للرقي » .

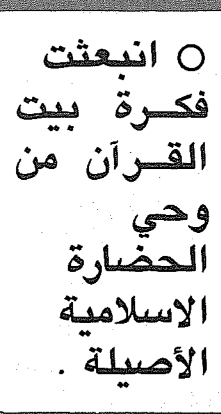
وعلى أي حال فإن الموقف العام من الغرب وعلومه ظل يراود آفاق الفكر الاسلامي ويلاحقه باستمرار ، ولئن اختلفت وجهات النظر وتباينت الرؤى إلا أن المؤكد أنه ليس في الإمكان استيراد نمط ثقافي وعلمي من غير الوقوع في أذيال التبعية له ، ولقد كان لمدرسة الاصلاح الدفع الأكبر في طرح هذا الأشكال ومحاولة بعث روح الاسلام ، حيث تمحورت رسالتها في توجيه الأنظار نحو مسألة التغيير وكيف نكون معاصرين للتطورات والمستجدات الواقعة ، مع بقائنا أوفياء لإرثنا الحضاري العظيم ، إلا أنها ضاعت وسط حملات التغريب ، وانطفأت جذوتها ، خاصة بعد رحيل روادها الأوائل ومن جاء بعدهم ، وحيث أصبح الأتباع عاجزين عن مقاومة مد التيارات الوافدة مثل نزعات القومية والعلمانية والاشتراكية .

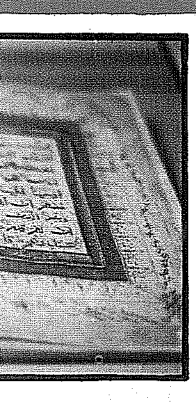
إن نعم الاسلام علينا عظيمة لأنه علمنا المفاهيم الصحيحة وأرشدنا الى المنهج القويم ، فلا نخدع أبدا ، وعلينا إن أردنا إيجاد الحلول والبرامج السليمة أن نمعن النظر في نصوص القرآن الكريم وأحاديث المصطفى العطرة، صلى الله عليه وسلم فهما كفيلان بتزويدنا بأنصع البراهين والرؤى الصالحة لنهضتنا ،

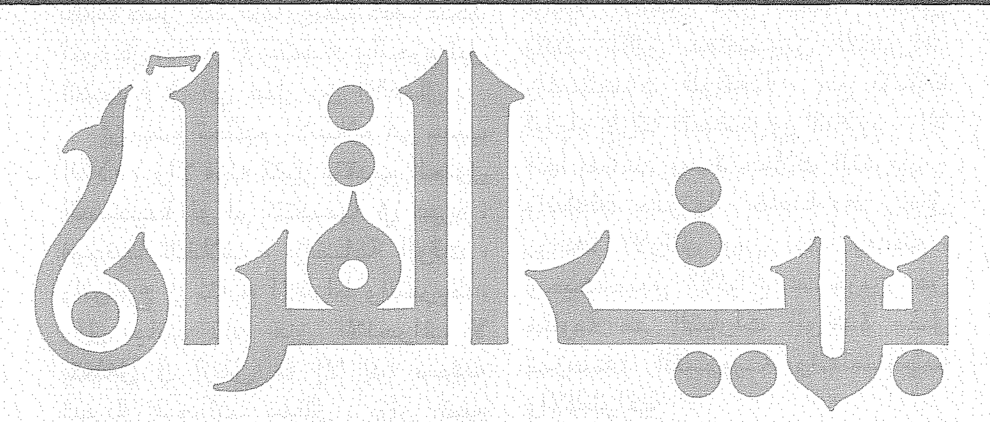
ولأننا مدعوون باستمرار إلى فهم النفس وفهم العالم الذي يحيط بنا فإننا نحتاج دائما الى المراجعة المستمرة والاستجابة الجادة لهموم العصر والاهتمام بمشاغل الاسلام ومطالبه الكبرى .

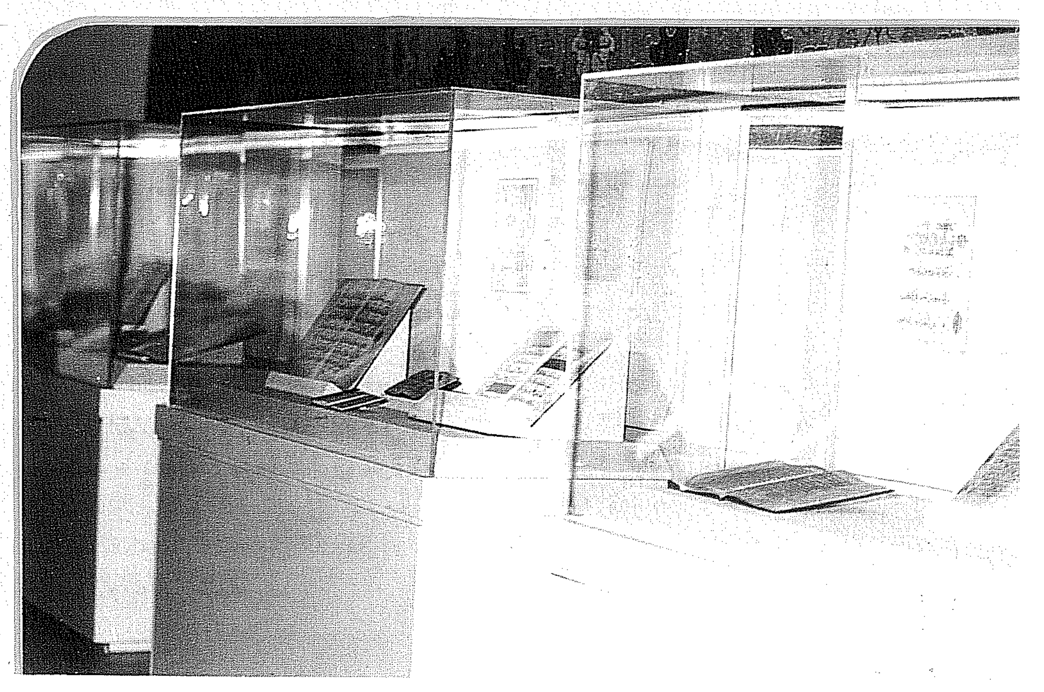


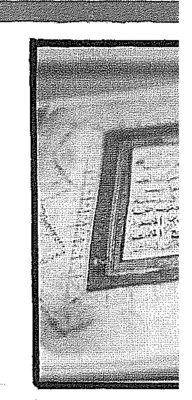
○ انبعثت فكـرة بيت القـرآن من وحي الحضارة الاسلامية الأصيلة .

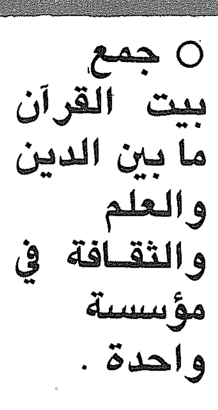




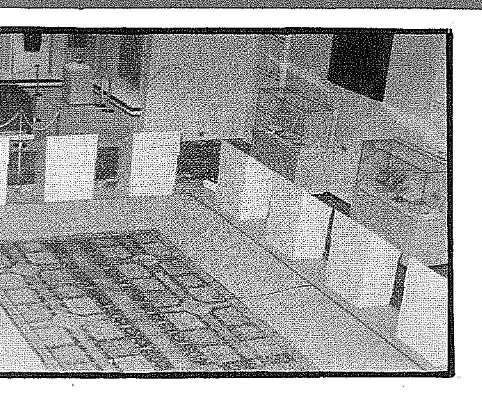








○ جمع
بيت القرآن
ما بين الدين
والعلم
والثقافة في
مؤسسة
واحدة .





إعداد : الاستاذ / خالد بوقماز



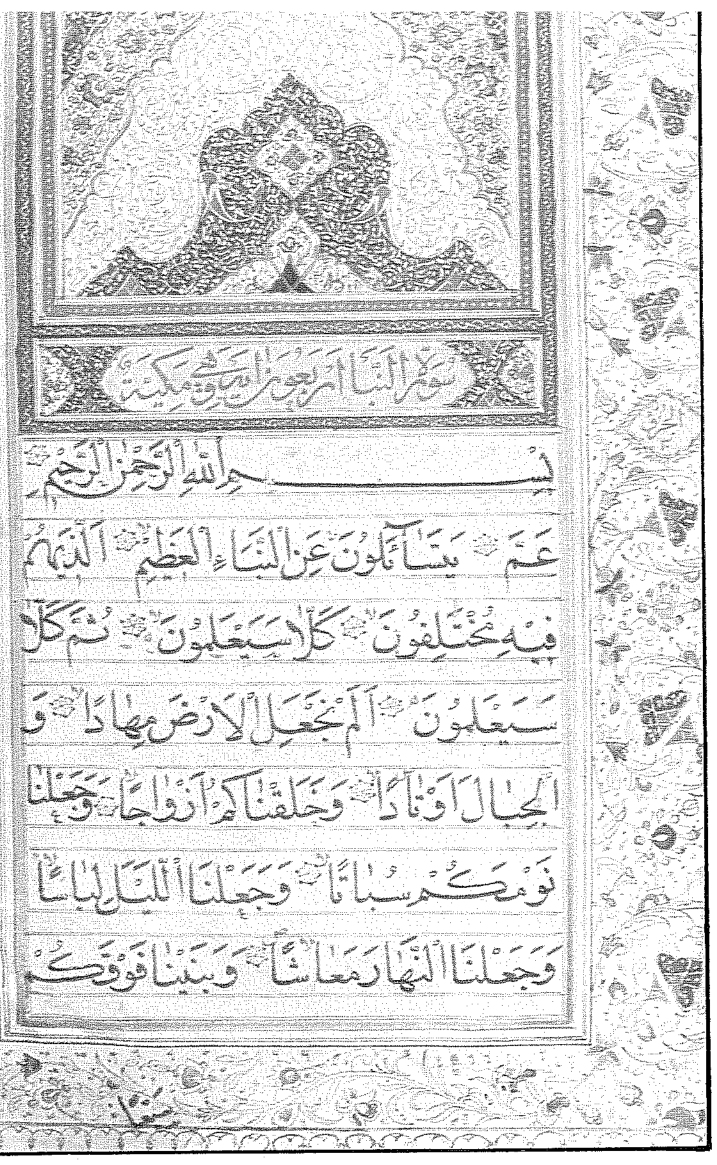
كانت الدراسات الخاصة بالمصحف الشريف ـ قديما ـ فنا من أروع الفنون التي ابتكرها الفنان المسلم ، الذي أدهش العالم كله بما حققه من إنجازات رائعة في مجال فنون الزخرفة الجمالية للمصحف الشريف .

ولقد ترك الفنانون المسلمون ـ عبر القرون ـ نماذج رائعة من المصاحف التي ما زالت حتى اليوم ، تعتبر مفخرة لهذا الفن العظيم ، فهناك مصاحف كتبت بخطوط مجوّدة وجلّدت بطريقة غاية في الدقة والابداع . بعضها حقق الرقم القياسي في ـ كبر الحجم ـ وبعضها الآخر في ـ صغر الحجم .

وعلى الرغم من أن المصاحف التي وصلت الينا ـ عبر العصور ـ تعتبر كنزا أثريا في حد ذاتها ، إلا أنها كانت اكثر عطاء بالنسبة للكثير من الدراسات ، سواء في الخط أم الزخرفة الجمالية بأنواعها المختلفة ، أم في نوع الورق والرقائق المستعملة التي أفاد منها الدارسون والباحثون في معرفة الكثير من معطيات العصور الاسلامية المختلفة .

اما مسلمو اليوم فقد اكتفوا بما ورثوه عن الآباء والآجداد لذلك كان لزاما عليهم العناية بكتاب الله ، ذلك الكتاب العظيم الذي انزل بالحق ، هدى ورحمة للعالمين . فهو دستور المسلمين وقانون السماء ، الذي أنقذ البشرية من الضلالة والظلمة والكفر والضياع ، وقوّم النفس بالاخلاق الكريمة وبالروح العالية ، وعلّم الانسان ما لم يعلم . فهو هدى ورحمة للعالمين ، وهو إمام وقرآن مبين ، يهدي الى الرشد « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » فصلت /٤٢

ولقد كانت دولة البحرين الشقيقة سباقة الى إقامة مركز رائد ، انشىء خصيصا للقرآن الكريم وما يتعلق به وقد اطلق على هذا المركز : « بيت القرآن »



مخطوطة من القرن الحادى عشر الهجرى

○ يجمع بيت القرآن ما بين أصالة الحضارة الاسلامية وفكرها ومعاصرة الحضارة الحديثة .

○ مثلث البحرين الحضاري ○

في منطقة متميزة من عاصمة البحرين ـ المنامة ـ يشيد ـ الآن ـ مثلث حضاري يجمع بين العلم والمعرفة والثقافة والدين ، تطل من خلاله حضارة وتاريخ البحرين العريق على تطلعاتها ومستقبلها لتربط بين ماضيها وحاضرها ، ويجمع هذا المثلث الحضاري بين الأصالة والمعاصرة في كل المجالات ، حيث تتمركز على رؤوسه ثلاث من المؤسسات الحضارية .

ـ فعلى نقطة ارتكاز المثلث الأولى يقع المركز الاسلامي ـ مركز أحمد الفاتح ـ الذي يضم ـ مسجدا كبيرا ـ سيكون بعد اكتمال بنائه من أكبر مساجد البحرين من حيث سعته ـيتسع لأكثر من سبعة آلاف مصل.ـوسوف يقام هذا المسجد على النمط الاسلامي الأصيل مع استخدام التقنية الحديثة ، كما يضم المركز الاسلامي معهدا دينيا ومكتبة اسلامية جامعة .

ـ اما النقطة الثانية لارتكاز المثلث فيقع عليها متحف البحرين الوطني الذي يحتوي على العديد من القاعات لعرض تراث وتاريخ البحرين عبر السنين ـ من التاريخ الديلموني الى الحضارة الاسلامية ـ مع ابراز فنون وتقاليد البحرين في الماضي والحاضر ، وربط التراث بالحضارة .

ـ اما النقطة الثالثة لارتكاز المثلث فيتربع فيها ـ بيت القرآن ـ

● بيت القرآن ○

لقد انبعثت الفكرة الاساسية لبيت القرآن من وحي الحضارة الاسلامية وتراث ديننا الاسلامي الحنيف ، حيث يتوجب على المسلمين الحفاظ على أغلى وأثمن مقدساتهم ، ورفعها الى المكان اللائق بها .

وبالاضافة الى ذلك يعتبر مشروع بيت القرآن رائدا بفكرته الحضارية ، فهو وصلة حضارية لما نتوارثه عن حضارتنا الاسلامية المتميزة ـ فهو يختلف شكلا ومضمونا عن دور الحكمة ودور العلم والمجتمعات الحضارية الاسلامية التي عرفتها حضارتنا لمعاصرته الحضارة الحديثة ، ومتطلباتها وافرازاتها العلمية ، ولكنه يتوافق مع المجتمعات الحضارية الاسلامية السابقة ـ فكرا وروحا ـ وبذلك يجمع بيت القرآن بين أصالة الحضارة الاسلامية وفكرها ومعاصرة الحضارة الحديثة .

○ يعتبر بيت القرآن وصلة حضارية لما نتوارثه من حضارتنا الاسلامية المتميزة .

كما يعتبر بيت القرآن مؤسسة علمية دينية ثقافية ، لها شخصية اعتبارية ، وكيان مستقل بذاته كمشروع خيري وأهلي ، رائدا بفكرته الحضارية التي جمعت فيما بين الدين والعلم والثقافة في مؤسسة واحدة ، شيدت لتكون

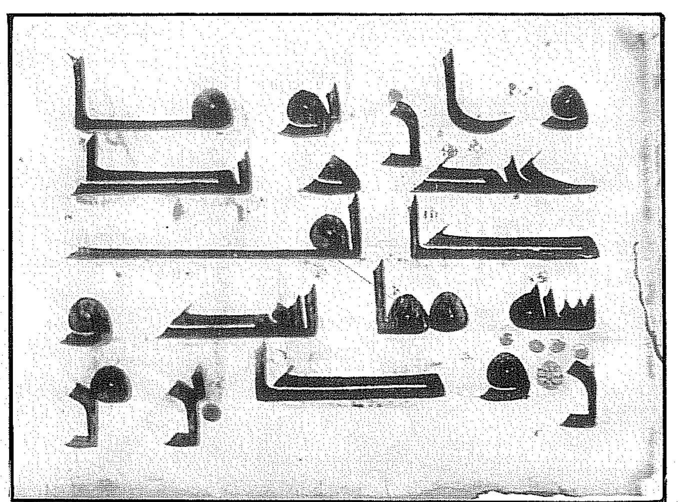
مخطوطة من القرن الثانى عشر الهجرى

ملتقى للدارسين والباحثين حيث تتوفر فيه سبل ووسائل البحث والاطلاع والمعرفة .

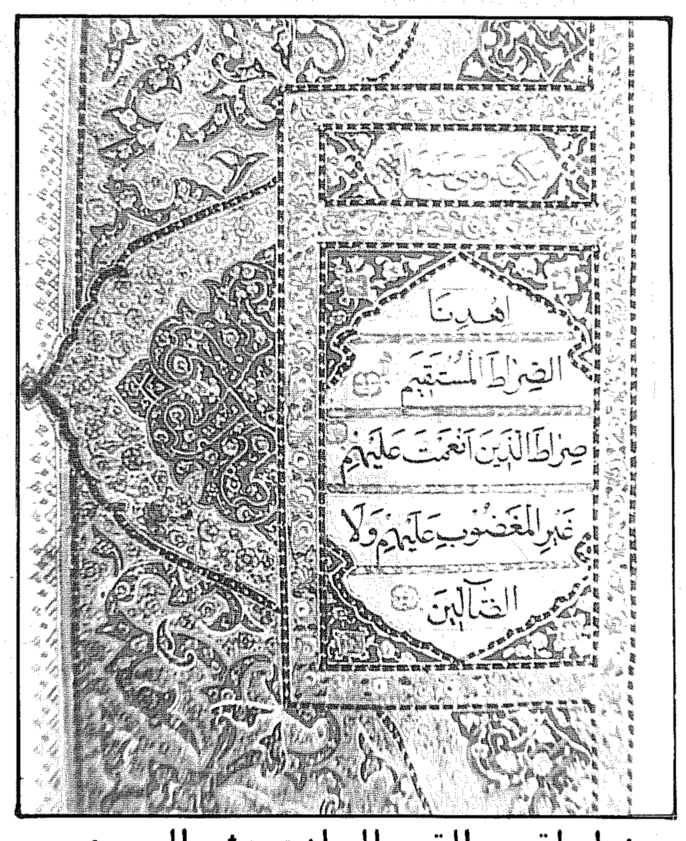
كما يشكل بيت القرآن فنا معماريا اسلاميا جمع بين أصالة الفن المعماري الحديث والتقنية المتطورة المرتبطة بالطراز الاسلامي الأصيل ليكون بذلك وحدة فنية رائعة ،

أساسها البساطة والزخرفة الجمالية التي تظهر ـ كلوحات جدارية ـ محفورة على جدران المبنى لتعطيه اسلوبا معماريا فريدا ، قوامه الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن القرآن الكريم في ليلة نزوله وأول ما أنزل منه ، بالاضافة الى آيات قرآنية شاملة عبرت عن جلال القرآن الكريم واستكملت تلك اللوحات بأسماء الله الحسنى كما سجلها القرآن الكريم في سورة الحشر مما اعطى المبنى جاذبية روحية .

○ سيرتبط بيت القرآن بالمواطن والزائر والدارس .



مخطوطة من القرن العاشر الهجرى



مخطوطة من القرن الحادى عشر الهجرى

○ المعالم الأساسية لبيت القرآن ○

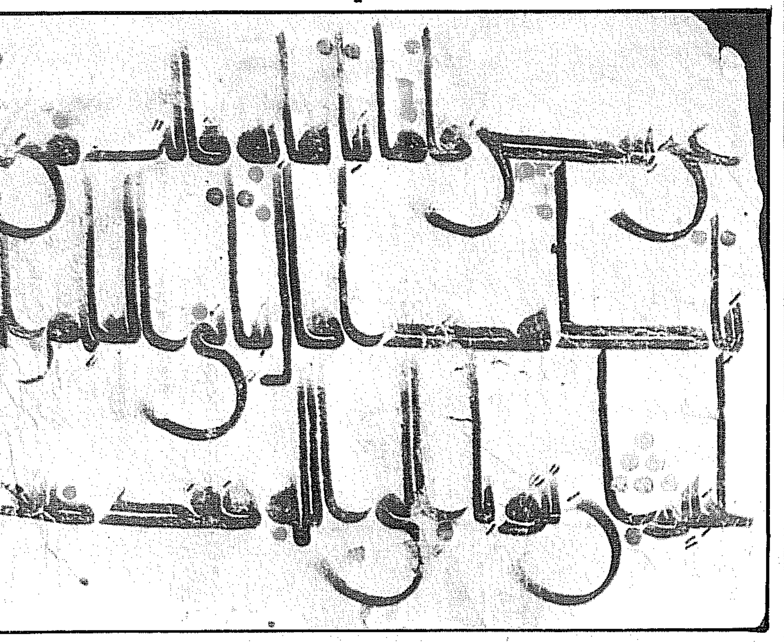
بعد اكتمال تشييد ـ بيت القرآن ـ يصبح مركزا متقدما للمعرفة ، معرفة الدين من خلال كتابه الكريم ، ومعرفة الدنيا من خلال متحفه ومكتبته وسيرتبط بالمواطن والزائر والدارس من خلال مرافقه المتعددة ـ ويتكون بيت القرآن ـ من خمسة معالم رئيسة هي :

○ المسجد والمدرسة :

إضافة الى انه مكان لتأدية الفرائض الدينية فستقام به حلقات للوعظ والإرشاد لتعريف المسلمين بأمور الدين والدنيا وقد الحقت به مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، وتعليم الصغار والكبار ترتيل و تجويد القرآن الكريم انطلاقا من واجب اسلامي مقدس وهو الحفاظ على كتاب الله العزيز وتعليمه للناس .

○ ـ مكتبة اسلامية :

وستضم هذه المكتبة ما يقارب من أربعين ألف مجلد الى جانب الوثائق والمراجع الدينية ، التي ستكون بثلاث لغات



مخطوطة من القرن الرابع الهجرى

○ سيصبح بيت القرآن مركزا متقدما لمعرفة الدين و الدنيا من خلال متحفه ومكتبته .

هي : العربية ـ الانجليزية ـ الفرنسية ـ حتى تصبح في متناول الجميع .

ـ **قاعة** للمؤتمرات والمحاضرات والندوات المحلية والعالمية .

ـ **مرافق** متعددة للخدمات الأساسية التي ترتبط بخدمة المشروع ورواده

ـ **متحف** : ويتكون من ثماني قاعات للعرض ، تجمع بين جوانبها نفائس المخطوطات القرآنية من مختلف العصور والازمنة التاريخية ، وهذه القاعات هي :

ـ القاعة الاولى : وهي مخصصة للعرض الدوري المتخصص الذي سيأتي لبيت القرآن على فترات مختلفة من مقتنيات المتاحف العالمية ونفائس المخطوطات القرآنية وفق خطة عرض تحقق الاستمرارية حتى يتعرف الناس على المخطوطات القرآنية النادرة المتواجدة في مكتبات ومتاحف العالم ، وفي نفس الوقت يستطيع الباحث والدارس الاطلاع عليها ودراستها بسهولة ويسر .

● القاعة الثانية : ومعروضاتها مكونة من نماذج عديدة من مخطوطات القرآن الكريم باحجام ومقاسات مختلفة ، وتعطي ـ تلك القاعة ـ فكرة شاملة جامعة عن مخطوطات القرآن الكريم من مختلف البلاد الاسلامية من الهند وحتى موريتانيا ومن مختلف العصور ، كما ستضم هذه القاعة ـ بعض المصاحف النادرة والعديد من الصفحات التي ترجع في تاريخها الى القرن الأول الهجري .

● القاعة الثالثة : وهي خاصة بتاريخ القرآن الكريم مبتدأ بعهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ و عهد الخلفاء الراشدين وتشمل هذه القاعة معلومات مبسطة عن هذا التاريخ (أسماء كتّاب الوحي ـ معلومات عن كيفية جمع القرآن الكريم ـ معلومات عن المصاحف التي دونت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرسلت الى الأمصار) .

● القاعة الرابعة : هي قاعة للمخطوطات التي كتبت على « الرق » في المدينة المنورة والعراق وشمال أفريقيا والاندلس ، والتي توضح تطور الخط القرآني وإدخال « الاعجام » على الأحرف العربية ، واستعمال النقاط للدلالة على الاعراب ، كما تحتوي القاعة على صفحات

نادرة من الورق المستعمل لأول مرة في كتابة القرآن الكريم .

● القاعة الخامسة : وقد خصصت للخطوط العربية المستعملة في كتابة القرآن الكريم وبيان نوعية الزخرفة الجمالية والتذويق المذّهب الذي زينت به صفحات من القرآن الكريم ، وكذلك جمالية التنسيق في الكتاب والحواشي والإخراج المبدع الميسر للصفحات القرآنية والتجليد المتميز الفاخر للمصاحف .

● القاعة السادسة : وهي لعرض تراجم مختلفة لمعاني القرآن الكريم باللغات الاجنبية كما تحتوي على أول تراجم لمعاني القرآن الكريم .

● القاعة السابعة : وهي مخصصة لنماذج مختلفة للقرآن الكريم المطبوع بعد ان دخلت آلات الطباعة الى البلاد الاسلامية وتاريخ الطباعة المرتبطة بالقرآن الكريم .

● القاعة الثامنة : وهي قاعة جامعة شاملة لادوات الكتابة المستعملة في كتابة القرآن الكريم على مر العصور وسيعرض فيها نماذج مختلفة كتبت عليها آيات قرآنية ، بالاضافة الى لوحات من الفنون التشكيلية الحديثة ارتبطت بتشكيل متناسق معبر للآيات القرآنية الكريمة .

● الفئات التي يخدمها بيت القرآن ○

نظرا لأن مشروع بيت القرآن رائد في مجاله وهو الوحيد في العالم فإنه يخدم ثلاث فئات من المستفيدين منه تتدرج من المحلية الى الاقليمية فالعالمية .

ـ فعلى المستوى المحلي نجد بيت القرآن مفتوحا امام جميع من يعيش على أرض البحرين من مواطنين ووافدين ، حيث سيوفر أمامهم الامكانيات ويتيح لهم فرصة الاطلاع والزيارة والمشاركة الايجابية .

ـ أما على المستوى الاقليمي فإن بيت القرآن سيكون بمثابة مركز بحث ودراسة يمد الباحثين والدارسين وطلاب العلم في الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم بالمراجع والمخطوطات وكل ما يحتاجونه في مجال بحوثهم للافراد او المؤسسات التعليمية ذات الاختصاص بجميع دول الخليج العربي ـ اما على المستوى العالمي : فسيكون بيت القرآن الكريم

مركزا علميا وإسلاميا مرتبطا بعلاقات وثيقة مع جميع مراكز البحوث المتخصصة وكذلك متاحف العالم المختلفة لعرض نفائس المخطوطات الاسلامية ومعالم الحضارة الاسلامية في مختلف دول العالم عن طريق إقامة المعارض المشتركة واستقبال الباحثين والزوار من كل مكان .

○ أقيم المعرض ثمرة للتعاون المشترك بين الأشقاء في « الكويت والبحرين »

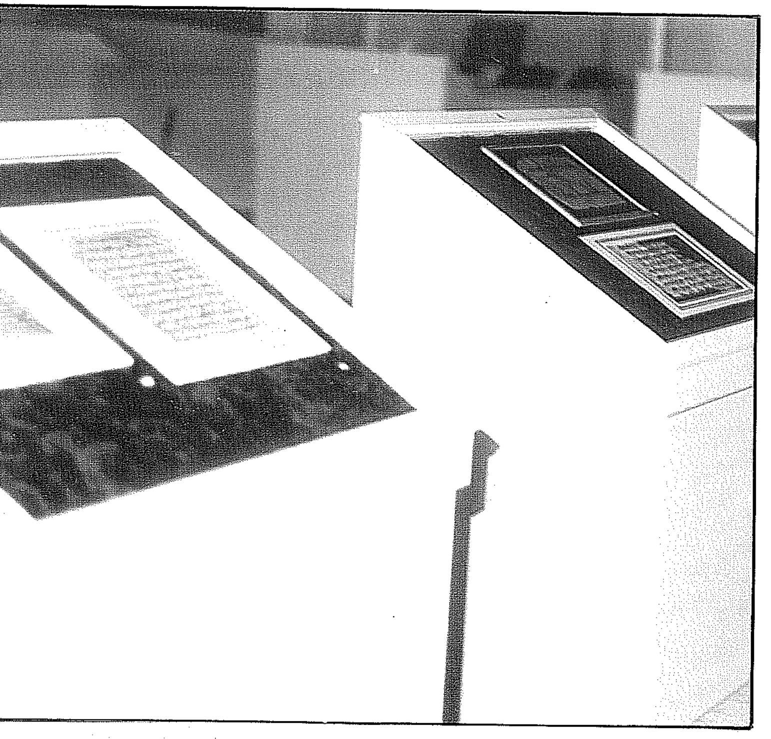
○ التكاليف وخطة تمويل المشروع :

يعتبر بيت القرآن من المشروعات الخيرية الاهلية التي يقوم تنفيذها على تبرعات أهل الخير والإحسان ، سواء من المؤسسات أم الافراد من البلاد العربية والاسلامية .
- وقد بلغت التكاليف الاجمالية للمشروع ثلاثة ملايين واربعمائة وخمسين ألف دينار بحريني وسوف يمول المشروع - بعد اكتماله - من ريع - بعض المشروعات الاستثمارية التي سيتم تنفيذها من اجل المشروع الى جانب تبرعات اهل الخير لمساعدة بيت القرآن في تحقيق اهدافه المنشودة ، ولقد اصبح مشروع بيت القرآن حقيقة واقعة خصوصا بعد الانتهاء من المرحلة الاولى للمشروع الذي بدىء به في أواخر عام (١٩٨٤م) والعمل ما زال جاريا في المرحلة الثانية والتي من المتوقع ان ينتهي العمل بها في أواخر عام (١٩٨٧م) .

معرض نفائس بيت القرآن

أقيم مؤخرا معرض « بيت القرآن الكريم » في مقر دار الآثار الاسلامية بالكويت تحت رعاية وزير الاعلام الشيخ « ناصر محمد الاحمد » استمر شهرا عرض خلاله مجموعات نادرة من نفائس المخطوطات القرآنية .

جاء هذا المعرض ثمرة للتعاون المشترك بين دار الآثار الاسلامية بالكويت وبيت القرآن في دولة البحرين الشقيقة وتميزت معروضاته بما يلي :
- مثلت المخطوطات المعروضة لمختلف الاقطار والعصور الاسلامية .
- أبرزت هذه المخطوطات انواع الخط العربي وتميزت بنوعيه الرئيسين : الكوفي والنسخي .



من معروضات بيت القران

■ غالبية المخطوطات كتبت على الرق والورق وخشب الصندل .

■ شملت المخطوطات بعض الأدعية وبعض التفاسير للقرآن الكريم .

■ عرضت بعض المخطوطات المترجمة إلى اللغات الأجنبية كاللاتينية والانكليزية .

■ عرض مصحف خاص بالمكفوفين (برل) .

■ بلغ عدد المخطوطات المعروضة مائة مخطوط تراوحت ما بين مصاحف كاملة وأخرى ناقصة وأوراق لبعض المصاحف ■ عرضت بعض الصفحات المبكرة للقرآن الكريم التي استخدم فيها اسلوب أبي الاسود الدؤلي في التشكيل . وأخرى متأخرة استخدم فيها اسلوب الخليل ابن احمد الفراهيدي .

○ تشكل دار الآثار الاسلامية مع بيت القرآن ومؤسسة الملك فيصل الخيرية ثقلا حضاريا في منطقة الخليج العربي .

الدكتور / عبد اللطيف كانو عضو اللجنة التأسيسية لبيت القران

○ كلمة السيد / عبداللطيف جاسم كانو - عضو اللجنة التأسيسية لبيت القرآن -

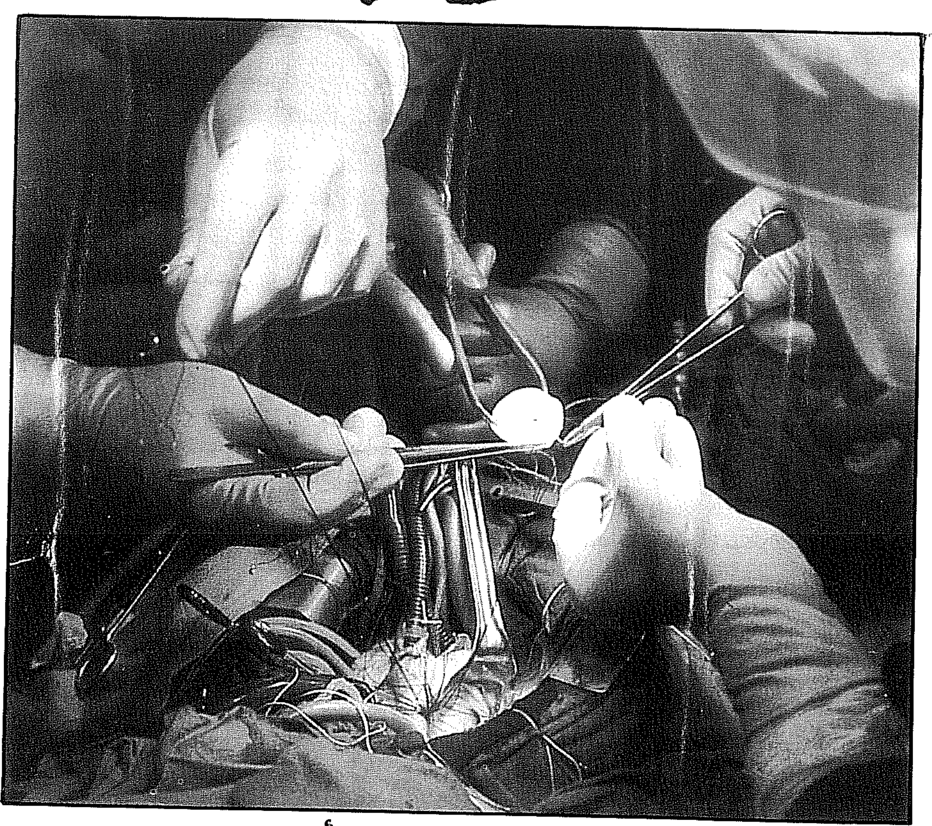
ذكر السيد/ عبداللطيف ان المعرض يضم نفائس قرآنية نادرة تمثل العصور الاسلامية المختلفة - بدءا من القرن الاول الهجري الى تاريخنا الحديث لتشكل سجلا حافلا متكاملا لحركة التطور الزمني والتاريخي لمراحل الخط العربي المستخدم في كتابة القرآن الكريم وبراعة الفنان المسلم في استعمال هذا الخط بأنواعه المختلفة عبر العصور .

- كما أضاف : بأن هذا المعرض يأتي ثمرة تعاون مشترك بين الاشقاء في الكويت والبحرين ، انطلاقا من مبدأ العمل المشترك المتميز والتعاون الدائم بين الأشقاء في المؤسسات والهيئات ذات العلاقة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية على كل المستويات وبكل الوسائل الممكنة .

- وأشار الى ان بيت القرآن - بالبحرين - ودار الآثار الاسلامية - بالكويت - ومؤسسة الملك فيصل الخيرية - في السعودية - تكون فيما بينها ثقلا إسلاميا حضاريا في منطقة الخليج العربي وهذه المؤسسات الخليجية ما هي الاروافد حيوية لخدمة الحضارة الاسلامية والحفاظ على كنوزها وعرضها بالاسلوب اللائق المميز وفي مقدمتها واهمها جميعا - كتاب الله العزيز - القرآن الكريم .

مجلة الوعي الاسلامي تشكر دار الآثار الاسلامية على حسن تعاونها

القضاء على .. السرطان



هل ستختفى جراحات استئصال الأورام ؟

للدكتور / نبيل سليم

في مقالنا هذا نحاول إن شاء الله أن نلقي مزيدا من الضوء على بعض النباتات الطبية الجديدة المستخرجة من البحار والمحيطات وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالنبات لا يعدل إلى الدواء ومتى أمكن البسيط لا يعدل الى المركب ولا ينبغي للطبيب أن يولع بإعطاء الأدوية فإن الدواء الزائد يعبث بصحة الانسان ومن كان علاجهم بالأدوية المفردة كالنباتات مثل أهل البوادي كانت عللهم قليلة ، والتغذية الخاطئة تورث الكثير من الأمراض وليست ثمة ما يضارع العلاج بالغذاء بالعناصر التي اعدتها الطبيعة بوحي من الله ، والآيات الكريمات الآتيات قد تناولت النباتات بالذكر ، منها : (**وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا**) سورة مريم/ ٢٥ (**فيهما فاكهة ونخل ورمان**) سورة الرحمن/ ٦٨ (**ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**) سورة النحل/ ١١ .

(**ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون**) النحل/ ٦٧ (**والتين والزيتون**) التين/ ١ (**وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المّن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**) البقرة/ ٥٧ (**وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها**) البقرة/ ٦١ (**فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شقا * فأنبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وأبا**) عبس / ٢٤ - ٣١ (**إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا**) الانسان/ ٥ ويقول عز من قال : (**ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا**) الانسان/ ١٧ وفي آية أخرى يقول سبحانه (**إن للمتقين مفازا * حدائق وأعنابا** .)

النبأ/ ٣١ - ٣٢ (**في سدر مخضود . وطلح منضود**) سورة الواقعة/ ٢٨ - ٢٩ .

ولما كان القرآن الكريم هو الجامع الشامل والمدخل الحقيقي لاستخدام النباتات البرية والبحرية للاستطبابات فقد اتجهت منذ فترة وجيزة انظار العلماء الى طحالب البحار كمصادر طبيعية لاستخراج المواد الفعالة منها للطب والعلاج والغذاء .

فالدراسات العلمية دائمة البحث في المكونات الطبيعية التي خلقها الله لحكم كثيرة ولا يعلمها الا هو وحده .. ومن رحمته سبحانه وتعالى أن سمح للانسان بمعرفة بعض منها

ليستخدمها بقدر احتياجاته لها في الحياة.. مثال ذلك .. الطحالب المائية .. تلك التي تنتشر في البحار والمحيطات والتي تتمتع بلادنا العربية بوجودها في البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر والخليج العربي حيث تعتبر الشواطيء العربية عامة والمصرية خاصة من أغنى شواطيء البحار احتواء على الطحالب المائية وحيث توجد انواع مختلفة منها .. مثل الطحالب البنية والحمراء، والخضراء والصفراء والطحالب ذات اللونين الاخضر والأزرق .

ولقد أجريت الأبحاث على انواع الطحالب البحرية ، واسفرت التجارب البحثية عن فصل مواد فعالة لعلاج الامراض المختلفة من اهمها سرطان المعدة ، اذ أثبتت التجارب المعملية ان عينات الطحالب التي تتجمع في فصل الخريف تعطي أعلى نسبة من المواد الفعالة كما اثبتت ان نسبة هذه المواد تختلف حسب مصدر الحصول عليها سواء أكانت من البحر الابيض ام الاحمر ام الخليج .

ولكن باديء ذي بدء يجب علينا اولا ان نلقي الضوء على هذه الطحالب ، فماذا تكون ؟ وما قصة تربصها للسرطان ؟ .. إجابة على الشق الاول من السؤال نقول :

هي نباتات ثالوسية تحتوي على المادة الخضراء المسماة (كروفيل) بنسب متفاوتة وتستطيع بوساطتها بناء الاحتياجات اللازمة للنبات وذلك في وجود الماء وغاز ثاني اكسيد الكربون والطاقة الشمسية . ومن الطريف ان حجم هذه الانواع شديد التباين حيث توجد طحالب دقيقة الحجم لا ترى الا بالميكروسكوب ومنها ما يصل الى حوالي مائة وتسعين مترا .. وتكثر هذه الأنواع في منطقة القطب الجنوبي .

اما الطحالب التي كانت محل أبحاث علاج الأورام فهي ذات نوع معين إذ إنها طحالب بنية من فصيلة تسمى « سيستوزيرسية » وهو طحلب « سيستوزيرا فيمبرياتا » الذي ينتشر بكثرة في شواطيء الاسكندرية بالذات وقد تناولت الأبحاث طحلب السرجاسوم الذي يوجد ايضا في الشواطيء المصرية بكثرة « في البحرين الابيض والاحمر » .

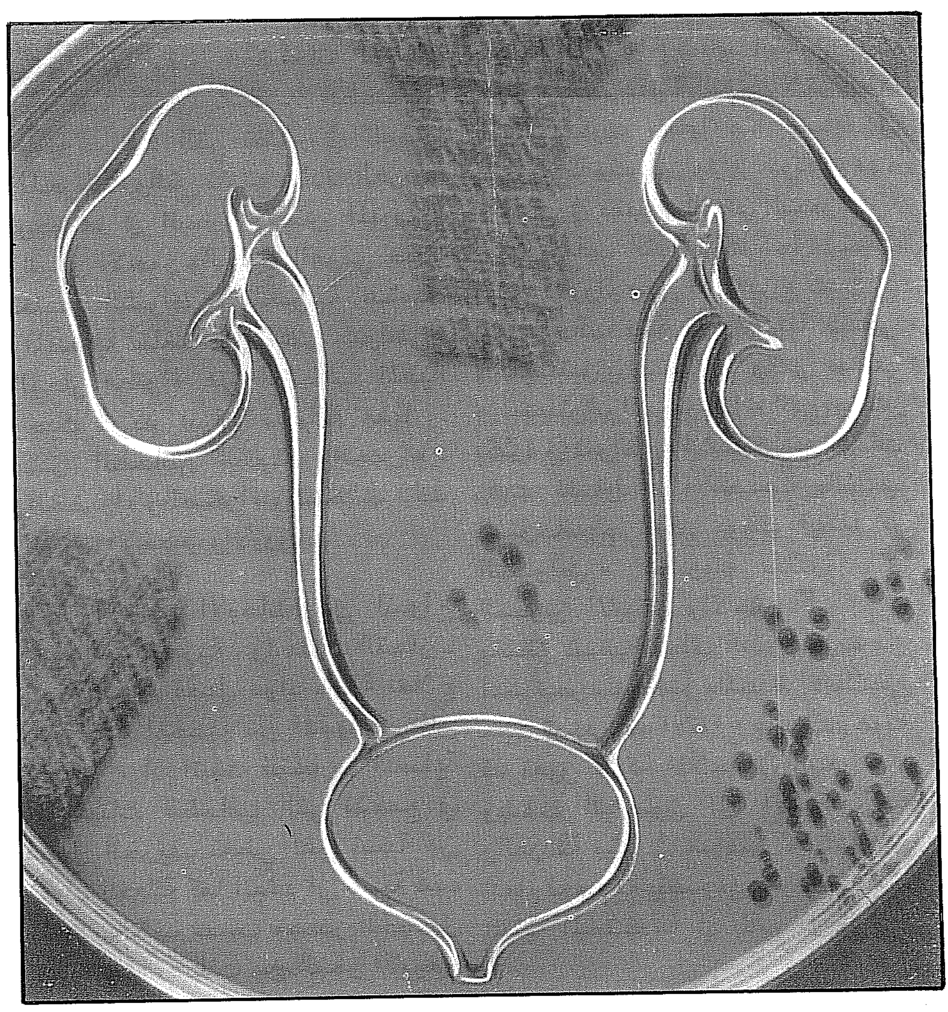
وتشتق تسمية طحلب السرجاسوم من اسم بحر سرجاسو بالمحيط الأطلنطي حيث توجد هذه الانواع بكميات رهيبة قد تعوق حركة الملاحة في البحر .

ويذهب الباحثون الى الاسكندرية والغردقة مثلا في مواسم مختلفة من العام لجمع ما يتيسر لهم من الطحالب البنية المستخدمة في الأبحاث .

○ مواد هامة في الطحالب ○

يحتوي طحلب سيستوزيرا على مواد كربوهيدراتية وستيرولات غير مشبعة ومواد فنيولية وكميات بسيطة من مواد لاكتولية وقد أثبت المسح الكيمائي المبتدىء هذه النتائج .

ومن دراسة المواد الكربوهيدراتية وكحولات السكر الموجودة في الطحلب « مثل ليمازين » وحمض الجنيك والمانتول ثبت ان هناك تزايدا مضطردا على مدار السنة حيث تبدأ في



نجحت مادة " اسيد ١٣ - سيس - ريتينويد "
في علاج سرطان المثانة الأولى

موسم الربيع «فترة النمو» وتصل إلى أقصى معدل لها في فصل الشتاء « أي فترة الكمون » وقد تمكن العالم « ديوار » من فصل مادة الليمينازين ذات التأثير الفعال كمادة مضادة للتجلط . هذا وتحتوي افراد من رتبة اللامينازيات التي ينتمي اليها طحلب اللامينازيا على مواد غذائية علاجية كثيرة مثل الألجين ، والفيكوستبرول ، كما أمكن الحصول على هذه المادة الأخيرة من طحلب الفيوكوس بوساطة العالم « هايلبون » الذي استطاع فصلها لأول مرة من طحلب اسمه العلمي « فيكوفيسكلو سذا » وللمادة الفيكوستيرول تأثير هام حيث يقلل من تركيز الكوليسترول في الدم ، كما انها

تعتبر مادة أولية تعطي بعض الهرمونات « التستيرودية » حيث تتحول مادة فيكوسترول إلى هرمون وهكذا تصبح الطحالب مصدرا عظيما للحصول على بعض الأنواع من الهرمونات .

اما عن مادة الألجين وحمض الألجنيك فتعتبر مادة أساسية إذ تدخل في كثير من المستحضرات الصيدلية والصناعية . وقد تم فصل الالجينات لأول مرة في عام ١٨٨٠ بوساطة العالم « ستانفورد » وحمض الألجنيك هو مادة كوبوهيدراتية عديدة التسكر . وتنتج كثير من البلاد هذه المادة ذات القيمة الاقتصادية بكميات مختلفة . واكثر البلاد انتاجا لهذه المادة هي الولايات المتحدة وبريطانيا والنرويج ولحمض الألجنيك فوائد كثيرة حيث يدخل في مستحضرات لعلاج السمنة فتعطي إحساسا بالشبع وبالتالي تقلل

كمية الطعام المتناولة . ويدخل ايضا في الصناعات الصيدلية كمواد مساعدة . بالاضافة الى ذلك يدخل في كثير من الصناعات الغذائية مثل الجيلي ـ الشيكولاتة ـ الحلويات ـ الآيس كريم وغيرها .

كما أن مادة كالسيوم الجينات تستخدم كمادة علاجية لتقليل ومنع التأثير السام لعنصر استراتشبوم المشع وقد ذكر « ماير » أن لهذه المادة « أي كالسيوم الجنيات " » تأثيرًا ضد النزيف . وقال « ديوار » إن حمض الألجنيك غير مناسب للاستعمال كمادة مضادة للتجلط لأنه أعطى نتائج معينة في حيوانات التجارب حيث

ظهرت قابليتها للنزف بعد التأثير المؤقت لمادة التجلط ومن المسح البيولوجي اثبتت التجارب والدراسات أن الطحالب البنية وخاصة طحلب سيستوزير فيمبرباتا يحتوي على مواد فعالة تفيد في علاج سرطان المعدة وسرطان الاستسقاء البريتوني الأيرليتشن EHRLICH ASCLTES CARCLNOMA

ولكن .. كيف تم ذلك ؟

لقد أمكن التعرف على تأثير المادة الفعالة التي استخلصت من طحلب سيستوزيرا (الخلاصة المائية ذات التركيز المعين ١٠٪) بحقن هذه الخلاصة في الغشاء البريتوني لفئران البيو المؤنثة . تلك الفئران الخاصة بالتجارب العلمية والتي تزن ما بين ١٨ ـ ٢٢ جم والمصابة بسرطان المعدة وقد تم ذلك بحقنها بالخلايا السرطانية .. فأحدثت المادة الفعالة تجويفات داخل الخلايا السرطانية

وكذلك سببت تهتك الجدار الخلوي لها وقد تم ذلك عند حقن هذه الفئران بأقل تركيز .. بينما سببت التركزيات العالية (٥٠٠ مجم/كجم) تحلل الخلايا السرطانية نفسها وقد لوحظ عدم وجود أية تأثيرات سمية للفئران المعالجة سواء حقنت بالتركيزات القليلة ام العالية .

هذا وقد أجري اختبار تأثير المادة الفعالة أيضا في انبوبة اختبار على خلايا سرطانية وضعت في درجة حرارة ٣٧°م لمدة ساعتين ثم اخذت عينة وفحصت بالجهاز بعد صبغها بصبغة مناسبة تنفذ ففط في الخلايا

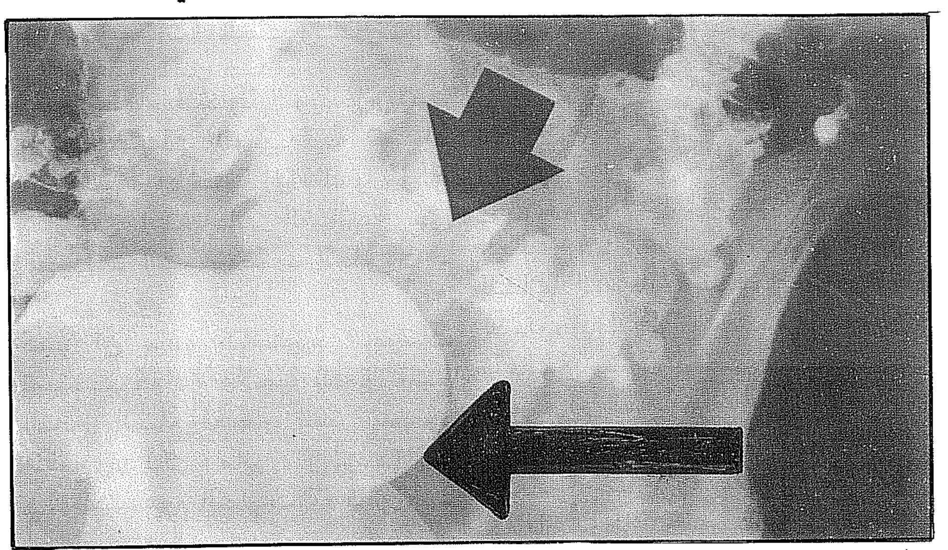
السرطانية الميتة . ولوحظ تأثير المادة المفصولة من طحلب السيستوزيرا فيمبرياتا على خلايا سرطان المعدة .. ومن مقارنة النتائج التي حصل عليها الباحث وجد ان الطحالب من نوع السرجاسوم تحتوي ايضا على مادة لها نفس تأثير المادة المستخلصة من طحلب السيستوزيرا على خلايا سرطان الاستسقاء البريتوني الأيرلبتش .

وتستمر الأبحاث حتى يمكن التعرف على التركيب الكيميائي للمادة المؤثرة بعد أن تم التأكد من تأثير (الفارما كولوجي) على حيوانات التجارب .
بقى لنا الحديث عن مادة أخرى تستخرج من الطحالب البنية وهي « مادة المانتيول » : لقد انتجت هذه المادة من الطحالب المائية بعد الحرب العالمية الثانية وكان ذلك في الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا واليابان .حيث توجد نسب عالية من

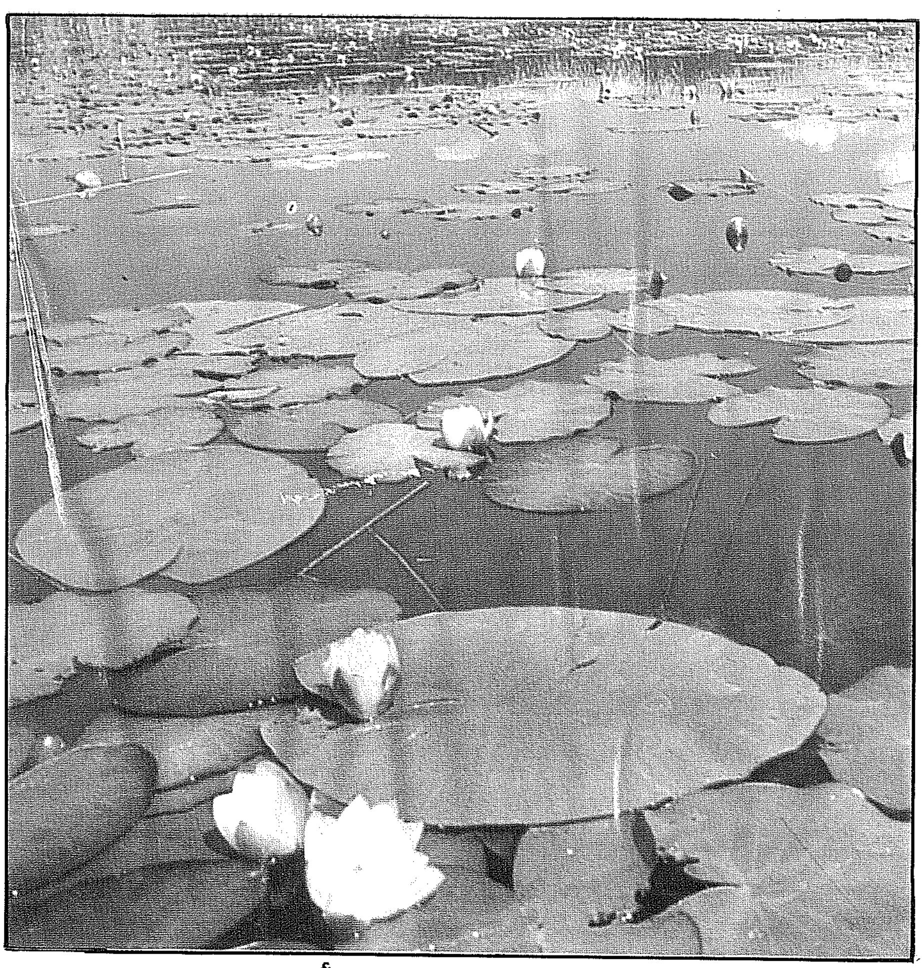
هذه المادة في طحالب السيستوزيرا والسرجاسوم ، و الاولى تحتوي على أعلى نسب من بين الطحالب الغنية بالمانتيول الذي يدخل في كثير من الصناعات والمستحضرات الصيدلية كما يستعمل المانتيول هكساسيتات كاختبار لنشاط الكلية .

○ الطحالب تنتصر على السرطان

ولا تقف الابحاث عند حد بل تتوالى لتخرج في كل مرة بمادة جديدة تفيد في علاج هذا المرض اللعين الذي يمثل أخطر أمراض العصر على الاطلاق فاذا كانت الطحالب قد ساعدت على اعطاء مادة للعلاج فهناك ايضا ومن أجل الوقاية نصر علمي جديد حيث



أثبتت مادة" الريتينويد" فعاليتها فى حصار وعلاج الخلايا السرطانية والأسهم تشير الى تحجيم خلية كادت أن تتوحش

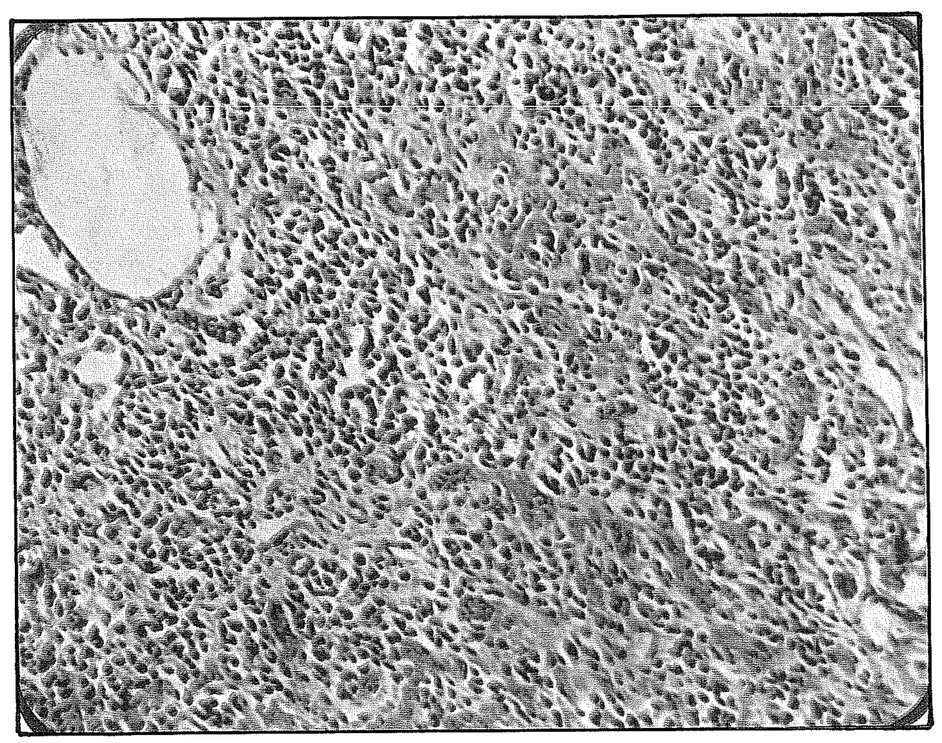


الطحالب كانت وما زالت محل أبحاث علاج الأورام والنتائج الجديدة تبشر خيرا

أتيح للعلماء معرفة مدى فعالية اول مادة من نوعها للوقاية لكثير من الامراض السرطانية.

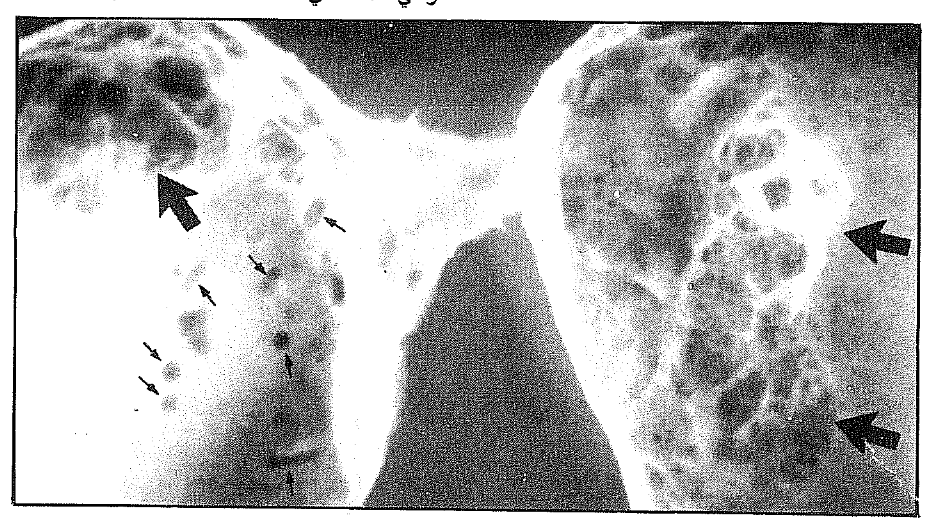
وقد اطلق على هذه المادة اسم « آسيد ١٣ ـ سيس ـ ريتينويد » وبالرغم من أن هذه المادة ما تزال في دور التجارب فان العديد من الباحثين الأميركيين الذين قاموا بهذه التجارب على الانسان يأملون أن يتحقق هذا الأمل.

وقد بدأت في الولايات المتحدة الأميركية تجارب اكلينيكية على مادة كيميائية يعتقد أنها سوف يكون لها الفضل في وقاية الانسان من كثير من الأمراض السرطانية وعلى الأخص سرطان الرئة. والقولون والمريء، والمستقيم والثدي والمثانة والبنكرياس، مما يعد إنجازا جديدا

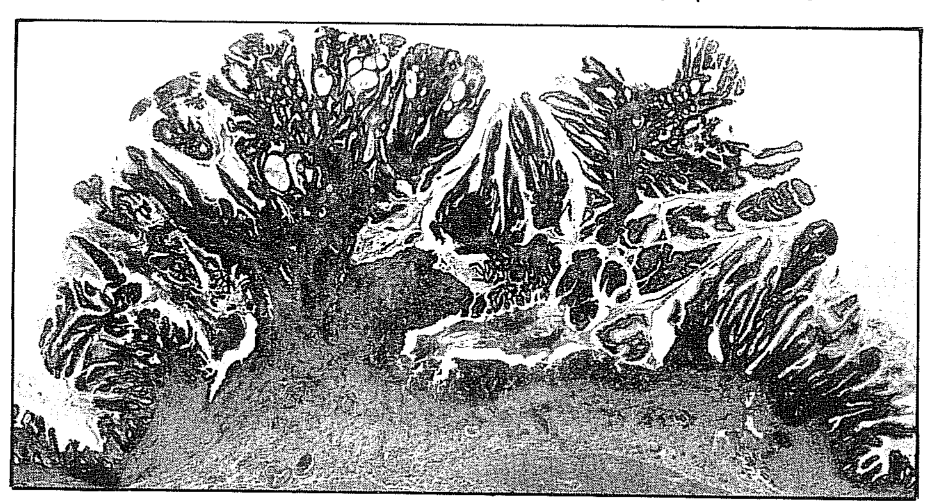


تعد من أبشع أنواع السرطان

من نوعه لمكافحة هذه الكارثة العالمية والمتمثلة في « السرطان » لا سيما وأن كل ما أمكن استعماله حتى الآن من المواد الكيميائية تعمل على إبطاء ومنع تكاثر الأورام السرطانية فحسب ، مما يدخل في نطاق المعالجة اما ما يستهدفه العلماء الاميركيون من هذه التجارب فهو الوقاية الكيميائية أي الوقاية من السرطان قبل حدوثه . وتتم هذه الابحاث والتجارب في عشرة مراكز طبية بالولايات المتحدة تحت اشراف المعهد القومي للسرطان . وقد أوضح الدكتور « م.ب.سبورن » رئيس خدمات سرطان الرئة . والمسئول عن البرنامج . بأن الدواء الجديد سوف يجرب على مائة شخص ممن يكونون عرضة للاصابة بالسرطان وعلى الأخص سرطان المثانة . فاذا ثبتت فعاليته الأكيدة . فسوف يكون بالامكان في القريب العاجل استعماله في الوقاية من معظم انواع السرطانات في الولايات المتحدة والبلاد الصناعية ومن ثم العالم كله . وسوف تركز الوقاية على الاشخاص المعرضين للاصابة بالسرطان كالمدخنين والعاملين في مجالات مسببة لسرطانات مهنية ، والمعرضين للاصابة المهيئة للسرطان .. ويقول الدكتور « سبورن » ان هذا العقار لن يكون له ادنى تأثير على حالات



تشير الأسهم الى بدايات التوحش السرطانى فى الخلية .



وهنا وصل التوحش مداه وبدأ فى الانتشار .

السرطان التي استقرت بالفعل . والمادة المستعملة في التجارب هي مادة الرتيينويد RETINIOD وهي شبيهة بفيتامين « أ » من حيث التركيب ، وقد قام الكيميائيون بتحضير مئات الأنواع من الريتينويد ، وقد اثبتت إحداها وهي التي سميت ACID BCIS — RE-LINOID والتي قام بتحضيرها معمل هوفمان لاروش باميركا اثبتت فعاليتها على حيوانات سرطانات المثانة ولكن عليهم ان يستمروا في تلقي العلاج

والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه

ثلاث مرات يوميا على مدى سنتين . ولذا كنا قد ذكرنا أن مادة الريتينويد

المستعملة في الوقاية من السرطان قريبة الشبه من فيتامين « أ » إلا

أنهما مختلفان من حيث التركيب ولذلك فإن الدكتور سبورن يحذر من الخطورة البالغة من الافراط في

استعمال فيتامين أ ، و « الريتينويد » من عائلة الجزئيات الطبيعية او

الصناعية التي تلعب دورا هاما في النضج الطبيعي للانسجة « الظهارية » .

وهي انسجة مكونة من خلايا متلاصقة تبطن الأعضاء المجوفة من

الداخل وبغياب او نقص الريتنيويد فإن التمايز والنضج الطبيعي لهذه الانسجة لا يصبح لهما وجود .

واذا كنا معرضين لمواد سرطانية . فانها غالبا ما تكون بكميات ضئيلة

ولكن هذه المواد السرطانية الموجودة في البيئة بكميات قليلة جدا تعمل ببطء وكما يقول الدكتور سبورن فإن نمو

الاصابة المهيئة للسرطان وتحولها ، الى ورم خبيث عملية بطيئة جدا بالنسبة للرجل والمرأة على حد سواء .

قد يمتد من ١٠ ـ ٢٠ سنة بل وإلى اطول من ذلك . وهذه الفترة الطويلة من سكون السرطان هي الفرصة المثالية لسد الطريق

على نموه البطيء . والمثال على ذلك عمال بعض الصناعات الذين يتعرضون لمواد معروفة اليوم بأنها

مواد سرطانية كالحرير الصخري AMIANR وكذلك المصابون باصابات مهيئة لسرطان الرئة

والأمعاء والثدي دون أن نصل الى معرفة أسباب تلك الاصابات .

والوقاية من السرطان سوف تستهدف بعض فئات من الناس بحسب الأولوية في الاصابة بالسرطان مثال ذلك المصابون بسرطان الرئة . ومدمنو التدخين والعمال الحاملون لمواد سرطانية مثل الاميدت واليورانيوم ،

والسيدات اللواتي عندهن استعداد وراثي لسرطان الثدي أوكن قد أصبن

به من قبل ، والمصابون بزوائد في الأمعاء هذه الزوائد التي تتحول غالبا الى سرطان .

واذا كان اول من تم اختيارهم لاجراء التجارب الاكلينيكية هم الأشخاص المعرضون للاصابة بسرطان المثانة

فذلك لان العلماء على يقين من وجود الأخطار التي تتهددهم فإن نسبة تقدر

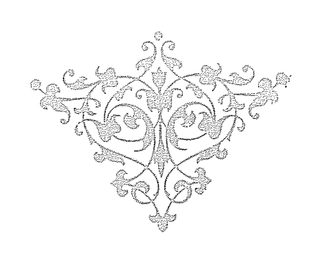
ما بين ٤٠٪ و ٧٠٪ من تلك الأورام تتحول الى سرطان خلال عام او عامين . إذن بإمكان العلماء خلال هذه

المدة معرفة ما اذا كانت « الوقاية الكيميائية » من السرطان قد اصبحت فعالة أو لا .

وبينما يحاول العلماء ان يتحروا بدقة مقدار المجازفة او الاضرار التي تترتب على تناول « الريتينويد » الصناعي لفترة طويلة . فانهم مستمرون في تحضير تركيبات مشابهة تكون غير ضارة او اكثر فعالية بقدر الامكان .

ان العالم ينتظر الآن بلهفة نتائج الأبحاث الأولوية للتجارب التي يقوم بها العلماء الاميركيون للوقاية من السرطان . على انه من المسلم به ان هذه الطريقة الجديدة يجب الا تجري الا بمعرفة مجموعة من الأطباء يكونون قد قاموا بتجربة او اكثر في هذا المجال . علما بأن أي مستحضر من مستحضرات الريتينويد المستعمل في هذه التجارب لم يظهر بعد للتداول تحت اسم تجاري كما أن فيتامين « أ » ومعظم الريتينويد المعروفة ليس في مقدور أيهما إعطاء ذات النتائج التي حققها هؤلاء العلماء .

وانني اغتنم هذه الفرصة كي اوجه نداء الى كل جمعيات السرطان في الوطن العربي لتبني هذه البحوث او متابعتها عن كثب لانها ستخرج لنا بنتائج نأمل ان تفيد الانسانية في علاج مرض لعين من أمراض العصر . وقانا الله إياه وشفا منه كل مرضاه





الأسرة احدى الركائز الأساسية في النظام الاجتماعي والتربوي والتشريعي والاقتصادي والانساني والتاريخي في نظر الاسلام .

لكن الأسرة تعرضت في بعض حقب التاريخ للنيل منها باسم المذاهب والأفكار احيانا ، وتبني بعض الأنظمة القديمة ذلك أحيانا أخرى ، كما تتعرض الأسرة اليوم لبعض الثغرات والوهن في جوانبها المختلفة في ربوع بلادنا ، وأمام أنظارنا ، وأصبحت غرضا لسهام الحاقدين والمخربين الذين يتحركون تحت مظلة الغزو الفكري الأجنبي ، والمبادىء المستوردة الهدامة ، لغايات خبيثة ، ونوايا سيئة ، وأهداف فاسدة ، ويحاول أصحابها نشرها وبثها ثم تصديرها الى بلاد المسلمين .

لذلك قصدت التنويه بمكانة الأسرة والتذكير بأهميتها ومسؤوليتها والتحذير مما يخدشها تحقيقا لقوله تعالى : (**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**) الذاريات/ ٥٥ .

ينطلق مفهوم الأسرة في الاسلام

من تأسيس الحياة الزوجية بين الرجل والمرأة وما يتفرع عنها من النسب والمصاهرة لتشمل الوالدين والأولاد ، والآباء والأمهات ، وقد تتوسع حلقتها لتتناول الاخوة والأخوات ، والأعمام والعمات ، والأخوال والخالات ، وقد تطلق احيانا على المجتمع بأكمله ، باعتباره أسرة واحدة كبيرة ، ولكن المراد في بحثنا هو المفهوم الأول للأسرة مع ما يتعلق به ويحوطه من آثار بالمعنى الواسع له .

إن الأسرة هي النظام الفطري للانسان تلتقي مع طبعه الذي خلق فيه ، وجبلته التي فطر عليها لأن الانسان اجتماعي بطبعه والأسرة هي الخطوة الأولى ، والصورة المصغرة للمجتمع البشري ، وتعطي النموذج القويم للحياة الانسانية على وجه البسيطة .

وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى : **(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)** النساء/١ والمراد بالنفس الواحدة آدم عليه السلام ، وزوجه التي خلقت منه هي حواء خلقها الله من ضلعه الأيسر ، فلما رآها أعجبته ، فأنس اليها ، وأنست اليه ، وكان ذلك سنة الله تعالى فيما بين الرجل والمرأة الى يوم القيامة .

لذلك تعتبر الأسرة النظام الانساني الأول في تقدير علماء الاجتماع والتاريخ ، ومن وظائفها استمرار النوع والمحافظة عليه ، وأن الأسرة وجدت منذ وجد الانسان الأول ، والدليل عليه النص الصريح السابق في الآية الكريمة ، وأن القرآن الكريم ذكر المراحل الأولى لخلق آدم وحواء في الجنة ونزولهما الى الأرض ، وبناء الأسرة الأولى فقال تعالى : **(وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما)** البقرة/ ٣٥ .

وستبقى الأسرة موجودة وقائمة حتى قيام الساعة مع كل ما تتعرض له من أمراض وآفات واخطار على مر التاريخ وذلك **للأسباب التالية** .

الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع ، والنواة المركزية للأمة ، والأساس الرصين ، واللبنة الأساسية لاقامة الدولة ، لأن مجموع الأسر يكون المجتمع والأمة والدولة ، وكلما كانت الأسرة قوية وسليمةوصحيحة كانت الأمة أو المجتمع أو الدولة قوية وسليمة وصحيحة ، والأسرة هي الدعامة لكل ذلك ، وتحتل مكانة القلب في الجسم ، فإذا صلحت وقويت صلح المجتمع ، واذا فسدت فسد المجتمع ، واذا ضاعت أو تفككت أو انهارت أدى ذلك الى ضياع المجتمع ، وتفكك الأمة ، وانهيار الدولة .

والأسرة هي الحصن الذي يوفر الانسجام في حياة الأفراد ويربط الأمة بماضيها ، ويحدد خط السير القويم المتواصل للمستقبل ويقيم السور المنيع للحفاظ على القيم والمبادىء وتترعرع فيه الأخلاق الفاضلة التي تنبت عند الفرد في محيط الأسرة ثم تنمو وتزدهر في المجتمع كما تزود الأسرة أعضاءها بالاشباع لعدد من متطلبات الانسان العاطفية والنفسية والاجتماعية كالحنان والعطف والحب والألفة والرعاية والاستقرار وتحقيق

الرغبات والتعاون .. وغير ذلك .
والأسرة إحدى المؤسسات التربوية الرئيسة بل إن الأسرة هي المؤسسة الأولى التي تبدأ منها التربية ويقع على عاتقها اهم مراحل التربية واخطرها ، لانشاء الجيل ، وغرس الفضائل وإرساء المثل العليا ، وعندها تنبع الآمال ويصدر الخير وتتهذب العواطف وترق المشاعر ، وتصفو النفوس وتشف القلوب لتكون الأسرة هي مقياس رقي الفرد والمجتمع معا ، وإلّا دبَّ الضعف وتسرب التحلل والفساد .
وتتحمل الأم في الأسرة الوظيفة المقدسة والمثلى في التربية ورعاية البيت وإضفاء الحنان الفطري الكامل للطفل ، هذا الحنان الذي تعجز عن بعضه جميع الوسائل الأخرى ليخرج الطفل من البيت سليما معافى ، دون أن يلقي في أيدي الخدم ودور الحضانة ويشبع الصغير بالغذاء العاطفي من أمه ، قبل أن تتعهده المدرسة بالتعليم وينعم في البيت برعاية الأبوة ، وعاطفة الأمومة وهما من أشد احتياجاته فنضمن له الاستقرار النفسي والحنان الكافي ، ونبعد عنه القسوة والمعاناة .
وفوق كل ذلك فان الأسرة تمثل الضمان الاجتماعي للانسان ، صغيرا كان في المهد ، أم كبيرا على حافة اللحد رجلا أم امرأة ، فاذا مرض أحد أعضاء الأسرة آحاطه الجميع بالرعاية والعناية ، والحب والوئام ، والمواساة والحنان ، واذا أصاب أحدهم العجز أو كبر السن التف حوله الجميع من أولاده وأصهاره وأنسابه وأحفاده ، وغمروه بالبِر المناسب وتقديم الخدمات وتفريج الكرب ، وتخفيف الشدة ، ونسيان الألم ، ورفع الروح المعنوية ، واذا أصاب فردا من الأسرة فاقة أو حاجة أو فقر تكفل الجميع بالانفاق والتضامن ، وهذا ما أراده القرآن الكريم بقوله تعالى : (**إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**) الاسراء/ ٢٣ _ ٢٤ ، وقوله تعالى : (**لينفق ذو سعة من سعته**) الطلاق/٧ ، وهذا مما لا يحلم به انسان الغرب والحضارات المادية اليوم ، لذلك حرص القرآن الكريم والسنة الشريفة على بناء الأسرة ، ودعم مقوماتها والعناية بكل أفرادها وتوثيق الصلة بين عناصرها والتوسع في صلة الرحم بكل من يلوذ بها .
وجعل الاسلام الأسرة الوسيلة الوحيدة التي تربط الرجل بالمرأة ، وتحقق لهما الحياة العاطفية ، والغريزة المشتركة فشرع الزواج القائم على العقد الصحيح والخطبة المشروعة والدوام والبقاء بين الزوجين ما أمكن الى ذلك سبيلا وجعل أحب الحلال الى الله الزواج وأبغض الحلال الى الله الطلاق ، وحرم العلاقات الأخرى بين الرجل والمرأة ، ومنع الزواج المؤقت ، وزواج المتعة لشبهه بالزنا وقربه منه ، واعتبر الزواج الوسيلة الوحيدة للتناسل وثبوت النسب وكلف الوالدين بمسؤولية

الرعاية والتربية واشباع أفرادها بمتطلبات الطفولة الغريزية والعاطفية والنفسية والاجتماعية والمعيشية .

وحرص الاسلام على اقامة الأسرة وبنائها على أسس وطيدة للحفاظ على العلاقة الزوجية بحسن العشرة ، قال تعالى : (**وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) النساء/ ١٩ ، وأكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيرا » رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفرك مؤمن مؤمنة ، ان كره منها خلقا رضي منها آخر » ، أي لا يبغضها بغضا يؤدي الى تركها ، لأنه ان وجد فيها خلة وصفة يكرهها ، وجد فيها سلوكا مرضيا وميزة مرغوبة وهو ما يتفق مع الواقع الملموس ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خياركم خياركم لنسائهم »رواه ابن ماجة .

وقرر القرآن الكريم ان العلاقة الفطرية بين الرجل والمرأة تقوم على التكامل والأنس والسكن ، فقال تعالى : (**هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها**) الأعراف/ ١٨٩ ، أي ليألفها ويطمئن اليها ، ولا يوجد الفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين ، قال عز وجل : (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم/ ٢١ ، فكان من حكمة الله ورحمته أن خلق الزوجين من جنس واحد ، ليتم التآلف بينهما وفطر بينهم المودة والمحبة والرحمة والرأفة ، ليتعلق الرجل بالمرأة ويمسك بها وترتبط المرأة بالزوج وتحرص عليه ، قال تعالى : (**هن لباس لكم وأنتم لباس لهن**) البقرة/ ١٨٧ ، أي ان كلا من الزوجين يحفظ صاحبه ويدفع عنه الأذى ويصون اخلاقه ويحميه من المؤثرات والمضار ويمنحه السعادة ويتبادل معه المسرة والعيشة المشتركة ، ويحقق معه الآمال الواحدة ، ويتحمل معه الآلام الخاصة ويمنحه الوقاية كما ان اللباس يحفظ البدن ويمنحه الدفء والراحة والمتعة .

ويتم التعاون بين الزوجين كأنهما جسد واحد ويتبادلان الحقوق والواجبات فللزوج على زوجته حقوق ، وعليه واجبات ، وللزوجة على زوجها حقوق وعليها واجبات ، وهذه الحقوق والواجبات نظمها رب العالمين وألزم بها الطرفين ولم يفرضها أحدهما على الآخر ولم تتقرر لجانب على حساب غيره ، بعد أن اتصف كل منهما بالانسانية والكرامة والتكليف والتدين والعبادة واهلية التملك والارث والمكانة الاجتماعية .

ويقوم نظام الأسرة على توزيع الاختصاصات بين الرجل والمرأة بما يتفق مع الفطرة والطبائع ليتولى الأب رئاسة الأسرة والاشراف العام والخارجي والمسؤول المالي ، وتتولى

الأم رئاسة البيت ومسؤولية التربية، والحفاظ على مال الأسرة ونفقاتها وتوزيعها،، وصيانة عرض البيت وشرفه ومقدساته قال تعالى: (**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة**) البقرة/٢٢٨، وهي درجة القوامة للرجال أي الرياسة والقيادة وتسيير الأمور لقوله تعالى: (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله**) النساء/٣٤ وذلك لتوافر الخبرة والمعرفة العامة بالحياة مع القدرة والكفاءة ولالتزام الرجل بالأعباء المالية من دفع المهر والنفقة وإعالة الجميع ...

والمرأة هي سيدة البيت وربة المنزل، ومنجبة الأطفال، وحاضنة الأولاد، ومربية الجيل والمسؤولة عن مال الرجل وعرضه وتربية أولاده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والمرأة راعية في بيتها، ومسؤولة عن رعيتها »رواه احمد-ومطالبة بصيانة عرضها ونفسها، والحفاظ على عفتها وكرامتها.

وفوق ذلك فالأم لها فضل على الرجل، وتقدم على الزوج، ولها درجات عليا تتفوق فيها على الأب، لما تعانيه من عناء الحمل، وآلام الولادة، والتجلد على الرضاعة والتربية، قال تعالى: (**ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**) الأحقاف/١٥، وقال تعالى: (**ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير**) لقمان/١٤، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال: أمك، قال: ثم من ؟ قال: أمك، قال ثم من ؟ قال أمك، قال: ثمن من ؟ قال: ثم أبوك »رواه البخاري ومسلم، وهكذا يتعاون الرجل والمرأة على مسؤوليات الحياة، ويكلفان معا بالرعاية والعناية بالأولاد رضاعة وحضانة وإنفاقا وحسن تربية.

وان الاستمتاع بين الرجل والمرأة لا يقصد منه قضاء الوطر وإشباع الغريزة الجنسية فحسب وليس لمجرد قضاء حاجة آنية، وإنما الهدف الأنس والعشرة وتوثيق الصلات، وتلبية عواطف الأبوة والأمومة عندهما، ونمو مشاعر العطف والحنان بينهما، واقامة الود والرحمة بين أفراد الأسرة لتمتد العلاقة بين الزوجين الى الصلة القلبية والتعلق الروحي، والاشتراك في الآمال والآلام، والتعاون على شؤون الحياة، والمساهمة في تكوين الأسرة والمجتمع.

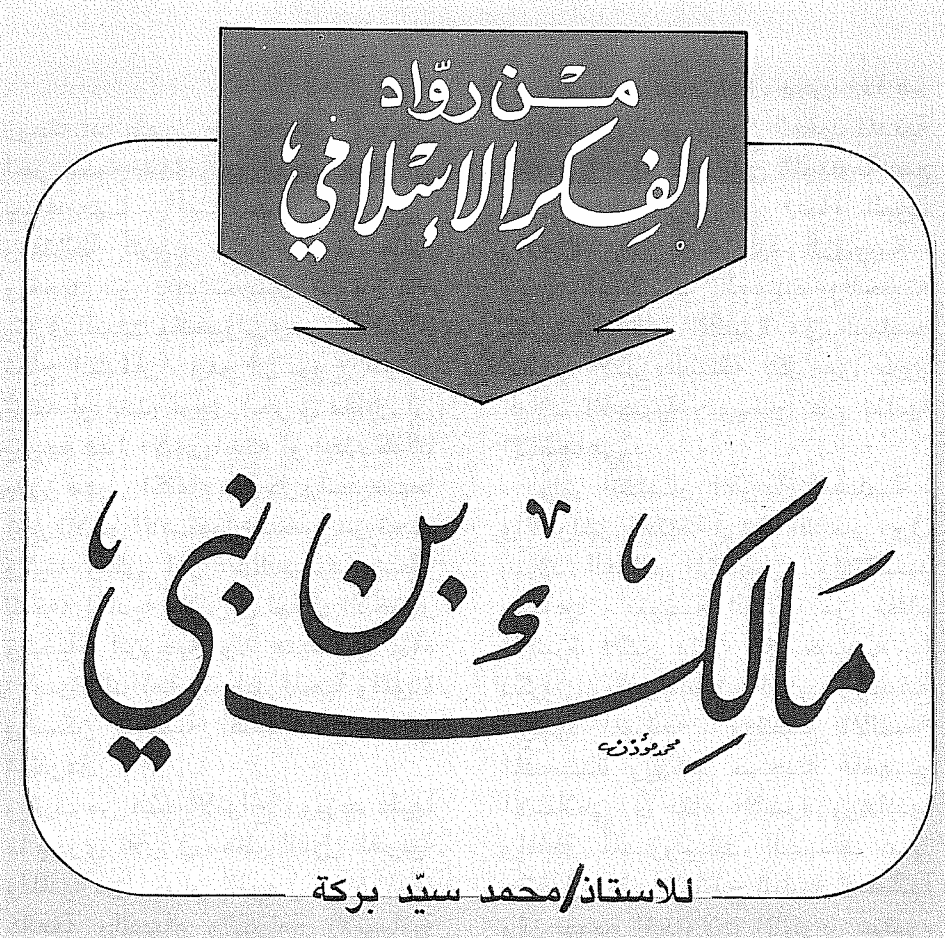
ونتج عن اهتمام الاسلام بالأسرة وتنظيم أحوالها واحكامها، أن جمع شمل الأمة بذلك، وجعلها حصينة أمام التيارات المعادية والهجمات المسعورة، والمذاهب الهدامة، لذلك حرم الاسلام نكاح المتعة الذي يشبه زواج التجربة في الغرب وحرم الاسلام نكاح الاستبضاع الذي كان في الجاهلية، وهو أن يرسل الرجل

زوجته اذا طهرت من الحيض الى رجل آخر تستبضعه أي تطلب منه أن يباضعها والمباضعة الجماع ، ويعتزلها الزوج حتى يتبين حملها ويقصد من ذلك تحسين النسل كما يتم في النبات والحيوان وحرم الاسلام نكاح الشغار ، وهو أن يزوج الرجل ابنته أو اخته لرجل آخر في مقابل أن يزوجه هذا الآخر ابنته أو أخته كذلك بدون مهر ، اكتفاء بأن كل واحد منهما أحل للآخر الاستمتاع ببضع من تحت ولايته ، وتكون المرأة بذلك مجرد وسيلة للمتعة المادية ولا رأي لها في الاختيار والحياة الزوجية ولا هدف في بناء الأسرة الدائمة وتوطيد المحبة والمودة والسكن وبقية اهداف الزواج المتنوعة .

ويقرب من هذه الأنواع ، ويزيد عليها ما يجري الآن في معظم الدول الغربية والمادية من فقدان القيم في حياة المرأة كالعفة والحياء والكرامة الانسانية والأمانة والوفاء كما فقدت المعاني الانسانية والاجتماعية للأسرة وظهرت الدعوات التي تدعو للتحلل والاباحية ، وانتشرت الفلسفات المادية والمذاهب الفكرية التي تنادي بالشعارات البراقة كتحرير المرأة وحرية الجنس وخروج المرأة من البيت والاجتماعات المختلطة ونكاح الصداقة ، والسهرات الفنية ، واللقاءات في الأندية وحبوب منع الحمل ، مع استغلال عواطف النساء وجمال الفتيات في الدعاية والمعارض والشركات والمحلات التجارية وعلى صفحات الكتب والمجلات وفي مكاتب المسؤولين ورجال الأعمال واقتربت العلاقة بين الزوجين من العقود المدنية التجارية ، القائمة على المساومة مع محاولة التهرب من أعباء البيت والأولاد ، أو المسؤولية الزوجية ، وتقوم المحاولات العديدة والحثيثة لتقويض نظام الأسرة من أساسه لتظهر الآثار السيئة لكل من يزور البلاد الأجنبية ، ويطلع على بنائها الاجتماعي .

وان انتشار الأوبئة العامة ، والأمراض الفتاكة في هذا العصر ، وفي بلاد العالم المتحضر ، والمتقدم صناعيا ، نتيجة التفلت من نظام الأسرة لأكبر دليل على صحة ما ذكرنا ، وينذر بالشؤم القريب ويصفع الوجوه المبرقعة ، ويقطع الألسنة المفسدة ويؤكد صحة المنهج الاسلامي في بناء الأسرة ورعايتها وإناطة المسؤوليات الجسام على عاتقها وترقب النتائج الطيبة لأعمالها وإن جميع المحاولات الأخرى ستبوء بالفشل الذريع لأنها تتصادم مع الفطرة الانسانية ، والكمال الانساني والدعوة الالهية .

وأخيرا : فان الصورة المثالية لهذه العلاقة بين الجنسين هي الأسرة وان المنهج الالهي لصلة الرجل والمرأة هي الزواج ، وان الصورة المنطقية والقانونية والتشريعية هي احكام رب العالمين التي تحقق السعادة للبشرية تحقيقا لقوله تعالى : **(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)** الأنعام/١٥٣ ، والحمد لله رب العالمين .



للاستاذ/محمد سيّد بركة

«مالك بن نبي» واحد ممن حجب فكرهم عن الناس عدم اهتمام الدارسين بهم فقد امضى في اوروبا اكثر من ثلاثين عاما متأملا يحلل ويضع شروط النهضة للمجتمع الاسلامي

ومالك بن نبي لم يكن عالم دين بل كان مهندسا كهربائيا تخرج من كبريات المعاهد العلمية في باريس ولد «مالك بن نبي» عام ١٩٠٥ م في مدينة قسنطينة بالجزائر وكانت مراحل دراسته الابتدائية والثانوية بين مدينة «تبسة» قسنطينة ..

نزل «باريس» اول مرة في سبتمبر عام ١٩٣٠ م ولكنه لم يلبث أن عاد الى بلده ثم رجع مرة اخرى وحاول الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية ولكنه فشل لأن الالتحاق به بالنسبة لمسلم جزائري في ذلك العصر لايخضع لمقياس علمي وإنما يخضع لمقياس سياسي على حد قول مدير المعهد في ذلك الوقت ..
فالتحق بمعهد اللاسلكي حيث تخرج مهندسا كهربائيا عام ١٩٣٥ م
وفي باريس كان يسعى بكل جهده الى أن يقوي النزعة الوطنية في

قلوب المغاربة والتونسيين والجزائريين ضد الاستعمار واطماعه وبدأ يعاني هو ووالده الكثير من المتاعب حيث فقد والده وظيفته إثر محاضرته الأولى بباريس في شهر كانون الأول ديسمبر ١٩٣١ والتي كان عنوانها «لماذا نحن مسلمون» كما يروي في كتابه «مذكرات شاهد للقرن» ..

في عام ١٩٥٦ لجأ الى القاهرة حيث عمل مستشارا بالمؤتمر الاسلامي واتجه بعد اتصاله بالعديد من الطلاب الى ترجمة كتبه الى العربية ثم أصدر بقية كتبه بالعربية بعد ترجمة بعضها

انتقل الى الجزائر عام ١٩٦٣ م حيث عين مديرا عاما للتعليم العالي ولكنه استقال من منصبه عام ١٩٦٧ م وتفرغ للعمل الفكري وتنظيم ندوات فكرية كانت النواة لملتقى الفكر الاسلامي الذي يعقد كل عام بالجزائر ..

وقد توفى رحمه الله ـ في ٣١ تشرين الثاني (اكتوبر ١٩٧٣ م) بعد حياة حافلة بالجهاد والفكر والعمل من أجل رقي المجتمع الاسلامي ..

ومؤلفاته التي تصور فكره وضعها تحت عنوان «مشكلات الحضارة» وهي :

١ ـ الظاهرة القرآنية ..

صدرت الطبعة الأولى في الجزائر عام ١٩٤٦ م باللغة الفرنسية وكتب مقدمتها الدكتور «محمد عبدالله دراز» وصدّرت الطبعة العربية الأولى بمقدمة قيمة للاستاذ «محمود شاكر» وترجمة الدكتور «عبدالصبور شاهين» ويعتبر هذا الكتاب من أهم مؤلفات «مالك بن نبي» ..

٢ ـ شروط النهضة ..

صدر بالفرنسية عام ١٩٤٨ م وصدرت طبعته الأولى بالقاهرة عام ١٩٥٧ م

٣ ـ الفكرة الأفريقية الاسيوية ..

بمناسبة انعقاد مؤتمر باندونج وقد طبعته وزارة الإعلام في القاهرة بالفرنسية عام ١٩٥٧ .

٤ ـ مشكلة الثقافة .. صدر بالقاهرة عام ١٩٥٩ م

٥ ـ وجهة العالم الاسلامي .. صدر بالقاهرة عام ١٩٥٩ م .

٦ ـ الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ..

صدر بالقاهرة عام ١٩٦٠ م .. وهو أول محاولة للمؤلف في الكتابة بالعربية ..

٧ ـ فكرة كومنولث اسلامي ..

صدر بالقاهرة عام ١٩٦٠ م هو ملخص من بعض فصول كتاب مشكلة الأفكار في المجتمع الاسلامي .

٨ ـ تأملات في المجتمع العربي صدر بالقاهرة عام ١٩٦٠ م .

٩ ـ في مهب المعركة .. صدر بالقاهرة عام ١٩٦١ م .

١٠ ـ ميلاد مجتمع الجزء الاول ..

صدر بالقاهرة عام ١٩٦١ م .

١١ ـ المسلم في عالم الاقتصاد ..

صدر في بيروت عام ١٩٧١ م .

١٢ ـ حديث في البناء الجديد ..

صدر في بيروت عام ١٩٧١ م .

١٣ ـ مذكرات شاهد للقرن .. وهو

ترجمة ذاتية صدر منها جزءان في بيروت عام ١٩٦٩ م - ١٩٧٠ م بترجمة «مروان قنواتي» ونشرت هذا الكتاب دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق
- وهي الدار المسؤولة الآن عن نشر وتوزيع كتب «مالك بن نبي» - ثم صدر في جزئين ضمهما كتاب واحد الجزء الأول قام بترجمته الدكتور «عبدالمجيد النعنعي» «وعمر مسقاوي» أما الجزء الثاني فقام بترجمته «مالك بن نبي» بنفسه .
١٤ - آفاق جزائرية ..
١٥ - مشكلة الافكار في العالم الاسلامي ..
١٦ - بين الرشاد والتيه ..
وهذه الكتب الثلاثة صدرت في الجزائر بعد ان انتقل اليها مالك بن نبي عام ١٩٦٣ م
١٧ - انتاج المستشرقين ..
١٨ - مجالس دمشق ..
ولم استطع الحصول أو الاطلاع على هذين الكتابين ..
وقد ترك للاستاذ «عمر كامل مسقاوي» في المحكمة الشرعية في طرابلس لبنان وصية سجلت تحت رقم ٦٧/٢٧٥ في ربيع الآخر ١٣٩١ هـ الموافق ١٠ حزيران (يونيه ١٩٧١ م) حمله فيها مسؤولية كتبه المادية والمعنوية ..
اتجه «مالك بن نبي» نحو تحليل الأحداث التي كانت تحيط به وقد أعطته ثقافته المنهجية قدرة على إبراز مشكلة العالم المتخلف باعتبارها قضية حضارة أولا وقبل كل شيء يقول :

«إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته ولايمكن لشعب ان يفهم مشكلته مالم يرتفع بفكره الى مستوى الأحداث الانسانية ومالم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات او تهدمها» ..
ان ظهور اي مجتمع تاريخي يكون نتيجة لتخطيط وتفاعل يشمل :
أ - مصدرا تاريخيا لعملية التغيير .
ب - اشخاصا يقع تأثير التغيير بهم وعليهم .
حـ - مواد يقع عليها التغيير .
وهذا هو مايصفه «مالك بن نبي» في كتابه ميلاد مجتمع حيث يقول
(ان صناعة التاريخ تتم تبعا لتأثير طوائف اجتماعية ثلاث :
أ - تأثير عالم الاشخاص .
ب - تأثير عالم الأفكار
حـ - تأثير عالم الأشياء .
وهذه العوالم لاتقوم ولا تتفاعل من تلقاء نفسها حيث يقول : «لكن هذه العوالم الثلاثة لاتعمل متفرقة بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج ايديولوجية من عالم الافكار يتم تنفيذها بوسائل من عالم الاشياء من أجل غاية يحددها عالم الاشخاص» .
وقد اهتم بعالم الافكار بدلا من عالم الاشياء وتساءل ماهي المشكلات ؟ انها تبدو هنا الجهل وهناك الفقر - او في إطار سياسي - الاستعمار والاحتلال الأجنبي وفي مجال آخر النقص في الامكانات والثروات الطبيعية ..
لقد طرح «مالك بن نبي» كل هذه

الأعراض في مختلف كتبه وعالجها معالجات متعددة لكنها كما رأى تصب في إطار واحد : إنها مشكلة حضارة نحن خارجها ومشكلة ثقافة لم يتكامل إطارها في متقلب حياتنا اليومية ونحن لذلك شتى النوازع والقلوب والوسائل، تتعارض الامكانات في مختلف الاصعدة ثم تسقط هذه في هوة الفراغ والضياع وعدم الفعالية ..

«فالقضية اذن ليست قضية أدوات ولا امكانيات .. ان القضية كانت في انفسنا أن علينا أن ندرس اولا الجهاز الاجتماعي الاول وهو الانسان فإذا تحرك الانسان تحرك المجتمع والتاريخ واذا سكن سكن المجتمع والتاريخ »

فما الطريق إذن الى الحضارة ؟

«الطريق الى الحضارة هو قبل كل شيء طريق الفكر الذي يحدد الوسائل ونتائجها في مدة معلومة بحيث يرى السائر ما سوف تنتهي اليه الطريق قبل أن يخطو فيها خطوة واحدة» .

وعن اهمية الافكار عنده يقول :

«لايقاس غنى المجتمع بكمية مايملك من اشياء بل بمقدار مافيه من افكار ولقد يحدث ان تلم بالمجتمع ظروف أليمة كأن يحدث فيضان او تقع حرب فتمحو منه عالم الاشياء محوا كاملا او تفقده الى حين ميزة السيطرة عليه فإذا حدث في الوقت ذاته أن فقد المجتمع السيطرة على عالم الافكار كان الخراب ماحقا . اما اذا استطاع ان ينقذ أفكاره فانه يكون قد انقذ كل شيء اذ أنه يستطيع ان يعيد بناء عالم الاشياء»

ومقياس الحضارة عند مالك أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها وليس العكس ولما رأى أن مجمل الممارسات والأنشطة البنائية في العالم العربي الإسلامي تتسم بالطابع التكديسي ولاتنطوي على اهداف حضارية بين انه ينبغي معالجة ثلاث مشكلات أولية للتغيير الحضاري هي :

مشكلة الانسان ومشكلة التراب (الامكانات الطبيعية) ومشكلة الوقت (عنصر الزمن) .. يقول :

«ان أول مايجب علينا أن نفكر فيه حينما نريد ان نبني حضارة أن نفكر في عناصرها تفكير الكيماوي في عناصر الماء اذا ما اراد تكوينه فهو يحلل الماء تحليلا علميا ويجد انه يتكون من عنصرين عنصر الايدروجين وعنصر الاوكسجين ثم انه بعد ذلك يدرس القانون الذي يتركب به هذان العنصران ليعطيانا الماء . وهذا بناء وليس بتكديس ذلك لأنه لو كدس ملايين من الأطنان من الايدروجين والأوكسجين ثم بقى ينتظر ان يتكون الماء فإنه لايتكون وحده الا بأن يبعث الله إليه شرارة من عنده فحينما نحلل منتجات الحضارة ولنأخذ أيا منها ولتكن هذه الورقة فإننا نجدها تتكون من عناصر ثلاثة :

الانسان : لأنه هو الذي ولدها بفكره وصنعها بيده في بغداد في العصر العباسي حيث اخترع الفكر

الانساني الورق . فالعنصر الاول اذن الانسان ، أما العنصر الثاني : فهو التراب إذ من التراب كل شيء على الأرض وفي باطنها ومعنى التراب هنا ليس المتبادر الى الذهن فقد تعمدت ألا استخدم كلمة مادة لأسباب فقلت التراب . لأن التراب يتصل به الانسان بصورتين : صورة الملكية أي من حيث تشريع الملكية في المجتمع الذي يحقق للفرد الضمانات الاجتماعية فالتراب هنا شيء حيوي في المجتمع من حيث التشريع . وهو يتصل به بصورة أخرى من ناحية علم التراب والمعلومات التي تتصل به كالكيمياء وغيرها فالتراب نعني به هذين الجانبين جانب التشريع وجانب السيطرة الفنية والاستخدام الفني . فالتراب بهذا المعنى يدخل في عناصر هذه الورقة .

واما العنصر الثالث فهو الزمن . لأنه اذا صح ما أقول فلماذا لم يخترع الفكر الانساني الورق قبل هذا التاريخ ؟ إن الجواب على ذلك هو نقص تجاربه في هذا المضمار في مضمار علم التراب والنباتات فالزمن قبل ذلك التاريخ لم يكف لتخمر فكرة ابتكار الورق إذن يجب ان نجهز عناصر ثلاثة حتى يتكون منها الورق .

الانسان ـ التراب ـ الوقت .

وهذا التحليل يوجب عليّ أن أقول :

منتوج حضارة (وهنا ورقة) = انسان + تراب + وقت

اذن ماذا نأخذ من الحضارة الغربية وماذا ندع ؟

يجيب علينا مالك بن نبي فيقول : «إننا لانستطيع أن نعيش منعزلين عن العالم فحينما نقول إنه ينبغي ان نوجه أبحاثنا الى هذه العناصر الثلاثة (انسان ـ تراب ـ وقت) التي بها تبنى الحضارة فإن هذا لايعني أن ندع ما انتهى إليه الآخرون لنبدأ الطريق من أوله .

إن علينا أن نأخذ من الحضارة الغربية الأدوات التي تلزم في بناء حضارتنا . فإذا لم نكن نستطيع صنع الآلات مثلا فعلينا ان نستورد هذه الآلات من الخارج حتى يأتي يوم نستطيع فيه الاستغناء عنها بمنتجاتنا . على أنه اذا كان من العبث أن اركب الجمل في العصر الذي انتشرت فيه السيارات فانه من العبث الأكبر والتبذير للاموال أن اقتني أفخر السيارات واعظمها لأنه لاحاجة بي الى هذا النوع من السيارات طالما استطيع الاكتفاء بأقل منها درجة فنحن في مرحلة البناء ينبغي لنا أن نقتصد في امكانياتنا حتى نستخلص منها أقصى مانستطيع من فائدة»

إن علاقتنا بالحضارة الغربية لن نستطيع أن تأتينا بالحضارة طالما يوجد في مجتمعنا من يستورد فرو السيدات الباهظ الثمن وهو في صحراء العرب حتى إذا ما أراد استعماله جعل داخل القصور مكيفا للهواء في درجة الصفر لتستطيع السيدات استعماله . فإن هذا عبث وصبيانية وإتلاف لإمكانيات المجتمع» .

وعن الثقافة يرى «مالك بن نبي أن الافكار الغربية الليبرالية او الماركسية هي انعكاس لواقع معين : سواء أكان هذا الواقع حضاريا ام أيدلوجيا وهذه الأفكار غير مجدية لواقعنا العربي الاسلامي وليس ذلك لخطأ هذه الافكار بالنسبة لمجتمعاتها ولكن ذلك لعدم اتساقها مع أبعاد هذا الواقع العربي الاسلامي ويحاول ان يضع تعريفا شاملا للثقافة يتسق مع واقعنا العربي الاسلامي فيقول عن الثقافة : مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه فهي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته» والثقافة عنده ليست مجرد علم يتعلمه الانسان في المدارس او من الكتب بل هي جو من العادات والأذواق والقيم التي تؤثر في تكوين الشخصية وتحديد دوافع الفرد وانفعالاته وصلاته بالناس والأشياء ويرى ان الثقافة كنظرية للتغيير وإعادة البناء لابد وان تصاغ صياغة تربوية تعتمد على العناصر التالية :

أ ـ التوجيه الأخلاقي :

فهو يرى ان فعالية المجتمعات تزيد او تنقص بمقدار مايزيد فيها تأثير الأخلاق او نقصانها ومايعنيه هذا من التأكيد على مفاهيم الإخاء والتعاون ومبدأ الجميع للفرد والفرد للجميع وربط العلم بالأخلاق حيث يهتم بالاخلاق من الناحية الاجتماعية .

ب ـ التوجيه الجمالي :

فالقبح يعبر اساسا عن تخلف في الثقافة وعندما تشاهد خرقا في كساء أحد المتسولين يجب أن تشعر بوجود خرق في ثقافتنا. والإحسان صورة نفسية للجمال والمضمون الجمالي في كرامة الفرد يؤثر على فعالية المجتمع والجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة وان كان لم يتطرق لمعنى الجمال من الناحية الاستطيقية .

حـ ـ المنطق العملي :

ويقصد به العقل التطبيقي الذي يجسد الفعالية في النشاط سواء على صعيد الفكر او العمل ويرى ان الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة بل منطق العمل والحركة فهو لايفكر ليعمل بل ليقول كلاما مجردا.

د ـ التوجيه الفني او الصناعة :

وهو يقصد بالصناعة كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم وأن التغيير والبناء الاجتماعي في جوانبه العلمية والصناعية متوقف على المناخات والأسس الثقافية التي تفرز الروح العلمية .

بهذه العناصر الاربعة يتم للثقافة بناؤها في المجتمع ويرتقي حينئذ الى مستوى الحضارة ..

ويرى أنه «ليس بنافع لنا أن نفكر في الأسباب التي تدخلنا الى باب الحضارة من غير أن نواجه اولا وقبل كل شيء الوسائل التي تجعلنا نخرج من باب التخلف» .



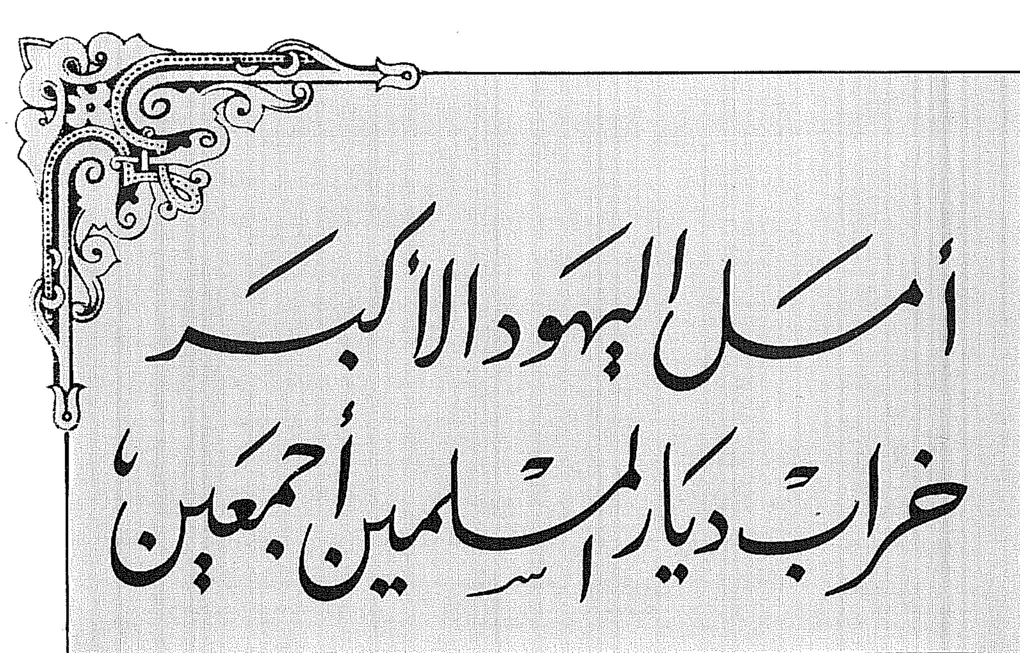
كيف نفهم اليهود .. لقد رفضوا الايمان بمحمد « صلى الله عليه وسلم » كما رفضوا الايمان بعيسى « عليه السلام » ، وامتلأت قلوبهم حقدا على العرب أبناء إسماعيل « عليه السلام » وسعوا الى خراب ديار العرب في كل مخططهم .

ومن هنا كان اليهود قضية العرب الأولى . وهذا الكتاب يقدم الكثير من عناصر هذه القضية في محاولة الوصول إلى فهم هؤلاء اليهود ..

وهو أحد الكتب الحديثة التي صدرت باللغة العربية لكشف مخططات اليهود والصهيونية في محاولاتهم لهدم أركان الاسلام وتشريد المسلمين .

والمؤلف الدكتور حسين مؤنس يقدم لنا كتابه ضمن سلسلة « كتابك » التي تصدرها دار المعارف بمصر ، وهو كتاب صغير الحجم ويقع في ثمانين صفحة ، لكنه جد خطير . فكيف نفهم اليهود ليس هذا بالمطلب الهين ، فإن الدنيا كلها لا تفهم اليهود والكثيرون جدا من اليهود لا يفهمون اليهود . يقول المؤلف : الى قيام دولة اسرائيل في مايو ١٩٤٨ ، كان العرب هم مشكلة اليهود الأولى وعقدتهم النفسية الكبرى ذلك لأنهم ـ لسوء الحظ ـ أبناء عم : اليهود اولاد إسحاق ، والعرب أولاد إسماعيل واليهود يزعمون أن إسحاق هو الابن الأفضل لابراهيم عليه السلام لأنه ابن سارة الحرة ، أما إسماعيل فهو ابن الجارية المصرية هاجر بتحريض من سارة ـ ومضى بها وبابنها إسماعيل إلى الصحراء وخلفهما هناك ليعيشا في شظف وجهد وإملاق !

وكان في تقدير العزيز الحكيم أن يعيش إسماعيل مع أمه في الصحراء حياة أمن وسلام ، وأن يعود إبراهيم إلى أرض الحجاز لكي يرفع قواعد البيت مع



أمل اليهود الأكبر خراب ديار المسلمين أجمعين

تأليف الدكتور : حسين مؤنس

عرض وتقديم : فؤاد نصر الدين حسين

ابنه إسماعيل ، ليكون مثابة للناس وأمنا ، وأن يكون من نسل إبراهيم العرب،وأن يكرم له العرب بمحمد « صلى الله عليه وسلم » والاسلام ، وأن يعم الاسلام الدنيا ويكرم الله العرب بهذا الدين ، ورفض اليهود الايمان بمحمد كما رفضوا من قبل الايمان بعيسى ! وامتلأت قلوب اليهود حقدا على العرب أبناء إسماعيل لما أكرمهم الله به من الاسلام والعزة والقوة،وطوال العصور الوسطى وبرغم إكرام العرب لليهود ـ كان **أمل اليهود الأكبر خراب ديار العرب أجمعين** . وعندما دار الزمان وأنشب اليهود مخالبهم في فلسطين ظنوا أن فرصتهم قد حانت لإدراك ثأرهم من العرب ، ومن ذلك الحين أصبح اليهود مشكلة العرب لأن اليهود استقروا في قلب البلاد العربية فلسطين ـ في فترة من فترات الضعف والتفرق والخضوع للمستعمر الأجنبي الذي كان عونا لليهود عليهم وعندما استقل العرب وقامت دولهم واشتد ساعدهم كان اليهود قد ابتلعوا معظم فلسطين وهددوا كل بلد عربي ، بل كل مواطن عربي في داره واظهروا أنفسهم مع ذلك انهم مظلومون مهددون ضعفاء في حاجة الى عطف الناس ! وانخدع الناس بذلك وشاركوا اليهود في البكاء عند حائط المبكى وأغدقوا عليهم المال والسلاح .

وبالدموع والمال والسلاح أحس اليهود أنهم لا يغلبون ! وفي ثلاثة حروب

متوالية ظنوا أن حلم حكماء بنى اسرائيل في سيادة الدنيا على وشك أن يتحول إلى حقيقة ، ولكن حرب اكتوبر ١٩٧٣ قلبت الميزان .
« وطالب العرب اسرائيل بالاعتراف بحق الشعب الفلسطيني الذي شردوه ليعيشوا بعد ذلك في سلام لكن اليهود رفضوا لأنهم لا يريدون أن يعيشوا في سلام .. » ويتساءل الدكتور حسين مؤنس في كتابه قائلا :
وهل في الدنيا إنسان لا يريد أن يعيش في سلام ؟ فيجيب:أجل اليهود في فلسطين ، ثم يتساءل مرة اخرى (لماذا) ؟
يقول لكي نجيب على هذا السؤال ينبغي أن نفهم اليهود . وستكون نقطة البداية في محاولتنا فهم اليهود كتابا فريدا في بابه عنهم ألّفه من نحو عشرين عاما الكاتب الفرنسي المعروف روجيه بيريفيت (Roger Peyrifitte) وعنوان الكتاب (اليهود) وقد طبع هذا الكتاب بعد ذلك مرات .. ويحدثنا الدكتور حسين مؤنس عن المؤلف الفرنسي روجيه بيريفيت وعن كتبه القيمة التي أثارت ضجة في فرنسا مثل كتاب (اليهود) وكتاب (السفارات) وكتاب (نهاية السفارات) ، ثم يتحدث عن الكتاب الذى راح يقدمه الدكتور حسين مؤنس كمدخل لكلامه عن (اليهود) وعنوان الكتاب (اليهود) les tuifs ويجمع فيه مؤلفه كل خصائصه كمؤلف وأديب ، وقد اختار موضوعه لأنه موضوع اختلاف ومناقشات ومشكلات بين الناس منذ الزمن البعيد ,
فاليهود طائفة دينية عنصرية نجدها في كل مكان وعلاقاتها مع الناس وثيقة متداخلة ولكن أحدا لا يعرف عن تكوينها شيئا بينما يعرف اليهود عن الناس كل شيء قل أن نجد غير يهودي يستطيع أن يقول : إنه يعرف اليهود حق المعرفة أو أنه نفذ إلى حقيقة امرهم،ذلك أن اليهود مازالوا ـ إلى يومنا هذا طائفة سرية مغلقة على نفسها تماما لها اسرار وأحوال تجتهد في سترها عن الآخرين !
ولعلك تدهش اذا علمت أن التوراة وهي (كتاب دين) المفروض أن يكون متداولا بين الناس إنما هي في حقيقتها كتاب خاص لا يتداول نسخه الكاملة الا أحبار اليهود . وما بأيدي الناس ليس إلا مختارات ومقتبسات منها صنعها هؤلاء الأحبار لمن يسمونهم العوام والمراد بهم عامة الناس .

يتمسكون بدينهم ويحرضون غيرهم على الكفر :

تحت هذا العنوان يقول الكتاب : أنت تسمع منهم أحاديث عجيبة تكشف عن حقيقة أكبر هى أن اليهود فيما بينهم يتمسكون بدينهم ويعتبرونه قوام حياتهم وسبب توفيقهم ثم يتظاهرون أمام الناس بعدم التمسك بالدين بل بالالحاد ليزهدوا الناس في أديانهم ويوقعوهم في الكفر والالحاد أو الشك على الأقل حتى لايظل على إيمان سواهم .
وكبار الملحدين في العصر الحديث يهود ومؤسسو الشيوعية وأساسها إنكار

الله يهود يؤمنون بجنسهم على الأقل ! وكارل ماركس الذي دعا الناس إلى التخلي عن أوطانهم وإنشاء عالم يقوم على العمل والعمال يهودي وكان من اوائل من فكروا في إنشاء اسرائيل وله رسالة في ضرورة قيامها .
وفرويد ـ ذلك اليهودي الذي تشعر وأنت تقرأ له أنه اعتى الكافرين .

قال وهو على فراش موته «إنه مدين بكل شيء لعقيدته اليهودية» وكتابه عن (موسى) يكشف عن إيمانه العميق باليهودية !

عقدة اليهود في الغرب :

النفس اليهودية نفس معقدة ، فاليهودي لا يزال يطرق باب أي مجتمع من المجتمعات ويبكي ويستعطف ويتمسكن ويتصاغر حتى إذا فتح له الباب وأذن له في أن يعيش مع الناس أبى الا أن يكون سيدهم ! وأخذ يذكرهم بما تركوه خارج الباب يرجو ويستعطف ويصر على أن يملأ نفوسهم بعقدة الذنب فإذا سلموا له بذلك خلاصا من إلحاحه ـ أسرع يطلب العوض أو التعويض وهنا لا يكفي الاعتذار بل لا بد من أداء المال !
والمال في النهاية سلاح رهيب في يد اليهود . وذلك لأن هم اليهود جمع المال ، فإذا جمعوه استمتعوا به وأسعدوا أنفسهم بأيسره ، ثم سعوا الى إتعاس الناس بمعظمه ! ولقد قرأت مسرحية (تاجر البندقية) ورأيت كيف أصرّ شيلوخ اليهودي المرابي على أن يستقضي دينه من لحم قلب انطونيو .. ؟ والذي يعنينا هنا أن شكسبير في مسرحيته تلك لم يفعل اكثر من أن يعرض علينا رأى أهل الغرب في اليهود وموقفهم منهم لأن اليهود في الحقيقة مشكلة أوروبية ربما قبل أن تكون مشكلة عربية فنحن قد ابتلينا باليهود من أيام الانتداب الانجليزي على فلسطين ولكن الغرب الأوروبي مبتلى بهم من ايام النهضة الأوربية .

الأوربيون أشد الناس كراهة لليهود :

إن تقصى أخبار اليهود عادة منتشرة بين الأوربيين ، والتماس مثالبهم والحملة عليهم في أوروبا شيء شائع ، وإن كان الكثيرون منهم يسترونها اليوم خوفا من اليهود حينا ، وظنا منهم أن ذلك أمثل بالرجل المتحضر ؟
وفي بلاد اوروبا كلها الكثير من الجمعيات المناهضة لليهود صراحة ، ونحن ندهش لذلك لأننا لانفعله ! ومن عجب أنهم يتهموننا نحن اليوم بكراهة اليهود ويزعمون أنهم يحبونهم ويقدرونهم وهم يعلمون أنهم في ذلك جد كاذبون
ذلك حه كذب ورياء لأن كراهة اليهود هناك لا يمكن انتزاعها من القلوب ! وإذا كانوا يأخذون على (البابا يوحنا الثالث والعشرين) شيئا فهو هذه

المؤاخاة التي نادى بها مع اليهود وكل قس أو راهب اوربي يكتب اليوم كتاب عطف على اليهود أو مؤاخاة لهم ينظرون إليه على أنه منافق متملق !

يطالبون بتعديل الكتب المسيحية المقدسة :

هنالك من يطالبون بإلغاء (إنجيل متى) لأنه شديد العنف على اليهود ناسين أن إنجيل متى هو أساس صدارة الكنيسة في روما على غيرها من الكنائس ، ومن ثم فهو الأساس القانوني الديني لدعوى سيادة (بابا روما) على غيره من رؤساء الكنائس الكبرى .
وهناك يهودي إيطالي يسمى (latte) ينادي بأنه لا بد أن يطبع في نص الانجيل إلى جانب العبارات التي تصف عذاب المسيح ـ عبارات تعليق تجرد كلمات الانجيل من كل قيمه ! وعامة اليهود يرون أن تلقى مسؤولية عذاب المسيح ـ بحسب اللاهوت المسيحي ـ على جنود الرومان وحدهم . ولما كان الايطاليون هم سلائل الرومان فإن مسؤولية الجريمة ستحط على رأس أكثر من (٥٠) مليون إيطالي .

اليهود في الأندلس :

عندما اتصل أبناء غيطشة بالمسلمين المعسكرين قرب طنجة وحرضوهم على غزو أسبانيا وتوسط لهم في ذلك «الكونت يليان حاكم سبته» ، كان اليهود في جملة المحرضين للعرب على فتح شبه جزيرة امبيريا ، بل قدم وفد منهم الى طنجة ولقي (طارق بن زياد) وأكد له رجال الوفد أن يهود الأندلس يضعون أنفسهم في خدمة المسلمين !
واقتنع طارق بن زياد بذلك وقام بفتح الاندلس ثم لحق به مولاه (موسى بن نصير) وقدم اليهود للعرب كل عون . ورفع عنهم العرب الظلم ومنحوهم حقوق أهل الذمة كاملة ، ولهذا نقرأ في بعض كتب اليهود أن طارق بن زياد بطل عظيم ، وفي بعض الأحيان يسمونه محرر اليهود !
وفي ظلال الاسلام سعد يهود الأندلس وتفتحت أمامهم سبل العمل وارتقوا في السلم الاجتماعي حتى وصل بعضهم الى مراتب الوزارة ، فكان (حسداي بن شبروط) سفيرا ووزيرا (لعبد الرحمن الناصر) وكانت الأندلس كلها بلد علم وثقافة ، وكان هناك فلاحون في الحقول ينظمون الشعر .
وفي هذا المجتمع الرخي الراقي رقي اليهود ايضا فكان يهود الأندلس أرقى يهود الدنيا واكثرهم ثقافة ، ولكن هل شكروا لنا ذلك ؟
يتساءل د. حسين مؤنس ويجيب بالعكس .
وإذا كنا نضرب المثل في سوء الجزاء بما فعله النعمان بن المنذر الملك الغساني بسنمار فأولى بنا أن نضرب المثل بما فعله اليهود معنا !

ما كادت كفة العرب تشيل في الأندلس حتى انقلب اليهود عليهم وأصبحوا عملاء لملوك قشتالة ، وليون ، وأكناد قطلونية ، وملوك أرغون . وكشفوا للاسبان عن أسرار المسلمين ومواضع الضعف في دولهم ، ، ونسوا كل أيادي العرب البيضاء عليهم

اليهود ونظرية هدم الأخرين :

يقول مؤلف الكتاب في هذا الفصل : إن تنظيمات بيوت الدعارة معظمها بيد يهود ، وكذلك نصيبهم ضخم جدا في موضوع تجارة المخدرات . ويدخل في هذا النطاق أن معظم دعاة الالحاد وهدم الأديان يهود ، والرجل الأمريكي الذي قال الكلمة الخبيثة (إن الله مات) تعالى سبحانه عن ذلك علوا كبيرا ـ يهودي !

ولا يرجع ذلك لميل طبيعي في اليهود إلى الشر والفساد بل إلى أن لديهم نظرية تقول : افسدوا الآخرين ليضعفوا في صراعهم معكم ، زلزلوا أركان الاسلام والنصرانية لتثبيت أقدام الموسوية !

إنهم أكثر منا عددا وأعز نفرا .. ولا سبيل لنا للثبات أمامهم ثم الانتصار عليهم ـ الا بإفسادهم من الداخل !

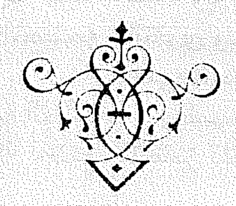
ومن الملاحظ أن معظم الداعين إلى الالحاد إنما هم من اليهود ، واليهود أكبر دعاة للشيوعية التي تتخذ الالحاد عقيدة ، وما من حركة إلحادية إلا وجدت أنصارها ودعاتها من اليهود . وحذار أن نظن أنهم مخلصون في هذه الدعوة .

والدعوة إلى الالحاد دعوة إلى تحطيم الاسلام والمسيحية تمهيدا لنصر اليهودية ، وهذا هو الحلم المشترك الأكبر بين يهود الدنيا أجمعين .

كل هذه دروس لنا :

يقول المؤلف : قد يحسب البعض أننا قصدنا إلى التشهير ببعض ما قلناه ، ولكن الحق أننا أردنا أن نعلم إخواننا العرب بما تعرفه الدنيا كلها خارج بلادنا عن اليهود وما يعرفه اليهود عن اليهود .

يقول د . حسين مؤنس وكل ماسقناه في هذا الكتاب هدفه أن يبصر العرب بأعماق نفس اليهود ويفهموا أننا بأعماق نفوسهم عالمون ...





للاستاذ / عبدالحفيظ فرغلي علي القرني

لا توجد رابطة أولى بالرعاية بين اهلها بعد رابطة الدين مثل رابطة العلم ، ذلك ان سمو الهدف ونبل الغاية يصقل النفوس وينقي القلوب ويرتفع بالهمم الى مستوى تضمحل فيه الرغائب الخاصة وتذوب فيه المصالح الفردية في سبيل المصلحة العامة والمنفعة الجماعية .

وحين جاء الاسلام بتعاليمه البناءة واهدافه العليا ومثله النبيلة وضع امام المسلمين اقيسة جديدة للحياة ، ومعاني اخرى غير تلك التي كانوا يسعون لها ويتفانون فيها .

فقد علمهم من منظور الايمان بالله واليوم الآخر كيف يحاسب الانسان نفسه ويراقب ربه ويقدم لغده زادا من التقوى ويبني لنفسه مجدا في الآخرة يبقى لا مجداً في الدنيا يفنى .

وعلمهم ان من اعظم الوسائل لتحقيق ذلك ، التضحية في سبيل الغير

والفناء من اجل الجماعة ، والسعي في اتاحة الخير للناس جميعا ، وتخليصهم مما هم فيه من شقاء فالقرآن الكريم يقول : « **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا** » ـ النساء ٧٥ .

ولا يتحقق ذلك للمسلم الا اذا عرف قيمة الاخوة الحقيقية ومعنى المحافظة عليها والايثار فيها ، وقد ألح القرآن الكريم على هذا المعنى النبيل فقال فيما قال : « **انما المؤمنون إخوة** » ـ الحجرات ١٠ ـ

« **واعتصموا بجبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها** .. » ـ آل عمران ١٠٣ ـ .

○ ترجمة عملية لهذه المعاني :

وترجم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه المعاني ترجمة عملية ، فآخى بين المهاجرين والانصار بعد الهجرة ، وقامت المؤاخاة بين المسلمين مقام القرابة الاسرية ، وحلت العلاقة الايمانية محل علاقة الرحم ، بل لقد كان التوارث بين المسلمين على اساس هذه المؤاخاة التي عقدها الاسلام ، وظل كذلك فترة طويلة حتى نزل قوله تعالى : « **وأولو الأرحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله** » ـ الانفال / ٧٥ وذلك بعد ان ارتفعت راية الاسلام ، واستظل الجميع بظلها ، وذاق الناس جميعا حلاوة الايمان ، وعرفوا ان كل غايات الدنيا ومظاهرها وعلاقات الناس فيها باطلة لا قيمة لها امام تلك النفحة الربانية التي اظلتهم بسماحة لاعهد لهم بها ، وبرحمة وسعت كل شيء لم يتذوقوا قبل مثلها .

في ظل هذه العلاقة ذابت الفوارق بين المسلمين ، وآثر المسلم دينه على كل شيء ، واصبح مفهوم « **ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما** » ماثلا امام الجميع ، لا مجرد شعار يتلى ، بل منهجا عمليا ينفذ وهواء نقيا يتنفس وغذاء روحيا تحيا به القلوب والنفوس .

وفي ظل هذه العلاقة اثنى الله على المهاجرين والانصار الذين فهموا منطق الدين ونفذوا تعاليمه في حب خالص ومودة قوية وايثار حميد

« **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » ـ الحشر/ ٨ و ٩ .

اثر هذه العلاقة :

ولقد بلغت قوة العلاقة بين المسلمين درجة التضحية بكل شيء في سبيل هذه العقيدة ، فالمودة التقليدية بين الاقرباء مرفوضة طالما كان هؤلاء الاقربون معادين للدعوة الاسلامية « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** » المجادلة - ٢٢ .

ومن النماذج الطيبة في ذلك ما روى من ان مصعب بن عمير ضحي بحياته الهنيئة وعيشته اللينة في سبيل مرضاة الله ورسوله حتى تخدد جسمه وتشقق جلده وتمزقت ثيابه ، ووجد ذلك هينا ميسورا في جنب جنة عرضها السموات والارض - ومثل مصعب كثير من الصحابة الاجلاء - رضوان الله عليهم -

○ العلماء المخلصون ساروا على الجادة :

وكان احق الناس بتدبر تلك المعاني والسير على نهجها هم العلماء الذين فقهوا الدين وفطنوا الى اسراره العظيمة . فالعلم هو الكفيل بتوضيح مقاصد الدين وتبصير الناس بما يحق لهم ويجب عليهم ، والعلماء هم ورثة الانبياء الذين نصبهم الله اعلام هداية ومنارات ارشاد ، وكان العلم الذي ورثوه اقوى علاقة تربط بينهم وتوحد هدفهم .

واذا تدبرنا القرآن الكريم وجدناه يحث على ان يقوم العلماء بواجبهم نحو شعوبهم في تبديد الجهالة التي تؤدي الى الفرقة والاختلاف ، وها هو ذا ينعي على اهل الكتاب انهم ضنوا بما علموا على اهله وفرقوا بين الناس بالباطل . « **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننَّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون** » - آل عمران/ ١٨٧ -

« **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون** » - الأنعام ١٥٩ - « **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** » - البقرة ١٥٩ .

ويحذر من علماء السوء الذين يفرقون كلمة الله ويؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض « **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا ..** » - النساء ١٥٠ - ١٥١ .

اتساع صدور العلماء

والعالم بما آتاه الله من نعمة ادرك قيمتها وانتفع بثمرتها يرى ان من واجبه ان يفيض على الناس مما آتاه الله ، وينبههم الى ما يجب عليهم نحو الاستمتاع بنعمة الايمان والانتفاع بجمال الحياة في ظله ، فلا قيمة للدنيا بدون ايمان ، ولا لذة للمال بدون معرفة الله تعالى ومن سعة قلب العالم يود ان يهتدي الناس جميعا ليستمتعوا بما استمتع هو به من نعمة الهداية التي يشعر بها .

انظر الى هؤلاء العلماء الربانيين في حوارهم مع طلاب الدنيا امام فتنة الدنيا وزينة المال التي اراد قارون ان يفتن بها قومه « **فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون** » ـ القصص ٧٩ ، ٨٠ ـ

لقد ادرك هؤلاء العلماء انهم كالمصابيح ينيرون للناس حياتهم ويأخذون بأيديهم من الظلمات الى النور ، حتى يرتفعوا من حضيض الجهل الى منزلة اولى الرفعة ، وهذا بعض ما توجبه مسئولية العلم على اصحابه ..

ومن واجب العلماء الا يضنوا على طالب علم بما يطلبه ، فطلاب العلم ابناء لشيوخهم ، يشعرون نحوهم بشعور الابناء للآباء بل إن ابوة العلم ارقى من ابوة النسب ، وما اصدق الذي يقول :

أفضل استاذي على نفس والدي
وإن نالني من والدي الفضل والشرف

فذاك مربي الروح والروح جوهر
وهذا مربى الجسم والجسم من صدف

والعلم جوهر نفيس يفوق في نفاسته كل جوهر ويزري بكل معدن ، ولا يبالي العالم الصادق بما فاته من عرض الدنيا في سبيل ما حصله من علوم . جاء في كتاب « ادب الدنيا والدين » للماوردي : قيل لبزرجمهر : العلم افضل ام المال ؟ فقال بل العلم : قيل : فما بالنا نرى العلماء على ابواب الاغنياء ولا نكاد نرى الاغنياء على ابواب العلماء ؟ فقال : ذلك لمعرفة العلماء بحقيقة المال وجهل الاغنياء بفضل العلم . وقيل لبعض الحكماء : لم لا يجتمع العلم والمال ؟ فقال : لعز الكمال» وانشد :

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله
فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرءا لم يحي بالعلم ميت
فليس له حتى القبور نشور

واستشهد على فضل العلم بهذه القصة : وقف بعض المتعلمين بباب عالم ثم نادى : تصدقوا علينا بما لا يتعب ضرسا ولا يسقم نفسا ، فأخرج له طعاما ونفقة ، فقال : فاقتي الى كلامكم اشد من حاجتي الى طعامكم اني طالب هدى لاسائل ندى ، فأذن له

العالم وأفاده عن كل ما سأل عنه ، فخرج جذلا فرحا وهو يقول : علم اوضح لبسا خير من مال أغنى نفسا .

○ ميراث العلم :

والذي يتعاطاه العلماء فيما بينهم ويتوارثونه هو العلم ، وهو اعظم قيمة من هذا التراث الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم ويتواصلون به . ذكر المرحوم الشيخ احمد عبدالجواد الدومي في كتابه « الاسلام منهاج وسلوك » ص ١٠٨ هذا الاثر : "تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لاهله قربة ، وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والقريب عند الغرباء .. يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة وسادة ، هداة يقتدي بهم ، ادلة على الخير تقتفي آثارهم وترمق افعالهم ، به يطاع الله وبه توصل الارحام ، يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء .. » .

وقال الغزالي : من اصاب علما فاستفاده وافاده كان كالشمس تضيء لنفسها ولغيرها وهي مضيئة .

وليس هناك ثروة اعظم من هذه ، انها ثروة معنوية جليلة القدر ، لا تفنى على الانفاق بل تزداد زكاء ونماء كما يقول الامام علي ـ كرم الله وجهه ـ "العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق » .

○ التشاكل الذي يربط بين العلماء :

واذا كان التشاكل والتجانس يجمع بين الناس فأعظم رابط بين العلماء هو ذلك الرباط المعنوي الذي يؤلف بين القلوب ويقرب بين العقول ،

رباط العلم :

انه كالوطن بالنسبة للمواطنين يتعاطفون به اذا شطت بهم الغربة ونزحت بهم الدار ، وكم يفرح الغريب حين يلقي في غربته من بني وطنه من يذهب وحشته ويمسح همه وغمه .. وكم كان سلمان الفارسي سعيدا بالمدينة حين لقي عجوزا فارسية بالمدينة فهمت لغته ودلته على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكر ذلك ابو نعيم الاصفهاني في كتابه اخبار اصفهان .

وكما يسعد المواطن بلقاء مواطنه يسعد العالم بلقاء من يناسبه علما ويشاكله فهما ويدانيه اهتماما ، كما يفرح بمن يقصده ليتلقى منه العلم ويأخذ عنه اصول المعرفة . هناك تنشأ صلة روحية قوية بين العلماء بعضهم ببعض او بين العالم والمتعلم دونها رابطة القربى ووشيجة النسب . جاء في كتاب محاضرات الادباء للراغب الاصفهاني جـ ١ ص ١٤ قيل لعالم : اي المناسبة اخلد ؟ فقال : مناسبة العلم التي غذتها عواطف الشيم ، واستشهد بقول ابي تمام :

وقرابة الآداب تقصر دونها
عند الاديب قرابة الارحام
ويقول الصولي لصديق له :
ان الكتابة والآداب قد جمعت
بيني وبينك يا زين الورى نسبا

ومن اجل هذه المعاني جاء المثل الذي يقول : ان الطيور على اشكالها تقع ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف ترى في رجل احب قوما ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء مع من احب » رواه البخاري ومسلم .

قال اياس بن معاوية لرجل في بلد قدمه اياس : قدمنا بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم في يومين . قيل له : كيف ؟ قال : كان معنا خيار وشرار ، فلحق خيارنا بخياركم وشرارنا بشراركم ، والف كل شكله .

لا يصحب الانسان الا نظيره
وان لم يكونا من قبيل ولا بلد

ان المشاكلة في الطباع او الصفات او الاهتمامات تذهب بالتنافر الذي يوجد في النفوس وبين الاضداد عادة ، ولقد رأى حكيم يوما غرابا وحمامة واقفين معا ، فاستغرب كيف يأتلفان على بعد التجانس بينهما ، فأزعجهما فثارا فاذا كل منهما اعرج فأدرك ان الذي وحد بينهما العرج . ومن الغرائب في ذلك ما يرويه الراغب في كتابه عن الجاحظ قال : لم ير اعجب حالا من الكميت والطرماح ، فان الكميت كان عدنانيا شيعيا يتعصب لاهل الكوفة ، والطرماح كان قحطانيا خارجيا يتعصب لاهل الشام ، وكان بينهما من المخالطة ما لم يكن بين اثنين قط ، ولم تجر بينهما جفوة ولا قطيعة ولا اعتراض ، قيل لهما : كيف اتفقتما مع الخلاف بينكما ؟ فقالا : اتفقنا على بغض العامة . فانظر كيف جمع البغض بين متناقضين كما جمع العرج بين الحمامة والغراب في المثال السابق .

○ أمثلة من تأليف العلم بين القلوب :

ومما يدل على ان العلم يؤلف بين القلوب ما نراه بين العلماء من تراحم على الرغم من تباعد ديارهم واختلاف اوطانهم . جمع حب العلم بين الامامين مالك والشافعي ـ رضي الله عنهما ـ حتى لقد شاطر الشافعي مالكا ماله مرارا ، وكان الشافعي فقيرا اخرجه حب العلم من بلده مرتحلا في سبيل طلبه ، وتوسم فيه مالك النجابة فأحبه وقربه وواساه .

وحين قدم الشافعي مصر احسن عبدالله بن عبدالحكم صاحب الامام مالك استقباله ودفع له الف دينار من ماله ، واخذله من ابن عسامة التاجر الف دينار ومن رجلين اخرين الف دينار ولم يقف اختلاف المذهب بين قلبيهما ، ذلك ان رابطة العلم اقوى سبب جمع بينهما . وكان عبدالله بن عبدالحكم اعلم تلميذ لمالك بمذهبه ،

ولكنه كان يوصي ابنه محمدا بملازمة الشافعي ، فلازمه واخذ عنه حتى اصبح من ابرز من حملوا لواء المذهب الشافعي في مصر ، وكان الشافعي يحبه جدا ذكر « ابن خلكان » في كتابه « وفيات الاعيان » قال : قال المزني :

كنا نأتي الشافعي نسمع منه فنجلس على باب داره ، ويأتي محمد بن عبدالله بن عبدالحكم فيصعد ويطيل المكث وربما تغدى معه ، ثم نزل فيقرأ علينا الشافعي فاذا فرغ من قراءته قرب الى محمد دابته فركبها وأتبعها الشافعي بصره ، فاذا غاب شخصه قال : وددت لو أن لي ولدا مثله؟ وكان احمد بن حنبل - رضي الله عنه - يحب الشافعي حبا جما وكان يكثر من الدعاء له بعد موته ، وقد سأله ابنه عبدالله عن سبب ذلك فاجاب : يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن - هل لهذين من خلف او عنهما عوض ؟

وشاهد يحيى بن معين احمد بن حنبل يمشي خلف الشافعي يوما ، والشافعي راكب بغلته ، فسأله عن ذلك فقال : اسكت لو لزمت البغلة لانتفعت .

وكان محمد بن الحسن تلميذ ابي حنيفة وناشر مذهبه يعظم الشافعي تعظيما شديدا،لقد ادرك هؤلاء فضل العلم واثره فعظموا اهله واحبوهم وتقربوا اليهم وآثروهم على انفسهم وأهليهم .

○ التجافي بين العلماء :

هذا ولا يخلو الامر من ان يكون بين بعض العلماء ما يكون بين الاقرباء احيانا من جفوة او تحاسد ، ولكن المنصفين من العلماء لا تجد بينهم الا الصفاء التام والوداد الخالص ، ذلك لانهم فرغوا انفسهم من تطلعات الدنيا واثرتها الفانية ومتاعها الزائل ، وآثروا ما عند الله على ما عند غيره مما يتعادى الناس من أجله ويتنافسون في سبيل اقتنائه او الحصول عليه مهما اشتد بريقه أو عظم مغناه او ارتفع شأن معطيه .

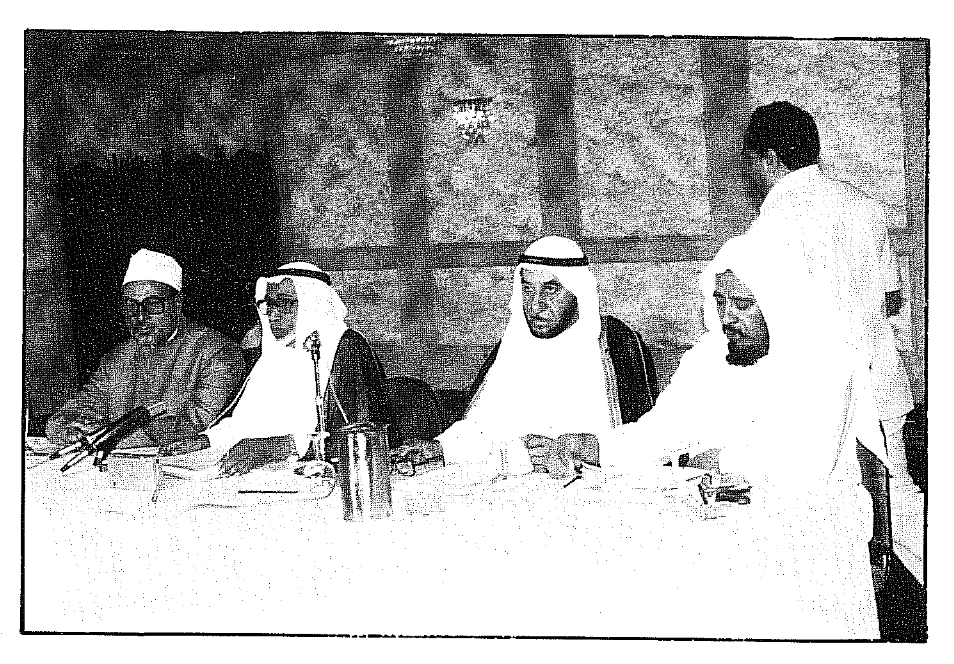
هؤلاء احرى بأن ينطبق عليهم هذا الخبر النبوي الصادق الذي رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - « ان من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامه بمكانهم من الله تعالى . قالوا :

يارسول الله فخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ولا احوال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلي نور ولا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس؟.(رواه ابو داود) .



من اخبار العالم الاسلامي

الاجتماع الثاني لمجلس الادارة واللجان الدائمة للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية



● لقطة لمجلس ادارة الهيئة في اجتماعه الثاني

عقد مجلس ادارة الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية اجتماعه الثاني برئاسة رئيس مجلس الادارة الأستاذ يوسف جاسم الحجي وذلك في الفترة ما بين ٩ - ١٢ محرم ١٤٠٨هـ الموافق ٢ - ٥ سبتمبر ١٩٨٧م ويضم مجلس الادارة في عضويته ٢١ عضواً من مختلف دول العالم الاسلامي وهم :

- الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين - نائبا للرئيس
- الشيخ عيسى محمد آل خليفة - أمينا للسر
- بزيع الياسين - أمينا للمال
- الدكتور احمد ليمو
- د . اسحاق الفرحان
- انور ابراهيم
- أوغوز خان اصيل ترك
- البروفيسور خورشيد احمد
- الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن عقيل
- الشيخ عبدالله بن ابراهيم الانصاري
- عبدالله علي المطوع
- د . عبدالله عمر نصيف
- د . عز الدين ابراهيم
- غالب همت
- فؤاد عبدالله العمر
- كامل اسماعيل الشريف
- مبارك قسم الله زايد
- الشيخ محمد بن ابراهيم القعود
- د . محمد عبدالرحمن البكر
- الدكتور يوسف القرضاوي .

وقد تم خلال هذا الاجتماع استعراض قرارات الجمعية العمومية في اجتماعها السابق وما تم تنفيذه منها واتخاذ ما يلزم تجاه المحال من هذه القرارات الى مجلس الادارة كما تمت مناقشة الموضوعات المحالة من اللجان الدائمة وهي : لجنة جمع التبرعات - ولجنة الاستثمار ولجنة التعليم والدعوة - ولجنة التخطيط .

وقد أقر المجلس توصيات هذه اللجان بحيث تنطلق الهيئة في هذه الأنشطة بما يحقق الأهداف المرجوة باذن الله .. ووافق المجلس ايضا على افتتاح فروع للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية في جميع الدول الاسلامية لتبدأ بالعمل من أجل خدمة اهداف الهيئة وتكون بمثابة همزة الوصل بين الهيئة والمسلمين في تلك الدول وذلك لدراسة أوضاع المسلمين والمساهمة في جمع التبرعات والاستثمار .

هذا وقد أوصى مجلس الادارة على تكوين الجهاز الاستثماري بشكله المتكامل لاستثمار أموال التبرعات واعداد الدراسات المستفيضة والاستفادة من خبرة المتخصصين واصحاب الدراية والخبرة للبدء فورا في دراسة العديد من المشاريع المطروحة والمقدمة لاستثمارها بحيث يستفاد من عوائد هذه الاستثمارات في أسرع وقت لتعود الفائدة على المحتاجين في الدول الاسلامية .

كما أقر المجلس مشروع لائحة لجنة التعليم والدعوة حيث أقرت خطة المناهج الموضوعة وانشاء عدد من المراكز الاسلامية في عدد من الدول التي يتواجد فيها المسلمون بشكل أقليات .. في افريقيا ، وفي بعض المناطق التي يتفشى فيها الجهل والأمية .

وأقر مساندة ما هو موجود من مراكز اسلامية موثوقة بعد دراسة أوضاعها واحتياجاتها ووضع المساعدات المناسبة لها .

وأقر المجلس العمل الفوري على اعداد عدد من المعلمين والدعاة مع تطوير أساليب الدعوة الاسلامية ، واستخدام الأساليب المتطورة من وسائل سمعية وبصرية ومقروءة والتأكيد على التعليم والتدريب المهني لتحويل الأيدي المتعطلة الى عمالة ماهرة وطاقات منتجة ، وقد تم تشكيل هذه اللجنة وحدد أسلوب العمل في هذه اللجنة مع ترشيحات اضافية لتوسعة مجال عمل اللجنة وهم من اصحاب الاختصاص والخبرة .

كما أقر المجلس الخطة الخمسية للجنة التخطيط ووافق على هذه الخطة في خطوطها العريضة للتنفيذ ... وقد تشكلت لجنة خاصة لدراستها واقرارها بصيغتها النهائية وتقديم ما سيتم التوصل اليه من نتائج للجمعية العمومية كما أكد المجلس على ضرورة الاهتمام بهيئة وتنمية الكفاءات الادارية والفنية التي تساهم في تنمية المجتمعات الاسلامية .

يوغسلافيا

افتتاح أكبر مسجد في أوروبا

احتفل يوم ٦ سبتمبر الجاري في مدينة زغرب اليوغسلافية بافتتاح أكبر مسجد في أوروبا وقد مثل صاحب السمو أمير البلاد رئيس مؤتمر القمة الاسلامي في الاحتفال السيد خالد الجسار وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية كما شارك في الاحتفال عشرات الآلاف من مسلمي يوغسلافيا الذين يبلغ تعدادهم أكثر من أربعة ملايين مسلم ووفود عديدة تمثل العديد من الهيئات والمراكز والحكومات الاسلامية . هذا وقد اعرب رئيس التجمع الاسلامي في مدينة زغرب عمر باشيتش عن فخره واعتزازه بمشاركة ممثل صاحب السمو أمير البلاد وأشاد بالعلاقات الأخوية التي تربط الكويت بمسلمي يوغسلافيا وعلى هامش الاحتفال اجتمع السيد الجسار مع رئيس الطائفة الاسلامية اليوغسلافية بالنيابة السيد فرحات مستيتو وبحث معه العلاقات القائمة بين إدارة الطائفة ودولة الكويت والمسائل المتعلقة بتحسين الأوضاع الدينية للمسلمين اليوغسلاف .

الكويت

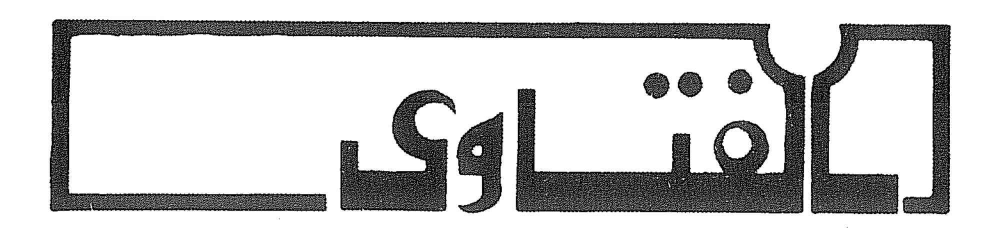
مساعدات كويتية لضحايا فيضانات بنغلاديش

وجه مؤخرا سمو أمير البلاد رسالة الى رئيس بنغلاديش أعرب فيها عن تعازيه الحارة لضحيا الفيضانات التي أدت الى مقتل ما يزيد عن (٦٠٠) شخص وتضرر فيها ما يزيد على (٢٥) مليونا من اجمالي سكان البلاد البالغ (١٠٠) مليون نسمة .

كما أرسل سمو الأمير ـ وهو الرئيس الحالي لمنظمة المؤتمر الاسلامي ـ الشيخ مبارك مبعوثا له ليطمئن الشعب البنغلاديشي بأن الكويت حكومة وشعبا ستقف الى جانب أشقائها في بنغلاديش في محنتهم الحالية وسيعمل مبعوث سمو الأمير على تقييم احتياجات بنغلاديش من مواد الإغاثة اللازمة حتى تتمكن حكومة وشعب الكويت من المساعدة في توفيرها ، هذا وأفادت الأبناء فيما بعد أن عشر طائرات تابعة لسلاح الجو الكويتي وصلت الى بنغلاديش حاملة بعض المعونة الكويتية لضحايا الفيضانات .

□ نجاح مشروع الأضاحي خارج الكويت

وصف مدير بيت الزكاة الكويتي بالنيابة السيد عبدالقادر العجيل مشروع الأضاحي خارج الكويت بأنه خير وسيلة لتشجيع سنة الذبح وأن المشروع يلقى نجاحا واسعا ومتزايدا عاما بعد عام وأوضح في تصريح بمناسبة مرور خمس سنوات على تجربة بيت الزكاة بتطبيق مشروع الأضاحي خارج الكويت أن تنفيذ مشروع ذبح الأضاحي خارج الكويت يعمق ايضا أواصر المحبة والأخوة بين أبناء الكويت والمسلمين في العالم والجدير بالذكر ان مشروع الأضاحي قد شمل هذا العام ثماني دول هي : لبنان والأردن والهند واندونيسيا ومصر والسودان والباكستان وبنغلاديش حيث ذبح ما مجموعه (١٧٣٦٣) أضحية بتكلفة اجمالية قدرها (١٩٢) ألف دينار تقريبا تم جمعها من تبرعات الاخوة المحسنين المشاركين في المشروع وبلغ مجموع المستفيدين من الأضاحي حوالي (٢٢٠) ألف شخص .



● الزكاة ومال اليتيم ●

★ قارىء من الكويت يسأل عن حكم وجوب الزكاة في مال اليتيم ، واذا كانت فيه زكاة ، ماذا يفعل ولي اليتيم ؟ وهو يخشى من نقص المال بإخراج الزكاة كل عام ؟

ـ فريق من العلماء يرى عدم وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون ، وخاصة في المال الذي لا يستثمر خوفا من أن تستهلكه الزكاة ؛ لكن جمهور الفقهاء وأكثر

العلماء يرون وجوب الزكاة في هذا المال ، لأن الزكاة واجبة في مال الأغنياء مطلقا والآيات القرآنية والأحاديث النبوية ليس فيها استثناء الصبي أو المجنون أو اليتيم من الزكاة ، قال تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ...)

فالآية عامة تشمل الصغير والكبير والعاقل والمجنون ما دام لهم مال تجب فيه الزكاة ، كل هؤلاء محتاجون الى تطهير الله لهم فكلهم من الذين آمنوا والزكاة تطهير لأموالهم ! ولما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا معاذا الى اليمن قال له

(فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم) والصبيان والمجانين لو كانوا فقراء ترد فيهم الزكاة ، فلتؤخذ منهم اذا كانوا أغنياء ، الزكاة عبادة مالية تجري فيها النيابة ، والولي نائب عن الصبي

واليتيم والمجنون،يقوم مقامه في أداء هذا الواجب .. ومن حيث الخوف على مال اليتيم من أن تأكله الزكاة فالأحاديث والآثار نبهت الأوصياء على وجوب استثمار

أموال اليتامى ففي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : « ألا من ولى يتيما فليتجر له فيه ولا يتركه فتأكله

الصدقة » الحديث وان كان اسناده ضعيفا الا أن الشافعي أكده بعموم الأحاديث الصحيحة في إيجاب الزكاة مطلقا .. وذلك مع مراعاة وضع الضمانات في استثمار أموالهم بما يكفل لمال اليتيم النماء والبقاء .

● حول تصرف المالك ●

★ وردت الى المجلة رسالة من بعض القراء يشكون من أبيهم المسرف المتلاف .. يملك أموالا كثيرة ويخافون عليها من الضياع .. يقولون ماذا نفعل ؟

وهل له حرية هذا التصرف ؟ وفي آخر الرسالة طلبوا عدم ذكر الأسماء أو الدولة خوفا منه ...

ـ الانسان يحرم عليه أن يتعدى على ماله كما يحرم عليه أن يتعدى على مال غيره ، مال الانسان يحرم عليه أن يعرضه للضياع بالإسراف والإتلاف ، وليست له

الحرية المطلقة في ذلك ، هو وان كان يملك المال فقد جعل الاسلام للأمة الحق في الحجر على السفيه المتلاف لأنها صاحبة حق فيه . يقول الله تعالى : (**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ...**) في هذه الآية يخاطب الله

الأمة بقوله : ولا تؤتوا السفهاء أموالكم : مع أنها في ظاهر الأمر أموال الأفراد ولكن مال كل فرد في الحقيقة هو مال للأمة ، وخوفا من إتلاف الأموال حذر الاسلام

من الاسراف والتبذير في كثير من الآيات والأحاديث ودعا إلى الوسطية والاعتدال حيث لا إسراف ولا تقتير قال تعالى : (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**) .

التوسع في الانفاق من غير حاجة حرام ، فيه إضاعة المال وتهديد الذرية بالتشريد والضياع ، فيه استعمال نعمة الله في غير ما شرعت له ، ولأن يترك صاحب المال

ورثته أغنياء خير من أن يتركهم عالة يتكففون الناس .. أولى بهذا المغرور أن يثوب الى رشده ، ويحفظ النعمة التي أعطاه الله اياها لئلا يكون ثقيلا على أولاده ، وان استبد به السفه فلا علاج له إلا طلب الحجر عليه وآخر الدواء الكي .

● بقاء الزوجة في الطلاق الرجعي ●

★ القارىء محمد القسطاوي من الزقازيق في جمهورية مصر العربية يسأل هل يجوز أن تخرج المطلقة طلاقا رجعيا من غير إذن زوجها في العدة ؟ وهل من حقها أن تقضي العدة خارج بيت الزوجية ؟

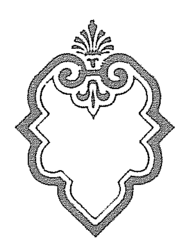
ـ قرر الفقهاء أنه لا يجوز أن تخرج المطلقة من غير اذن زوجها أثناء العدة ما دام يتكفل بنفقتها وسكناها أما اذا قصر الزوج في النفقة وتعمد تعطيل مصالحها فإنه يجوز لها أن تخرج لقضاء حوائجها نهارا ولا تخرج ليلا ، قال ابن قدامة ـ وللمعتدة الخروج في حوائجها نهارا سواء كانت مطلقة أم متوفى عنها زوجها ومن المقرر كذلك ان المطلقة طلاقا رجعيا تقضي العدة في بيت الزوجية ولا يجوز لزوجها أن يخرجها من البيت أثناء العدة . لقول الله تعالى : (**واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه** ..) قال ابن عباس رضي الله عنهما : الفاحشة المبينة أن تزعج أهل زوجها وتسيء اليهم فإن فعلت ذلك حل إخراجها ، وقال العلماء لو علمت بالطلاق وهي خارج بيتها ـ يعني بيت الزوجية ـ وجب عليها ان تعود اليه بمجرد علمها .. وذلك لأن وجودها في البيت يساعد على استئناف الحياة الزوجية من جديد ، بعد أن تهدأ ثورة الغضب ويراجع كلاهما نفسه فيندم الزوج عل تسرعه بالطلاق وتأسف الزوجة لإثارتها الزوج وبذلك يتهيأ جو المراجعة وقد لا يتاح ذلك وهي بعيدة عن بيت الزوجية، ان بقاء الزوجة من بواعث الصفاء والتعجيل بالمراجعة فالغضبان قد يرضى والكاره قد يحب وسبحان مقلب القلوب .

● حول النية الحسنة ●

★ أحد قراء المجلة اتصل عن طريق الهاتف وقال : إني أعمل في شركة صناعية وأقدر المطلوب لتنفيذ العملية بأكثر من اللازم لها وما يفيض منها من مواد أرسلها الى بعض المساجد فهل يلحقني بذلك إثم مع نيتي الحسنة ؟

ـ من المقرر شرعا أن النية الحسنة لا تجعل الحرام حلالا ، فالحرام حرام مهما حسنت نية فاعله ، ولا ينبغي جعل الحرام وسيلة إلى غاية محمودة ولا ينبغي أن يفسر ذلك بالقول . إن الغاية تبرر الوسيلة . لأن الاسلام يحرص على شرف الغاية وطهر الوسيلة . نقول للسائل تقديرك للمطلوب ـ زائداً عن الحاجة ـ تزوير وخيانة للشركة التي أعطتك ثقتها .. والانسان لا يملك التصرف في مال غيره بدون إذنه فأنت لا تملك إرسال مال الشركة الى جهة أخرى ولو كان ذلك إلى مسجد أو جهة

خيرية .. وكذلك من يحج بمال ربوي أو مسروق مثلا فحجه مردود عليه ، ومن تصدق بمثل هذا المال فلا أجر له لما جاء في الحديث الشريف : « من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه » ان الحرام لا يتغير بالنية الطيبة إلى حلال مشروع . وإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، ومن أراد أن يساعد في عمارة مسجد أو إطعام فقير عليه أن يبذل من ماله الخاص فإن لم يتيسر له ذلك فلا حرج عليه ، على أنه لو طلب من الشركة المساعدة لكان له أجر السعي في عمل الخير .. ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه .



منطق الدعاة الى الله

كان مصعب بن عمير واسعد بن زرارة يدعوان الناس في المدينة المنورة ـ قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم اليها ـ الى الاسلام . فقال لهما « اسيد بن حضير » وكان سيد قومه : « ما جاء بكما الى حيِّنا ، تسفهان ضعفاءنا ؟

اعتزلانا اذا كنتما لا تريدان الخروج من الحياة »

فقال الصحابي الجليل ، وسفير الاسلام الاول ، في طمئنية وهدوء : « اولا تجلس فتستمتع ؟ فان رضيت امرنا قبلته ، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره » .

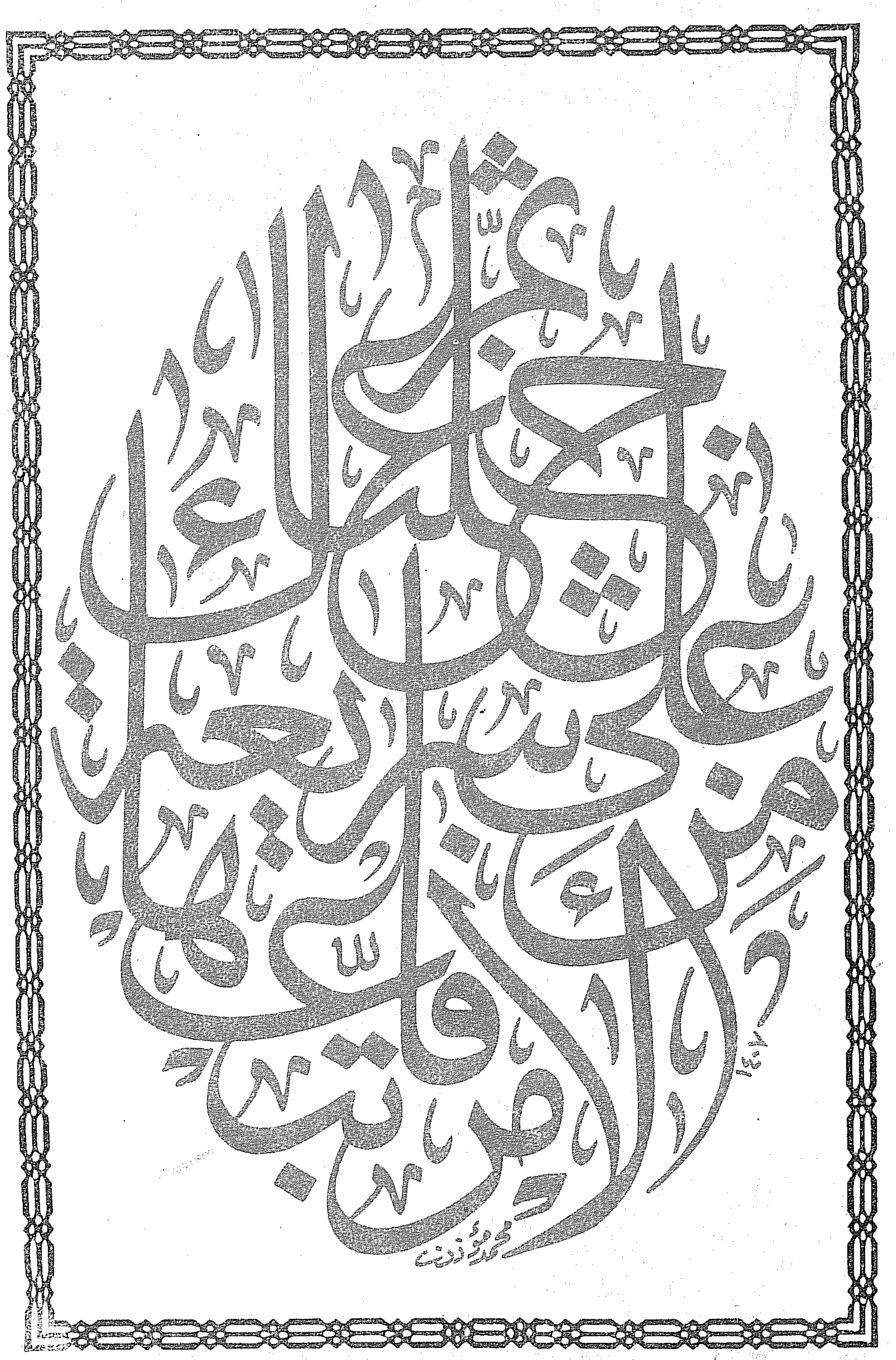
بهذا المنطق العذب ، تأثر « أسيد » فجلس وأنصت ، والقى حربته . وبعد أن فرغ « مصعب » رضى الله عنه من تلاوة القرآن ، وشرح دعوة الاسلام ، آمن أسيد ، وتبعه كثيرون . فلتكن لنا في مصعب الخيرقدوة .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
★ السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .
★ المغرب	:	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .
★ تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .
★ الأردن	:	عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥).
★ المملكة العربية السعودية	:	الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـ ص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦
		جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥
		الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١
★ سلطنة عمان	:	مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .
★ دبي	:	مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .
★ البحرين	:	المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .
★ أبو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر .
★ اليمن الشمالي	:	دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .
★ قطر	:	دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .
○ الكويت ○	:	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لايوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



طبع في مطابع دار السياسة ـ الكويت